حسن رشاد

الأقنعة

دار المعارف

الأقنعة

حسن رشاد

الأقنعة



دار المعارف

تصميم الغلاف : إسماعيل دياب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الفصل الأول

كلما تشابكت مشاكل الحياة . . وازدادت تعقيداً . . كان ذلك حافزاً للإنسان أن يفكر فى العزلة . . والهروب حيث الصمت والهدوء . . بعيداً . . بعيداً عن الضجيج والصخب والمشاكل اليومية المعقدة . . وإذا كانت الضجة والصخب وزحمة العمل ومرارة السعى وقسوة المنافسة ضرورية لنمو المادة ، فإن الروح على النقيض من ذلك تحتاج إلى الهدوء والصمت والتأمل لكى تنمو وتزدهر . . ولكن هل يمكن للإنسان ، وإنسان العصر الحديث بالذات أن يعيش فى عزلة . . هذا ما حاول « أبو المكارم » رجل الأعمال اللبنانى المعروف أن يثبته ، عندما جاء إلى مصر وأنشأ فندقاً بالقرب من مرسى مطروح أطلق عليه اسم « فندق العزلة » . . تقوم الحياة فيه على توفير أسباب العزلة التامة لجميع نزلائه .

وقد أجمع رأى كل من شاهدوا هذا الفندق على أنه بحق اسم على مسمى . . فهو يقع على ربوة عالية تطل على شاطئ جميل بمياهه الزرقاء الصافية ، وتكسوها من الخلف مساحة من الأعشاب النامية وأشجار الزيتون والأثل والكاسيا . وإذا ما تطلع

إليه المسافر من بعيد رآه رابضاً فى سكون . نقطة منعزلة ضئيلة محصورة بين بحر من المياه الزرقاء ، وبحر من الرمال الصفراء ممتد بلا نهاية حتى تلتقى بالأفق البعيد .

وقد اعتبر فندق العزلة بعد إنشائه من الفنادق الممتازة لا يؤمه من القوم إلا كبار رجال الأعمال ، وأهل الفكر ونجوم الفن ، وأصحاب القلم ، يقضون فيه أياماً أو أسابيع يستمتعون خلالها بهذه المشاهد الساحرة والمميزات النادرة التى ينفرد بها . . . أما ما عدا هؤلاء فكان محظوراً عليهم ارتياد هذا الفندق لأى سبب من الأسباب إلا إذا أحوجهم الأمر للتزود بالطعام أو الوقود .

وكان « أبو المكارم » حريصاً على أن يوفر لهم فى فندقه كل ما يشتهون من أسباب الهدوء والعزلة ، ففيه غرف وأجنحة فسيحة مزودة بأفخم الأثاث وأحدث الكتب ، وبشرفات تظللها الأغصان الخضراء والزهور اليانعة التى عرفت إدارة الفندق كيف تؤلف بينها بلمسة فنية رائعة . . وقد أعدت الغرف والكبائن بحيث تكون كل واحدة معزولة تماماً عن الأخرى .

ووضع « أبو المكارم » للنزلاء والموظفين تعليمات مشددة أوجب على الجميع مراعاتها بكل دقة . . منها تجنب اصطحاب الأطفال ، وصفق الأبواب ، والتكلم بصوت مرتفع ، وإزعاج الموجودين بأى صوت يؤذى أسماعهم ومشاعرهم .

أما موظفو وموظفات الفندق فقد اختيروا بعناية فائقة ، ودربوا أحسن تدريب ، ولقنوا خير الأساليب فى معاملة النزلاء واستقبالهم . . وكان على رأس هؤلاء « علوى » و « فضيلة » . وهما شابان جامعيان من سكان الإسكندرية أسند « أبو المكارم » إليهما مهمة الإشراف على إدارة الفندق لما توسمه فيهما من نشاط وذكاء وأمانة وإخلاص .

والواقع أن كلا منهما كان أنموذجاً رائعاً لموظف الاستقبال . . كان « علوى » شابًّا فى التاسعة والعشرين من عمره . . طويل القامة . . وثيق التركيب . . رشيق

الحركة . . بشوش الوجه تشوب بشرته سمرة خفيفة تضفى عليه مسحة من الرجولة القوية .

أما « فضيلة » فهى فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرها ، لها قوام ممشوق ، ووجه متورد فاتن ، وعينان متألقتان ، وشعر ناعم مسترسل ، وتتراءى دائماً على شفتيها القرمزيتين ابتسامة رقيقة جذابة . . ولعل من أبرز صفاتها أنها قليلة الكلام لا تعرف الثرثرة . . تدرك من كلمات الضيف القليلة ما يرمى إليه ولذلك فهى موضع إعجاب واحترام الجميع .

وكان الاثنان يتقاسمان العمل فى الإشراف على إدارة الفندق يعاونهما أحياناً «أبو المكارم» وأحياناً بعض طلبة وطالبات جامعة الإسكندرية وعلى رأسهم «فيروز» ابنة «أبو المكارم» الوحيدة وذلك فى الإجازة الصيفية . . وكانت «فيروز» فى التاسعة عشرة من عمرها ذات فتنة وجمال ولكنها عرفت بين جيرانها فى الإسكندرية وبين طلبة الجامعة بنفورها من الشبان بسبب موقف خادع وقفه منها أول شاب فتحت له قلبها ، ومن يومها نفضت يديها من الحب ومشاكله وكرست حياتها لدراستها الجامعية ومعاونة «علوى» و «فضيلة» فى فصل الصيف .

وكان «علوى» و «فضيلة» ينعمان فى الفندق بسعادة لاحد لها . . كان الفندق بالنسبة إليهما أشبه بجنة صغيرة . . كانا سعيدين بعملهما وحياتهما وبسبب إخلاصهما وتفانيهما فى العمل نجح الفندق وازداد الإقبال عليه . . وكذلك أنفقا شهوراً طوالا فى هذا العمل المستمر دون أن يفكر أحدهما فى أن يجذب الآخر إليه أو يتحدث إليه حديث الحب والأسرة والزواج . وقد ساعد على ذلك انهماك كل منهما فى عمله إلى جانب أن قوانين الفندق كانت صارمة صلبة لا مرونة فيها ولا لين . . ولكن «علوى» ما لبث بعد زمن أن أحس بميل شديد نحو «فضيلة» ثم أخذ حبه لها يطغى

عليه ويغمره حتى أخذ عليه كل سبيل . . عندها لم ير بدأ من مفاتحتها برغبته فى الزواج منها ولكنها عندما فاتحها بذلك لم تعطه جواباً شافياً كما كان يتوقع . . فلم تقبل . . ولم ترفض . وإنما استمهلته حتى تسبر غور نفسها . . وتعرف حقيقة شعورها نحوه .

وقد ظل الحال على ذلك إلى أن جاء إلى الفندق الدكتور «شعيب» المدرس بجامعة القاهرة والخبير العالمى فى مجال العلوم الكيميائية . إذ ماكاد يقضى فى الفندق بضعة أسابيع حتى أحس «علوى» بأن «فضيلة» تهتم به أكثر مما ينبغى . . وبأنها تبتسم له فى عذوبة حين يذهب . . وتستقبله فى لهفة حين يعود . . وأنها تغيرت بعد حضوره تغيراً واضحاً . . فهى كثيرة الوجوم . . تدخر ابتساماتها وأحاديثها للدكتور «شعيب» الذى بدأ يكثر من تردده على الفندق للعكوف على أبحاثه العلمية .

وكان «شعيب» شاباً فى مقتبل العمر ، طويل القامة ، وسيم الوجه ، له عينان براقتان تلتمعان ذكاء وفطنة . . وكان قد سافر إلى أمريكا منذ سنوات وعاد منها وفى إحدى يديه درجة الدكتوراة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى فى العلوم الكيميائية ، وفى الثانية حزمة من العزيمة على أن يبتكر لمصر سلاحاً كيميائياً رهيباً لتواجه به تحديات إسرائيل إذا سولت لها نفسها إدخال الأسلحة النووية إلى منطقة الشرق الأوسط . ولم يكن أحد فى أمريكا يعرف شيئاً مما يدور فى ذهنه وقتذاك ، كل ماكانوا يعرفونه عنه أنه اكتشف مواد كيميائية جديدة لم يسبق معرفة خواصها . . وقد أثارت رسالته ضجة بين العلماء الأمريكيين . . وتحدثت عنها الصحف والإذاعة والتليفزيون لأسابيع طويلة . . وناقشه عدد كبير من كبار العلماء فى اكتشافه الجديد . . ولما سمع «شعيب» بعد عودته بفندق العزلة أخذ يتردد عليه من وقت لآخر للتفكير فى معادلات ومواصفات ابتكاره الخطير بعيداً عن أعين الفضوليين

توطئة لتسليمه آخر الأمر إلى الحكومة للعمل على إنتاجه . وكان أساتذة جامعة القاهرة فخورين بجامعتهم العريقة التي تخرج منها الكثيرون من ذوى المواهب الفذة ولكنهم كانوا أكثر فخراً بالدكتور «شعيب» ليس فقط لأنه ظفر بأرقى شهادة فى علوم الكيمياء بتفوق نادر المثال وإنما كذلك لأنه رفض كل العروض المغرية التي عرضتها عليه أمريكا للبقاء فيها والتجنس بالجنسية الأمريكية وآثر أن يعود إلى بلاده ليضع نفسه فى خدمتها .

وذات يوم ذهب «شعيب» إلى إدارة الفندق وهو يمشى على أطراف أصابعه تمشياً مع التعليمات ، وما إن رأته «فضيلة» حتى تراقصت على شفتيها ابتسامة خفيفة . . فيها ظرف . . وفيها عذوبة . . ورمقة «علوى» بنظرات تنطوى على الحقد والحنق .

وسألته «فضيلة» فى كلمات تسيل رقة وعذوبة :

— أهلاً . . وسهلاً . . هل من خدمة أؤديها لك ؟

فابتسم وقال :

— لقد جئت لأعرف شيئاً عن جيرانى الجدد الذين يشغلون الغرفات المجاورة لغرفتى . . أهذا ممكن ؟

فقال «علوى» فى نبرة خشنة :

— يؤسفنى يا دكتور أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك . . إننا فى هذا الفندق نسمى ذلك تحريضاً على إفشاء الأسرار وهو أمر محظور ونؤاخذ عليه بشدة . .

وقطب الدكتور «شعيب» جبينه . . واتقدت عيناه . . ولاح أن هذه العبارة جرحت كبرياءه . .

ومع ذلك فقد أجاب بصوت هادئ ليس فى نبراته شيء من الحدة أو الاستياء !

– يظهر أنك لم تفهمني جيداً . . إنني ما جئت لمعرفة أسرار جيراني . . وإنما جئت فقط لمعرفة شخصياتهم . . وإذا كان الأمر يستحق الاعتذار فإنني أعتذر . .

وارتد على أعقابه فلحقت به «فضيلة» وقالت له :

– مهلاً يا دكتور . . إن الأمر لا يمكن أن ينتهي هكذا .

فالتفت إليها وقال :

– ماذا تعنين ؟

– أعني أنك لم تفعل شيئاً يستوجب الاعتذار . . إن ما طلبته أمر مألوف لا يثير لوماً . . المسألة كلها سوء تفاهم . .

– عجباً . . وما معنى هذا التشاحن إذن .

– مجرد سوء تفاهم كما قلت لك .

– جميل جداً أن أسمع هذا منك يا فضيلة . . إنني أعتبر الأمر منتهياً . .

– إذن فأنت الآن غير مستاء . .

فأجابها وهو ينظر في عينيها :

– طبعاً يا فضيلة . . حسب المرء أن يسمع كلماتك الرقيقة لينسى على الفور كل إساءة .

وتألقت عينا «فضيلة» حبوراً وهمست :

– إنني سعيدة جداً بهذا الإطراء .

فقال وهو يبتسم :

– طبعاً ليست هذه أول مرة تسمعين فيها مثل هذا الإطراء . . لابد أن جميع النزلاء يطرون رقتك وظرفك – وسكت برهة ثم أردف :

– آه . . الآن تذكرت . . ألا تدرين من تشبهين ؟

– كلا . . من هى التى تشبهنى ؟

– إنك تشبهين إلى حد بعيد النجمة العالمية بريجيت باردو . ألم يلفت أحد نظرك إلى هذا التشابه ؟

– أذكر أن البعض أكد لى ذلك ولكنى تعودت ألا أحفل كثيراً بكلام الرجال .

– ولماذا ؟

– لأننى قليلة الثقة فيهم . .

– لابد لذلك من سبب طبعاً . . هل خانك رجل . . وغدر بك . . هل كابدت شيئاً من الرجال ؟

– كلا . . لم يخنى أحد . . ولم أكابد شيئاً من أحد .

– إذن ما الذى حدث ؟

– الذى حدث لم يحدث لى وإنما حدث لصديقتى « فيروز » .

فيروز ابنة صاحب الفندق . . تلك الفتاة الرقيقة التى يطل الحزن دائماً من عينيها .

– نعم . .

– وما خطبها ؟

– إنها يا دكتور قصة طويلة ولكى أرويها لابد لى من نصف ساعة والوقت الآن لا يسمح بذلك . .

– أتعدينني بأن ترويها لى قريباً .

– نعم . . أعدك بذلك .

فسألها قائلاً :

– وأين يمكننا أن نتحدث بحرية والقوانين هنا صارمة لا مرونة فيها .

فترددت قليلاً ثم قالت :

– القوانين تبيح للنزلاء أن يلتقوا فى الكافيتريا مساء السبت من كل أسبوع ، وكل ما هو مطلوب منهم فى هذه الحالة هو أن يتحدثوا بصوت خافت ، هل نسيت ذلك ؟

فقال مبتسماً :

– آه . . الواقع أننى نسيت ، إذن فموعدنا السبت القادم .

– الساعة الثامنة مساء .

وفى تلك الليلة أقبل «علوى» على فراشه كئيب النفس ، مريض القلب قد امتلأ رأسه بخواطر أقل ما توصف به أنها كانت قاتمة شديدة القتمة . . كان بعد اللقاء الأخير بين شعيب وفضيلة يائساً منها أشد اليأس . . ساخطاً عليها أشد السخط . . وكان لها فى الوقت نفسه محباً أشد الحب . .

فلما كان الصباح ولقيها تبادلا التحية كالعادة وأخذت تختلس إليه بين وقت ووقت نظرات كأنها السهام فيها كثير من العطف ، وفيها كثير من القسوة ، وفيها كثير من الإباء الذى يملأ النفس يأساً وقنوطاً . ولكنها على ذلك لم تبادله بشىء مما كان يجول فى خاطرها عن علاقتها بالدكتور «شعيب» وبما تضمره من شعور نحوه هو شخصياً وإنما مكثت معه فى المكتب متلطفة له ، غامضة مع ذلك أشد الغموض . .

وبعد ساعة اشتد ضيقه بعد أن كلَّ صدره عن احتمال صمتها . . فالتفت إليها وقال :

– عندى ما أريد أن أقوله لك يا فضيلة . .

فنظرت إليه متسائلة . . ثم أطرقت برأسها وقالت وهى تطالع بعض الأوراق المكدسة أمامها :

– صبراً لحظة . .

وبعد قليل . . طوت الملفات . . وتركت مكانها . . وجلست على مقعد أمام زميلها . . وهى تقول بلهجة تنم عن الضجر :

– ماذا تريد أن تقول يا علوى ؟

فتردد « علوى » قليلاً . . ولم يدر كيف يبدأ الحديث . . ثم تشجع أخيراً وقال :

– إننى مازلت أنتظر جوابك يا فضيلة .

فسألته قائلة :

– أى جواب . .

فعض على شفتيه . . وقد ضايقه أن تتجاهل « فضيلة » غرضه . . ولكنه كظم غيظه وقال :

– هل نسيت أننى طلبت يدك يا فضيلة . . وأنك وعدتنى بالتفكير فى الأمر . .

فأجابت وهى تشيح عنه بوجهها :

– كلا . . لم أنس . .

وهمت بالنهوض . . ولكنه أمسك بيدها ومنعها من النهوض وهو يقول

– وما جوابك إذن . .

– لا أعلم . . إننى مازلت أفكر فى الأمر . .

– أظن أن سبعة شهور كافية للبت فى الأمر .

فقالت له فى حزم :

– اصغ إلىّ يا علوى . . إن الصلة التى بيننا هى صلة عمل فحسب . . ويجب أن تظل كذلك إلى أن أقطع فى أمر الزواج برأى . .

فانقلبت سحنته فجأة . . وقال وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

– هل تظنينني من الغباء بحيث لا أدرك حقيقة ما يدور حولى ؟

فسألته فى مزيج من الدهشة والتهكم :

– وما الذى يدور حولك أيها الذكى ؟

– ذلك اللعين « شعيب » ذو الصوت الناعم والكلام المعسول . . إننى أرى كيف ينظر إليك وكيف تبتسمين إليه . . ولكنى لن أسمح له بأن يمضى فى لعبته إلى أبعد من ذلك - وكان صوته قد بدأ يعلو فنظرت إلى باب الغرفة المجاورة حيث كان يجلس بعض الموظفين وقالت بصوت خافت ولكنه حازم :

– صه . . ماذا دهاك . . ماذا يقول الموظفون والنزلاء عنا . . هناك شيء واحد يجب أن تعرفه ، هو أننى لن أسمح لك بعد اليوم أن تتدخل فى شئونى لأنك لست وصياً علىّ . .

قالت ذلك ونهضت واقفة استعداداً لمغادرة الغرفة . . وتخاذل « علوى » على الفور . . وقال وهو ينهض واقفاً :

– أرجوك أن تجلسى . . ودعينا نتحدث بهدوء وبلا غضب . .

– لن أجلس إلا إذا وعدتنى بأن يكون حديثنا كما ينبغى أن يكون بين شخصين مهذبين .

وكانت هذه الكلمات كافية لإشعار « علوى » بهوانه أمام هذه الفتاة التى تعرف كيف تجعل لعقلها السيطرة على مشاعرها وتصرفاتها . . وكأنما شاءت الأقدار أن تسهم مع « فضيلة » فى إذلاله ، فقد أقبل عليهما فى تلك اللحظة زبون جديد لقيد اسمه فى سجل نزلاء الفندق . . كان رجلاً فى الأربعين من عمره ، طويل القامة نحيف البنية ، أنيق الهندام ، شديد الاحتفال بانتقاء ثيابه . . نظر الرجل إلى « علوى » ثم نظر إلى « فضيلة » وماكاد يتأملها حتى علت وجهه ابتسامة عريضة

وهتف فى جذل ودهش :

– رباه . . ماذا أرى . . هذه لاشك إحدى الغرائب التى تجل عن التصديق .

وإذ فرغ من عبارته الغريبة التفتت إليه « فضيلة » وتساءلت فى استغراب :

– من أنت يا سيدى . . وماذا تريد ؟ . .

– اغفرى لى جرأتى ، ماكان ينبغى لى طبعاً أن أفاجئك بهذا الكلام قبل أن أقدم نفسى . . ولكن ما حيلتى أمام هذه المفاجأة المذهلة . . أنا يا عزيزتى المخرج السينمائى « إيهاب عز الدين » . . وأعتقد أنك سمعت كثيراً عنى . . فنظرت إليه . . وتراقصت على شفتيها ابتسامة فاتنة وقالت :

– أهلا وسهلا . . يسرنى أن أراك يا أستاذ « إيهاب » . . فقد سمعت الكثير عنك كقصصى ومخرج ومنتج سينمائى . . ولكن ما هى المفاجأة التى هللت لها أثناء دخولك ؟

– المفاجأة هى أنت . . لقد كنت أبحث عن بطلة لفيلمى الجديد تكون شبيهة للنجمة العالمية بريجيت باردو . . وها قد وجدتك بعد أن أعيانى البحث فى طول البلاد وعرضها . . يا لها من ضربة حظ . . إن هذا الاكتشاف سيكون حديث المنتديات وسمر الناس فى القاهرة ، بل وفى كل مكان . . إننى أشعر الآن أننى أسعد الناس . .

وأشرق وجه « فضيلة » على الفور . . وانبسطت أساريرها . . وأحس « علوى » بالغيرة تنهش قلبه ولكنه جاهد نفسه حتى استطاع أن يخفى أمره ويتكلف الرضا ، ويتكلف الابتسام . .

ولكنه لم يلبث مع ذلك أن قال لإيهاب فى نبرة تنطوى على الجفاء :

– يا أستاذ إيهاب . . هلا خفضت من صوتك . . إنك تتكلم بصوت مرتفع

وهو أمر يخالف تعليمات الفندق .

فأجاب إيهاب وهو يخافت بصوته :

– آه . . معذرة . . إننى آسف أشد الأسف لخروجى معكما على قواعد اللياقة . . ولكن هل لى أن أسألك سؤالا . .

– تفضل . . سل ما بدالك . .

– إننى أرى فى عينيك شيئاً من القلق . . أأنت أحد أقرباء الآنسة ؟

– كلا . .

– زوجها ؟

– كلا . .

– خطيبها ؟

– تقريبا . .

– إذن فهذا هو سبب ما بدا عليك من تغير . على كل حال لا تقلق سوف أسند إليك دوراً هاماً فى الفيلم لتكون دائماً إلى جانبها . .

قال ذلك ثم التفت إلى « فضيلة » وقال :

– والآن ما رأيك ؟

– رأيى فى ماذا . .

– فى القيام بدور البطولة فى فيلمى الجديد . .

وكان الجواب مفاجأة . . صمتت برهة ثم قالت :

– آسفة جدا . . لا أستطيع أن أوافق .

فرفع حاجبيه فى دهشة وقال وهو يحملق فيها بعينيه :

– لا توافقين ! !

فقالت فى إصرار :

— نعم . .

— ولماذا ؟

— لأننى قانعة بما أنا فيه . .

— يظهر أنك لا تعرفين شيئاً عن حياة نجمة السينما والأموال التى تتدفق بين يديها . .

— وما عيب الحياة التى أحياها . . إننى أتقاضى هنا مائة جنيه فى الشهر وأبواى يعيشان فى الإسكندرية عيشة راضية . . ماذا أريد أكثر من هذا . .

وضحك « إيهاب » فى سخرية وقال :

— أوتسمين هذه حياة . . إنها مقبرة بالنسبة لفتاة مثلك . . حسناء مثلك يجب أن تقيم فى قصر كبير . . ترتدى أفخر الثياب . . وتتحلى بأغلى المجوهرات . . وتركب أفخر السيارات . . ولن يتأتى لك ذلك إلا إذا عملت فى السينما . . فاغتنمى هذه الفرصة ولا تدعيها تفلت من بين يديك بهذه اللا مبالاة العجيبة . .

— إنها ليست لا مبالاة . . إنها مجرد خوف من العمل فى الوسط السينمائى .

— ومم تخافين ؟

— أخاف أن تعلق بى نقيصة من النقائص التى نطالعها عن بعض أهل الفن فى الصحف .

— ثقى أن هذه مبالغات ينشرها البعض لأنها تلقى اهتماما من الناس ومع ذلك فأهل الفن شأنهم شأن كل فئة فيها الصالح والطالح . .

فأحنت « فضيلة » رأسها وقالت :

— إن هذه الكلمات تغرينى بالموافقة . . ولكن تبقى هناك أشياء يجب أن تقال

وأولها أنني لا أحب أن أترك وظيفتى هنا . . فكيف أوفق بين عملى فى الفيلم وعملى فى الوظيفة .

وهنا تدخل « علوى » فى الحديث قائلا :

- لا تنسى أن الإجازة الصيفية ستبدأ قريبا وعلى ذلك سيكون بوسع « فيروز » أن تساعدنا فى العمل بالمكتب .

فأجابت وقد أدهشها أن ترى « علوى » يوافق على هذا المشروع وهو الشاب الذى يسرف فى الغيرة عليها :

– لا شك أن ذلك يحل جانباً من المشكلة . . ولكن ليس هذا هو الجانب الوحيد الذى يجب أن يحل . . هناك جوانب أخرى كثيرة ينبغى أن تحل أيضاً . . فهناك مثلا موضوع القصة . . وهناك المكان الذى ستجرى فيه حوادثها . .

فابتسم « إيهاب » وقال :

– من ناحية موضوع القصة فإنه يدور حول « الغيرة » ولكنى لم أنته بعد من صياغته فى صورته النهائية وبوسعنا أن نتبادل الرأى فيه من الغد . . أما المكان فيتوقف اختياره على الخيوط التى سأنسجها حول موضوع الغيرة . .

فقالت :

– يخيل إلى أنك إلى الآن لا تعرف ما هى القصة . . ولا كيف تبدأ . . أو كيف تنتهى . .

فأجاب :

– إن أهم شيئين فى أية قصة . . هما العنوان والعقدة . . أما ما عدا ذلك فعبارات وصفية ، وحوار ورسم شخصيات . .

وسكت برهة ثم قال :

– أهناك ملاحظات أخرى يا آنسه . . ما اسمك ؟

فأجابت :

- فضيلة . .

– اسم جميل جداً . .

ثم التفت إلى « علوى » وسأله :

- وأنت . .

– علوى . .

الفصل الثانى

فى تلك الليلة أنفق « علوى » وقته شقياً محزوناً ، مضطرب النفس ، مختلط الأمر لا يستقر فى مجلسه إلا لينهض منه . . أخذ يمشى فى غرفته ذاهبا آيبا . . ثم توقف عن المشى ، وأشرف من النافذة فملأ صدره من نسيم الليل بما يحمل من عذوبة رطبة لذيذة ، ويملأ عينيه من ظلمة الليل بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل . . ولكنه لم يأو إلى سريره ، ولم يفكر فى أن يأوى إليه ، إنما قضى بقية ليله سائراً حائراً ، وكان خليقاً أن يقضيها هادئاً بعد ما سمع من موافقة « فضيلة » على اشتراكه معها فى الفيلم . . وقد سأل نفسه عن مصدر هذا القلق ، وعن علة هذا السهاد ، فلم يهتد من تفكيره إلا إلى شيء واحد . . وهو أن « فضيلة » توشك أن تخرج من حياته ، وأنه لا يستطيع أن يستأثر بها لنفسه كما كان يحلم ويتمنى ، وأنه لن يبلغ معها هذا الأمل الذى كان يداعبه الأيام والليالى بعد أن أصبحت محط أنظار نزلاء الفندق المرموقين وفى طليعتهم غريمه اللعين الدكتور « شعيب » . . وما كان فى وسع علوى أن يستعيد فى ذهنه صورة شعيب حتى يرتعد منه القلب . . وهتف والغضب

يرعد شفتيه :

– ألا تبًّا لك . . إنك تعتقد أنك ستظفر بها . . ولكن هيهات . . سأعرف كيف أزيحك من طريقى . .

وصمت قليلا ثم استطرد يقول لنفسه :

– ولكن لماذا الخوف والحذر . . إن الفندق معروف بصرامة قيوده . . ودقة المراقبة فيه . . . وأن لا سبيل لعاشق إلى بلوغ أمانيه هنا . . كل ما يطمع فيه العاشق هنا لمحة خاطفة يلتمسها من « فضيلة » . . فكيف بعد هذا يطيب لقاء لعاشق فى هذا الفندق الذى يشبه الدير .

أما فضيلة فما كادت تخلو إلى نفسها فى هذه الليلة حتى ثارت فى نفسها عواطف ، وعرضت لها شئون وتصورت المستقبل القريب أو البعيد فتألقت أمامها صور مشرقة بالأحلام والآمال العذاب . . وأخذت تستعيد فى ذهنها ذكريات من الماضى وكيف كانت تشعر دائما بأن لها نفسين متناقضتين . . نفسا تدعوها إلى أن ترمى بشبابها وبجمالها بين ذراعى الحب . . ترشف منه كل ما تشتهى النفس . . ونفسا أخرى تحضها على التقوى والاحتشام . .

إذا عصف الحب بقلبها نادتها الفضيلة : أن احتشمى وارجعى . . شبابك ملك لزوج المستقبل لا للرجال أجمعين . . ابتسامتك . . متعة لعينين اثنتين ، لا لكل العيون . . . جمالك فتنة ينبغى ألا تباع لكل من ينظر ويشتهى . . وفى قلبها كانت دائما تثور العاصفتان وتضطرم الجذوتان ، ولبثت على هذه الحال غارقة تائهة بين هذين التيارين زمناً إلى أن التقت أخيراً بالدكتور «شعيب» فأحست نحوه بما لم تحس نحو شاب آخر . . وشعرت بأنه زوج المستقبل الذى يجب أن تتركز فيه كل أحلامها وأمانيها . .

أما « إيهاب » فقد عاد إلى غرفته فى تلك الليلة وهو يكاد يطير من الفرح لاكتشاف هذا الوجه الجديد . . وكان « إيهاب » رجلا ذا نزوات شاردة ، قد يراه المرء متدفق الحيوية ، شديد المرح . . وفى لحظة خاطفة يجده قد انقلب شاعراً شارد الذهن . . . عميق التفكير . . ولقد مرت به مئات من المغامرات والنزوات النسائية ومع ذلك فما حاول أن يخدع نفسه فيزعم أنه وقع فى الحب . . كلها نزوات لا تكاد تستقر فى قلبه حتى تتبدد وتزول ، أما الحب الحقيقى فما طرق قلبه فى يوم من الأيام . . وكم من مرة قال لنفسه : إذا أحببت يوماً ما فلن أحب إلا فتاة بوجهها فتنة وجمال ، وفى عينيها طهر وإخلاص ، وعندما رأى فى تلك الليلة وجه « فضيلة » قال فى نفسه :

– إن وجه « فضيلة » يمثل الفتاة التى أتمنى أن أحبها .

وفى الصباح عندما التقى « علوى » بزميلته وجدها كعهده بها . . غامضة مدلة . . لا تدنيه إلا لتقصيه ، ولا تلطف به إلا لتعنف عليه . . أفتراها قد وصلت إلى دخيلة نفسه ، ووقفت على جلية أمره ، وعرفت أنه يأتمر بحبيبها « شعيب » ويدبر له أمراً ، وأشفقت عليه من هذا التدبير . كل ذلك ممكن ، وغير ذلك ممكن سواء منه ما عرفه ، وما لم يعرفه . . فقد استقر فى نفسه أن صاحبته بحر لا يسبر غوره ، وليل لا تنجلى ظلمه ، ولغز لا تحل مشكلاته . .

وتبادلا الحديث فى موضوعات تتعلق بالترتيبات الواجب إتخاذها بمناسبة حلول موسم الصيف . . قال لها :

-- إن عبء العمل سيخف طبعاً عن كاهلنا عندما تحضر « فيروز » خلال الإجازة الصيفية ، ولا شك أن هذا سيساعدنا كثيرا على الاشتراك فى فيلم الأستاذ « إيهاب » .

فقالت وفى عينيها نظرة متأملة :

-- هل فكرت فى هذا الموضوع مليًّا يا علوى . .

-- كلا . .

-- أما أنا فقد فكرت فيه كثيراً . .

-- ولماذا . . ألا يروقك أن تصبحى نجمة سينمائية ؟

فقالت فى نبرة فيها مسحة من الاكتئاب الساحر . .

-- لست أدرى . . يخيل إلى أننى لم أخلق للتمثيل . .

ولقى « علوى » هذا التصريح بشىء من العجب والإعجاب . . ولكنه ما لبث أن صدم صدمة اهتز لها كيانه حين سمعها تستطرد قائلة :

-- على أى حال يجب أن أستشير الدكتور « شعيب » قبل أن أقول كلمتى النهائية . .

وأجاب وهو لا يخفى ضيقه ونفوره :

-- وما دخل الدكتور « شعيب » فى موضوع كهذا . . هل أصبح قوة متسلطة عليك وعلى تصرفاتك يدبر أمرك كما يريد . .

فقالت فى هدوء :

-- ليس فى الأمر قوة أو تسلط . . إنه عالم واسع الخبرة والمعرفة وله رأى صائب فى جميع الأمور .

-- وهل عالم الكيمياء يعرف كل شىء عن كل شىء وخاصة إذا كان هذا الشىء لا يمت لمعرفته بسبب . .

فقالت فى كثير من الدل :

- إنك لا تعرفه على حقيقته . . إنه موسوعة لا نظير لها فى كل علم وفن . . لو

أنك صادقته لوجدت فيه شيئا لا تجده فى غيره من النزلاء . .

فنظر إليها حائرا كأنه لم يفهم عنها . . فقالت له فى دلال وزهو :

– إنك رأيت عدداً من النزلاء لا يحصى . . من فيهم يرقى فى نظرك إلى مستوى الدكتور « شعيب » .

– إننى أفضل عليه كثيرين . .

– مثل من ؟

– مثل الأستاذ « المنزلاوى » . . إنه مثال رائع لرجل الأعمال الناجح . . أين منه الدكتور « شعيب » .

– إننى لا أرى وجهاً للمقارنة بينهما . . يكفى أنه رجل كهل ومع ذلك يسلك سلوك المراهقين . .

– وماذا ارتكب حتى تحكمى عليه هذا الحكم .

– ألا ترى كيف يحوم حول « فيروز » ليوقعها فى حبائله مستغلا فى ذلك المأساة التى تعيش فيها .

– وهل اشتكت « فيروز » من تصرفاته معها . . لقد أصبح الرجل الوحيد الذى يثير اهتمامها بعد خيبة أملها فى الشبان . . إنه رجل رقيق دمث الخلق يفيض حيوية وقوة ، ولهذه الأوصاف أنست إليه . . لم يكن فى وسعها أن تحبه كما أحبت خطيبها السابق « اكرامى » وإن كان يستحق أن يحب . . وإن كان هو نفسه فى حاجة إلى أن يحب . . بسبب حياة العزلة التى يحياها . .

ويبدو أن الحديث بينهما فى هذا الموضوع استنفد أغراضه . . أو أنه وصل بهما إلى طريق مسدود . . فقد ساد بينهما صمت عميق . . ونكست الفتاة رأسها وركزت نظراتها على ورقة أمامها . . وأخيرا قالت :

– سيحضر إلى الفندق هذا المساء شخصية هامة . .

– هل هو رجل أعمال أم واحد من أهل الفن ؟

– لا هذا ولا ذاك . . إنه مستشرق ألمانى يدعى « براون » . . وقد فهمت من رسالته أنه اختار فندقنا ليعكف فيه على تأليف كتاب عن حضارة الإسلام . .

– هل يستلزم الأمر اتخاذ ترتيبات خاصة ؟

– كلا . . إنه لم يطلب ترتيبات خاصة .

وأعقبت ذلك فترة صمت أخرى قطعها « علوى » بقوله :

– لنعد الآن إلى ماكنا فيه .

– وما الذى كنا فيه ؟

– أقصد حديثنا عن الفيلم وعن الدكتور « شعيب » . . إننى ما زلت أعتقد أننا سنكون سعداء إذا أقصينا من حياتنا الدكتور « شعيب » ورفضنا العرض الذى عرضه الأستاذ « إيهاب » .

بهذه العبارة الصريحة ألقى « علوى » عبارته ولكن « فضيلة » لم تحاول أن تلقى إليه جواباً شافياً وإنما قالت مراوغة :

– وهل تظن أن الأستاذ « إيهاب » رجل يوثق بكلامه . . إننى أشك فى كلامه .

فأجاب :

– إننى لا أعرف عنه شيئاً . . ولكن طريقة كلامه معك لم تعجبنى . .

– ولماذا ؟

– لأنه بالغ فى تملقك وإطرائك حين ذكر أنك تشبهين النجمة العالمية بريجيت باردو . .

– وهل سبق لك أن رأيت بريجيت باردو فى أحد أفلامها ؟

– كلا . .

– هناك من رآها وذكر أيضا أنها تشبهنى . .

– من يكون ؟

– الدكتور شعيب . .

وأقبل عليهما فى تلك اللحظة « إيهاب » وهو يمشى فى هدوء وقال يحييهما بصوت خافت :

– هالو . . هل كل شىء على ما يرام . .

فابتسمت له « فضيلة » وقالت :

– أهذا أنت يا أستاذ « إيهاب » . . كنت أظن أن الفنانين لا يصحون من نومهم إلا عند منتصف النهار . .

فأجاب « إيهاب » .

– ومن قال لك إننى نمت ، إننى لم أذق للنوم طعماً . .

فسأله « علوى » . .

– ولماذا لم تنم . . هل غرفتك غير مريحة ؟

– بالعكس . . إنها مريحة إلى أبعد حد . .

فنظرت إليه « فضيلة » وقالت متسائلة :

– إذن لماذا جفاك النوم ؟

– لأن أفكارا جديدة طرأت على ذهنى حول موضوع القصة ، سوف تذهلان حين أروى لكما القصة فى إطارها الجديد . .

فسألته « فضيلة » :

- يبدو لى أنها قصة مثيرة ، وإلا لما بدا عليك كل هذا الاهتمام .

فأجاب وهو يأخذ مجلسه إلى جوارهما :

- إنها فكرة مذهلة . . لقصة عجيبة ، ألديكما بعض الوقت لسماعها . .

فقالت « فضيلة » . .

- تستطيع أن تسردها لنا فى إيجاز ، أما التفاصيل فيمكنك أن تستبقيها إلى وقت آخر .

- وهل تكون القصة قصة بغير تفصيلاتها ودقائقها . . هذه التفاصيل ياعزيزتى هى التى تسبغ على حكايتى لذتها وإمتاعها . .

- تماماً . . ولكن يمكنك أن توجز فى هذه التفاصيل دون أن تتجرد حكايتك من عناصرها الممتعة . .

فابتسم لها وقال :

إن من قلة الذوق أن أثير أى اعتراض على كلامك ولهذا أوجز فأقول . . « ايمان » أرملة شابة جميلة مات عنها زوجها دون أن يترك لها سوى ألف جنيه فلم تجد خيراً من الاشتراك مع جارها الرجل القوى « حسنى » فى إنشاء مطعم قرب محطة السيارات فى شبرا يجد فيه السائقون كل ما يحتاجون إليه من الوجبات الخفيفة ، وكان الشريكان يتبادلان العمل فى المطعم يعاونهما رجل دمث الخلق ، خفيف الحركة ، وامرأة متوسطة العمر جادة عاطلة من الجمال ، ولذلك لم تكن مصدر متاعب للشريكين . . وقد ظل الحال يسير على هذا النحو عاما اجتمع فيه للشريكين من المال ما شجعهما على التوسع فى مغامرتهما التجارية ، ولما كان « حسنى » خبيرا بسيارات النقل وما تدره من أرباح ، فقد اقترح على شريكته ابتياع سيارة نقل ووافقته « إيمان » وأصبح الهدف التالى للشريكين هو العثور على سائق كفء أمين

يتولى قيادة هذه السيارة . . وظل الاثنان يبحثان عن سائق تتوفر فيه الصفات المطلوبة إلى أن جاء « فريد » ذات يوم إلى المطعم . . وفهمت « إيمان » من حديثها معه أنه شاب متعطل يبحث عن عمل فى موقف السيارات . . فأقنعت شريكها باستخدامه كسائق للسيارة ، وفريد هذا شاب فى مقتبل العمر . . وسيم . . دمث الخلق . . هادئ الطباع . . تجد « إيمان » متعة فى التحدث إليه ولا تمضى بضعة أسابيع بعد قدوم « فريد » حتى تبدأ الخلافات والمشاحنات بين الشريكين والسبب أن « حسنى » يقع فى حب شريكته ويمنى نفسه بالزواج منها خاصة بعد أن تكللت جهودهما بالنجاح ، وبدأ المطعم وسيارة النقل تدران عليهما أرباحاً طائلة لم يحلما بها . . ويفاتح الشريك شريكته فى أمر الزواج ولكنها تراوغه لأنها لا تحبه وإنما تحب « فريد » . . . ويكتشف « الشريك » علاقة الحب المتبادلة بين سائقه وشريكته فيعتزم طرده ولكنها ترفض طرده لأنه لم يفعل شيئاً يستوجب الطرد ، وتنذر شريكها بفض الشركة إذا تمادى فى سوء الظن بهما . . ويأخذ الشريك فى البحث عن وسيلة للتخلص من « فريد » دون أن يغضب شريكته أو يفقدها . . وأخيرا يتكشف ذهنه عن خطة . . إنه يعلم أن أخطر جهاز فى السيارات بمختلف أنواعها هو الفرامل . . فإذا عبث بفرامل سيارة النقل بطريقة ذكية فإن « فريد » لن يستطيع إذا أسرع بالسيارة أن يتفادى كارثة محققة تقضى عليه أو تصيبه بعاهة . . وسواء حدث له هذا أو ذاك فإنه لن يستطع تعكير صفو حياته بعد ذلك . .

وعند هذه النقطة أمسك « إيهاب » عن الحديث . . ولاذ بالصمت :

فنظرت إليه « فضيلة » مستفسرة وقالت :

– لماذا سكت ؟

فابتسم وقال :

– لأننى لم أهتد بعد إلى عقدة القصة . . ألم أقل لك إن أهم شيئين فى أية قصة ، هما العنوان والعقدة . .

وكان علوى فى هذه الأثناء يَنظر إليهما وهو مغرق فى تفكير عميق . . ولاحظ « إيهاب » وجومه الشديد . . فسأله :

– ماذا بك . . أراك شارد الذهن . . هل أثرت فيك القصة إلى هذا الحد ؟

فانتبه لنفسه وقال وهو يغالب اضطرابه :

– الواقع أننى أحس فى قرارة نفسى بنفور شديد من الخطة التى تفتق عنها ذهن هذا الشريك ، ولوكنت مكانك لقدرت لغريمه النجاة من الفخ القاتل الذى اعتزم الشريك أن ينصبه له . .

– إننى أعتقد أن بعض الناس يحبون هذه النهايات برغم ما فيها من أحزان . . على كل حال أمامنا من الوقت ما يتيح لنا وضع نهاية مثيرة . . المهم أن يسود أحداث القصة الغموض . . ثم يزول الغموض فجأة . . وتظهر الحقيقة . . فإذا النهاية شىء لا يخطر للمشاهد ببال .

وعلقت « فضيلة » على ذلك بقولها :

– عندى أن النهاية المفجعة ليست بالأمر المستحب . . إنها لكفيلة بأن تشيع القلق – وأحياناً الخوف والفزع – فى قلوب معظم الناس . .

فأجابها . .

– ليس هذا بالأمر المهم . . المهم فى نظرى أنه يتعين على المؤلف أن يستوحى قصة من الحياة . .

– وهل معنى هذا أنك استوحيت قصتك من الواقع . .

– تقريبا . . إننى أعتقد أننى قرأت حادثاً مشابها لها فى إحدى الصحف وادخرته

فى ذاكرتى ولا أدرى كيف انبثق فى ذهنى بالأمس . . على كل سأعود إلى غرفتى الآن وأسجن نفسى فيها بضعة أيام أعكف فيها على وضع نهاية للقصة وسيناريو الفيلم . . هل تريدان منى شيئا . . .

فقالت « فضيلة » :

– نعم . . أريد أن تعرف أننى لست متيقنة من رغبتى فى العمل فى الفيلم . .

فنظر إليها حائراً كأنه لم يفهم عنها . . واستطردت تقول :

– يجب أن أستشير أولا شخصاً أثق بمشورته . .

فسألها :

– ومن يكون هذا الشخص ؟

– أحد نزلائنا . . الدكتور « شعيب » . . لعلك سمعت به . .

– كلا . . لم أسمع به . .

– إنه عالم له شهرة عالمية فى علوم الكيمياء . .

– وما دخل الكيمياء فى شئون السينما . .

– إنه شاب واسع الثقافة له معرفة بكل أمور الحياة ، أتحب أن تتعرف به . . ؟

– بكل سرور . . متى ؟

– مساء يوم السبت . .

– ولماذا يوم السبت بالتحديد ؟

– لأنه اليوم الوحيد بين أيام الأسبوع الذى نسمح فيه للنزلاء بمبارحة غرفهم للالتقاء ببعضهم فى الفندق . .

– وأين يتم هذا اللقاء ؟

– فى الكافيتريا . .

– وهل فى الكافتيريا طعام وشراب وحديث دون قيود . .

– بل توجد قيود . . ولكنها ليست ثقيلة . . مسموح بكل هذا ولكن بمقدار وفى حدود . .

– إذن إلى اللقاء يوم السبت . .

– إلى اللقاء .

الفصل الثالث

وفى مساء ذلك اليوم . . أقبل على الفندق رجل فى نحو الخامسة والأربعين من عمره . . طويل القامة ، نحيف الجسم ، متألق العينين . . كان الناظر إليه لا يشك لحظة فى أنه رجل من أهل الفكر . . فقد كان واضحاً من مظهره وسلوكه وصوته أنه إنسان مهذب واسع الثقافة على جانب كبير من الذكاء .

ووقف الرجل ينقل بصره بين « فضيلة » و « علوى » ثم قال باللغة العربية الفصحى :

– أسعدتما مساء . . أنا المستشرق « براون » . . هل وصلتكم رسالتى ؟

فأجابت « فضيلة » فى رقة :

– نعم . . وقد حجزنا لك غرفة مناسبة . .

– أهى مطلة على البحر ؟

– نعم . .

– حسن جداً . . إن الشىء الذى يهمنى هو أن أخلو إلى نفسى طول الوقت

بدون إزعاج .

فأجاب «علوى» :

– من هذه الناحية كن مطمئناً يا سيدى . . إن أهم ميزة فى هذا الفندق هى الهدوء التام وهى صفة لا تجدها فى أى فندق آخر . .

-- إننى سمعت عنه كثيراً ولذلك فضلته عن غيره لأعكف فيه على تأليف كتابى الجديد عن «حضارة الإسلام» . .

فقالت «فضيلة» متسائلة :

– وهل تعتقد أن بوسعك أن تؤلف كتاباً هاماً كهذا فى الوقت الذى ستقضيه هنا .

فأزاح «براون» قبعته إلى الوراء وأحنى رأسه فى حركة بطيئة وقال :

-- أرجح ذلك . . لأننى فرغت من كتابة الجزء الأكبر منه . .

وقال «علوى» وهو ينظر إليه نظرة تنطوى على الإعجاب . .

-- لابد أن مثل هذا العمل عمل شاق . .

فأجاب «براون» :

– نعم . . إنه عمل شاق جدًّا ويحتاج إلى تركيز شديد . .

ونظرت إليه «فضيلة» فى هدوء وقالت فى رقة :

– اطمئن . . سأشرف بنفسى على رعايتك حتى تؤدى مهمتك على أحسن وجه . . إذا احتجت إلى شىء فاطلبنى شخصياً .

فلاحت على وجهه إمارات السرور وقال :

– آه . . أشكرك جداً يا آنسة . .

– اسمى «فضيلة» . .

– يا له من اسم جميل . . إنه لا شك اسم على مسمى .

– شكراً لك على هذا الإطراء .

قالت ذلك ثم ضغطت على أحد الأزرار وطلبت من الخادم أن يقود المستشرق إلى غرفته . . . وفى صباح اليوم التالى دق الجرس فى مكتب « فضيلة » فأسرعت إلى آلة التليفون وهناك سمعت المستشرق « براون » يقول لها فى نبرة رقيقة مهذبة :

– صباح الخير يا آنسة فضيلة . .

– صباح الخير يا مستر « براون » . .

– لقد طلبتك لأعرب لك عن شكرى . . الغرفة رائعة للغاية . .

– آه . . كم يسرنى أن أسمع ذلك .

– أحب أن أؤكد لك أن الليلة التى قضيتها فيها لم أمض مثلها فى أى فندق آخر . .

– حتى ولا فى ألمانيا ؟

– حتى ولا فى ألمانيا . . إن الهدوء هنا شىء رائع لا مثيل له . .

– يظهر أنك تكره المدن .

– فعلاً . . إن المدن عامرة بالصخب والتهافت على المادة . . بعكس الحياة هنا فإنها تقوى الروح وتنميها .

– يبدو أنك شديد النفور من الحياة المادية . .

– إن لى فى ذلك وجهة نظر قد أرويها لك فى يوم من الأيام .

– ولماذا لا يكون اليوم إلا إذا كنت ترى فى هذا تضييعاً لوقتك .

– بالعكس . . إن هذا يسرنى . . يسعدنى أن نتناول الشاى معاً أم أن قيود الفندق تحظر ذلك .

– إن القيود لا تمنع مثل هذا اللقاء بشرط أن يجرى الكلام فيه بصوت خافت . .

– حسناً . . تفضلى إذن . .

فتركت مكتبها وعبرت البهو الكبير على مهل فى تلك المشية الرقيقة التى عرفت بها ، فلما بلغت نهاية البهو صعدت بضع درجات صفت على جانبيها أوانى الزهر وأصص الورود ثم انعطفت إلى ممر يقع على يسارها وظلت تمشى فى الممر بضع خطوات حتى وقفت أمام باب إحدى الحجرات وتمهلت لحظة ثم ضغطت زر الجرس . . وسرعان ما فتح الباب وتلقاها «براون» هاشًا باشًا وهو يقول :

– أهلا . . وسهلا . . تفضلى . .

وقادها إلى الداخل وهو يكرر عبارات الترحيب بها . . وأخذ بيدها وأجلسها على المقعد الفوتيل الفخم وجلس أمامها وقال لها وهو يقدم لها فنجان الشاى :

– هناك كثيرون يقولون إن مثل هذه البقعة المعزولة لا تلبث النفس أن تمجها ولكنى أؤكد لك أنى أحبها أحياناً .

– ولا شك أن هناك أيضاً آخرين يرون عكس ذلك .

– طبعاً . . وهذا يجرنا إلى الكلام عن وجهة نظرى . . الإنسان فى نظرى يعيش بين هذين النقيضين ، أحياناً يجنح إلى المادة فيخسر الروح ، وأحياناً يجنح إلى الروح فيخسر المادة ؛ وخسارة أحداهما خسارة للحياة السوية ، فالمادة ضرورة لابد منها لكى نجسد الروح ، والروح لازمة لكى تجعل المادة ذات طعم ومذاق ، ومن عاشوا للمادة وحدها اختنقوا بها ، ومن عاشوا بالروح وحدها انعزلوا وضمروا ونبذتهم الحياة . . ولا يمكن أن تكون هناك استقامة فى الحياة بدون وجود توازن بين الروح والجسد . . وفقدان هذا التوازن هو الذى يسبب القلق والأرق وسائر الأمراض

النفسية التى يشكو منها إنسان العصر الحديث . .

ولما سمعت « فضيلة » حديث الرجل استغرقت فى التفكير لحظة ، ثم نظرت إليه وقالت متسائلة :

– كأنك غير راض عن تجربة « فندق العزلة » . .

– بالعكس . . أنا راض كل الرضا بشرط ألاَّ يقيم فيه الإنسان طويلاً . . إن فى فندقكم مجالاً فسيحاً للصمت والهدوء والتأمل ، ولكن إذا طال مقام الإنسان فيه أصبح مهدداً بفقدان التوازن بين الروح والمادة .

وصمت الرجل لحظة ثم قال :

– لقد سألتنى كثيراً والآن جاء دورى لأسألك وتجيبين .

فانكمشت وانطوت وقالت فى تواضع :

– وهل لدى ما أعطيه لك وأنت بحر زاخر . .

– إننى لا أطلب منك شيئاً يتصل بالعلم . . أريد أن أسألك سؤالاً شخصيًّا . . هل تسمحين . .

– بكل سرور . .

– هل تطبقين فى حياتك التوازن الذى أشرت إليه . .

– إلى حد كبير . .

– كيف ذلك وأنت تعيشين هنا كالراهبة .

– إننى لا أقيم هنا طول وقتى . . فأنا أقضى هنا أسبوعين وأمضى ثلاثة أيام مع أبواى فى الإسكندرية . . وأيامى هنا وهناك أيام جميلة تبعث فى النفس سعادة لا حد لها . . فهناك مرح وتنزه وسينما ومسرح وموسيقى وهنا تطويف بالشواطئ الجميلة ، وامتزاج بهذه البيئة الحلوة الهادئة ، وتعرف إلى شخصيات ممتازة فى

الأدب والعلم والفن .

– يخيل إلى أن جميع النزلاء هنا يحبونك ، فأنت لطيفة الحديث ، تستقبلين النزلاء بمودة وبشاشة وترحيين بهم . . ولا شك أن تعرفك بهذه الشخصيات هو الذى أكسبك هذه اللباقة المحببة . .

– لست أدرى إذا كنت تقول ذلك من باب المجاملة أم لا . . ولكن على كل حال أنا سعيدة بالصداقة التى تربطنى بأكثر نزلاء الفندق وخاصة العباقرة منهم . .

– وهل يوجد هنا عباقرة ؟

– أحسب ذلك .

– كم أتمنى أن أكون واحداً منهم كى أحظى بصداقتك مثلهم . .

– إن ذلك يسعدنى وما دمت تريد ذلك فحدثنى أولاً عن نفسك وعن أعمالك . .

فقال متسائلاً وهو يبتسم :

– أتريدين قصة حياتى أم السنوات الأخيرة منها ؟

– يكفى أن تبدأها من مرحلة شبابك :

فأطرق برأسه مفكراً ثم نظر إليها وقال :

– كنت فى شبابى متمتعاً بالصحة والحيوية والروح العالية وبوفرة من المال ، ولكنى بعد تخرجى من جامعة برلين لم أضطلع بأى مسئولية . . كنت أعيش للساعة التى أنا فيها . . واستهوانى الترحال . . فسافرت من بلد إلى بلد . . وتخلفت فى الأمكنة التى تطيب لى . . ثم واصلت السفر كلما شاقنى رؤية وجوه جديدة ، أو رؤية صورة جديدة من صور الحياة . . كان هذا شأنى ، فأنا لم أشعر بالسعادة الحقيقية ، وبراحة النفس إلا وأنا محوط بالناس . . كانت تسليتى الوحيدة أن أراقب الناس . .

بل إنى لم أكتف بملاحظتهم ولكنى كنت أدرسهم وأدرس أحوالهم ، وأسجل كل ما أراه فى مذكرات خاصة كما كان يفعل الرحالة العربى الشهير « ابن بطوطة » . . وعدت بعد بضع سنوات إلى بلدى فى ألمانيا حيث وقع قلبى فى حبائل فتاة جميلة شجعتنى فى أول الأمر ولكنها ما لبثت أن غدرت بى وهجرتنى . . وكانت الضربة من القسوة بحيث أكرهتنى على الاستسلام إلى الكآبة والركون إلى الوحدة . . وأخيراً رحلت إلى إنجلترا وهناك أتيحت لى فرصة دراسة الآداب العربية والفارسية والتركية . . ثم تعمقت فى دراسة الحضارة الإسلامية بعد أن قمت بزيارات متعددة لدول الشرق الأوسط . .

وسألته فى حماسة ولهفة :

– وما رأيك كمستشرق فى الحضارة الإسلامية ؟

فأجاب فى تأثر ظاهر :

– إن هذه الحضارة تنطوى على فلسفة من أعمق ما شهدته الإنسانية من فلسفات ، ولقد أمعنت النظر فيها طويلا وانتهيت من ذلك إلى رأى أعتقد أنه خلاصة لكتابى الجديد ، وهو أن العرب قدموا الحضارة إلى أوربا ، وأعتقد أن الحضارة تنتقل الآن غرباً إلى أمريكا ، ولكنها لابد عائدة إلى هذا الشرق قرب المدى أو بعد .

وسألته :

– وما رأيك فيما يقال عن تهافت بعض المستشرقين بأقلامهم على الإسلام ؟

– هناك لا شك متحاملون . . ولكن فيما يختص بى فقد تتبعت الإسلام وليداً ناشئاً ، وترسمته قرآناً وسنة ، ودرست أصوله ومذاهبه وفرقه بأسلوب علمى دقيق ، فلم أذكر فكرة إلا أوردت لها نصًّا وأوردت للنص مرجعاً ، وأقسم لقد كنت فى

كل ما نقلته نزيهاً ، ما حذفت لفظة واحدة ، ولم أذم الإسلام قط .

وسألته :

- هل تتابع تطورات النزاع العربى الإسرائيلى ؟

- طبعاً . . إنه جزء من دراستي . . أتحبين أن تسمعى رأيى فيه ؟

- نعم . .

- إذن اسمعى . . إننى أحب بادئ ذى بدء أن تعلمى أننى أكره إسرائيل من أعماق قلبى لأنها دولة عنصرية توسعية . . تهدف إلى تمزيق الأمة العربية وتفتيت كيانها لتنشئ مكانها إمبراطورية يهودية تسيطر على العالم فى نهاية المطاف . .

- إذن فأنت تعتقد أن إسرائيل لا ترغب فى السلام .

- إن إسرائيل لا يمكن أن تتنفس فى جو السلام لأنها تعتمد فى تدفق المهاجرين والمعونات المالية والعسكرية على إحساس يهود العالم والدول المتعاطفة معهم بأنها تعيش دائماً تحت خطر الإبادة . . وإذا نجح العرب فى تبديد هذا الوهم وفى أن يثبتوا للعالم أن إسرائيل هى التى تبذر بذور الحرب فى المنطقة فإنهم بذلك يضعون الكيان اليهودى فى موقف لا يحسد عليه . .

ونظرت إليه نظرة تنطوى على الإعجاب وقالت :

- هذه أبلغ كلمات سمعتها من رجل أجنبى عن العدو الإسرائيلى . .

وازدهى بعبارتها ، وسرته حماستها ، وأجاب :

- إن هذا أقل ما يوصف به عدوكم الإسرائيلى ، إنه عدو لا حد لغدره وخداعه ولؤمه . .

وانتقل الحديث بينهما بعد ذلك إلى الكلام عن أبرز أصدقائها الذين تعرفت بهم فى الفندق . . فاختصت بالذكر الدكتور «شعيب» والأستاذ «إيهاب» وأطرت

نبوغهما فى مجال العلم والقصة ، وكان « براون » أثناء حديثها لا يفتأ يحدق بعينيه فيها ويتأمل حماستها وهى تصف عبقرية الدكتور « شعيب » وما بلغه فى علوم الكيمياء . . وعندما فرغت من حديثها قال لها :

– دعينا من الكيمياء ومجالاتها فلست أعرف عنها شيئاً ولا أحب أن أعرف عنها شيئاً ، ولنتحدث فى القصة لأنها من أحب فنون الأدب إلى قلبى . .

– وماذا تريد أن تقول عن القصة ؟

– أريد أن أقول بإيجاز إن أبرع من كتب فى فن القصة هم الكتّاب الروس . . وهناك من يقولون إن فن القصة بلغ أوج كماله فى القرن التاسع عشر فى روسيا ، فقد سبق الروس فى هذا القرن أساتذتهم من الفرنسيين والإنجليز والألمان حتى غدوا الأساتذة وأحدثوا فى هذا القرن أثراً بعيداً فى فن القصة فى هذه الأمم الثلاث وفى غيرها ممن نقلوا القصة الروسية إلى آدابهم . . والسبب فى هذا التفوق راجع إلى أن الكتاب الروس كان عليهم أن يخلقوا وسيلة بها يتكلمون ولكن على ألا يفطن إلى ما يريدون المنصتون من الحكام والرقباء . . وكانت القصة فى حد ذاتها كعمل فنى خير معين لهم على ذلك ولكنهم أضافوا إليها ما أضافوا من صور الوصف فأبدعوا تصوير ما كانوا يريدون تصويره من مشاهد الحياة وآلامها ، وألوان العواطف الإنسانية وخلجاتها ، ولقد أدى بهم هذا إلى أن يسلكوا وإن لم يقصدوا مذهب الفن للفن ، فلم يدعوا إلى شيء إيجابى ، أو يقترحوا علاجاً لداء ، وإنما اكتفوا بتصوير الحياة الروسية كما هى بما فيها من خير وشر . . أما فى القرن الحالى فالحياة الحاضرة بكل ما تنطوى عليه من خوف وقلق وتعقيد قد اضطرت الأدب إلى النزوع إلى التحليل النفسى . . ولست أدرى بأى هذه الاتجاهات تأثر صديقك الأستاذ « إيهاب » فى كتابته لقصصه . . ولا شك أنه يسرنى أن ألتقى به لأتعرف به وأقف

بنفسى على اتجاهاته . . كما يسرنى أيضاً أن تقدمينى إلى صديقك الآخر . . ماذا يدعى ؟

– الدكتور « شعيب » .

-- آه . . الدكتور « شعيب » . . متى يتاح لى رؤيتهما ؟

-- يوم السبت إن شاء الله . . فى الكافيتريا .

الفصل الرابع

وحل يوم السبت وكان الدكتور «شعيب» و«فضيلة» أول من حضر إلى الكافيتريا . . جلسا حول مائدة صغيرة فى أحد الأركان وقد بدت على وجه كل منهما دلائل السرور والارتياح .

قالت «فضيلة» تحدث صديقها العالم الشاب :

– ستقابل الليلة شخصية عظيمة .

فابتسم لها وقال متسائلاً :

– ترى من تكون ؟

– مستشرق ألمانى يدعى «براون» . . سأحدثك عنه الآن . .

– لا . . لا . . دعى الحديث فى ذلك الآن وحدثينى عن قصة «فيروز» ، لقد أعددت نفسى لسماعها .

– حسناً . . دعنى أفكر من أين أبدأ .

واحتست محتويات قدحها من عصير البرتقال وقالت :

- سأسرد النقاط الرئيسية . . أما التفصيلات فسأسقطها من حسابى . .

-كما تشائين . . هاأنذا مصغ إليك . .

- إن «فيروز» كما لا شك لاحظت تتمتع بجمال فتان وهى علاوة على ذلك تنحدر من منبت كريم وقد اعتادت منذ صغرها أن تتلقى المعاكسات ونظرات الإعجاب من جيرانها وزملائها فى الدراسة ، فقد كان الشبان مغرمين بمغازلتها ومعاكستها ولكن أحداً منهم لم يستطع أن يظفر بقلبها . . كان قلبها من الصلابة بحيث لم يطاوعها على الاستجابة لأية محاولة من المحاولات التى بذلها الشبان الذين تدلهوا فى حبها وهاموا بجمالها . . ولبثت على هذه الحال بضع سنوات إلى أن وقعت أخيراً فى شراك الحب . . أحبت شاباً يدعى «إكرامى» حبًّا شديداً ملأ قلبها وعقلها وعواطفها وشعورها جميعاً . . ولكنها صدمت بعد ذلك صدمة مروعة حين علمت أن فتاها لم يكن مفتوناً بها كما ظنت وإنما كان يخادعها ويعبث بها ليكسب رهاناً من بعض أصدقائه . . وقد ظلت تفاصيل هذا الرهان سراً لا يعلم به أحد . . إلى أن صارحها أحد المتراهنين بما وقع وقدم إليها تعهداً كتابياً من إكرامى يتعهد فيه بالمراهنة على إيقاعها فى حبائله ليثبت للجميع أن ما من فتاة يمكن أن يستعصى أمرها عليه . . وبعد هذه المكاشفة الأليمة التى قتلت نفسها ، وسحقت قلبها ، ومزقت فؤادها عاشت «فيروز» مع والدها وزوجة أبيها بعد وفاة أمها حياة مقفرة لا يخالج قلبها ذرة من الحب أو الميل إلى الشبان . . ومن أجل هذا لا أستبعد أن تقدم على الزواج من رجل ولَّى عنه الشباب . . لا أستبعد أن تستجيب مثلاً لرجل مثل الأستاذ «المنزلاوى» الذى يحاول أن يرمى بشباكه حولها .

فرفع «شعيب» حاجبيه فى دهشة وقال :

- الأستاذ المنزلاوى ؟ ؟

– نعم . .

– ولكنه رجل فى سن أبيها . .

– هذا صحيح . . ولكنى أشعر شعوراً غامضاً بأنه يستطيع أن يستميلها ، ويستميل والدها ويستميل أهلها جميعاً . .

– أهو على هذه الدرجة من الدهاء ؟

– إنه إنسان غريب ولكنه مع ذلك أرضى الناس عن الحياة وأسعدهم بها كما تدل على ذلك تصرفاته . . فهو ينفق المال بلا حساب وما سأقوله الآن لا يجب أن يصل إلى علم «فيروز» . . إننى أخشى أن يورطها بخداعه ومعسول كلامه فى علاقة وثيقة . . لا مفر من أن يترتب عليها بعد ذلك حسرة وندم ودموع . . ثم يسارع إلى مدينة أخرى ليوقع فتاة أخرى فى شراكه . .

– لا أعتقد أنه يقدم على عمل كهذا . . حسبه منها أن يأنس إليها وتأنس إليه وبعد ذلك يغريها بالزواج منه . .

وماكاد يفرغ من حديثه حتى سمع صوتاً يقول :

– هالو . . أنت الدكتور «شعيب» أليس كذلك ؟

فنظر إلى القادم وقال فى دهشة :

– من أنت ياسيدى . . وماذا تريد ؟ يلوح لى أنك تعرفنى ، ولقد كان ينبغى أن تقدم نفسك إلىَّ ولكنى أراك مرتبكاً مضطرباً ولهذا أغفر لك هذه الهفوة .

فتقدم نحوه وقال :

– لست مضطرباً ولا قلقاً ، ولكنى قصدت المزاح والمداعبة . . هل ساءك هذا ؟

وضحكت «فضيلة» وقالت :

– هذا الأستاذ «إيهاب عز الدين» القصصى والمخرج السينمائى . . لقد كنت أوشك أن أتحدث معك بشأنه .

فنهض الدكتور «شعيب» من مكانه وقال مبتسماً :

-- أرجو المعذرة . . لقد فاجأتنى ولكن يظهر أن كتاب القصة مغرمون بالمفاجآت .

فقال له مداعباً :

– هذا صحيح . . ولكنى جئت الآن لأقدم إليك إنذاراً نهائياً . .

فقال يجاريه فى دعابته :

– إنذاراً نهائياً . . أتنوى أن تعلن الحرب علىَّ . . ومتى تقع الغارة الجوية ؟

– الليلة . . أللهم إلا إذا وافقت على رأيى .

-- رأيك فى ماذا ؟

-- فى اشتغال «فضيلة» فى السينما . .

ومرت لحظة من الصمت . . وتبادل الرجلان نظرات صامتة . . وابتسمت «فضيلة» وقالت :

– لماذا تقفان هكذا . .

فجلسا إلى جوارها . . وقالت لإيهاب وهى تبتسم :

– ما رأيك فى كأس من عصير البرتقال . .

فقال فى لهجة جادة :

-- شكراً ، لا رغبة لى الآن فى الشراب . . سأحتسى قدحاً من القهوة بعد أن نتحدث فى الموضوع . . والآن يادكتور «شعيب» ما رأيك ؟

فتردد «شعيب» قليلاً . . ولم يدر كيف يجيب . . ثم تشجع أخيراً وقال :

– ومن الذى طلب أخذ رأيى ؟

فأجاب :

– فضيلة هى التى طلبت ذلك .

فارتسمت على شفتيه ابتسامة هانئة . . وتبادل معها نظرة سريعة ولكنها كانت كفيلة بأن تكشف له عن حقيقة شعورها نحوه . . فى هذه اللحظة عرف الدكتور « شعيب » أنها تبادله حباً بحب . . ولم يخف على « إيهاب » ماكان يعتمل فى صدر « شعيب » من تردد فقال له :

– ماذا دهاك يادكتور . . إننى أنتظر جوابك .

فأجاب شعيب :

– أتريد رأيى بصراحة ؟

– طبعاً . . ولكنى أرجو ألا تتعجل الحكم قبل أن تعرف المجد الذى ينتظرها والأموال التى سوف تتدفق بين يديها . . سوف أجعل منها نجمة يتردد اسمها على الأفواه . .

فنظر إليه بإمعان ثم قال فى هدوء :

– أعتقد أن هذا شىء لا يفرح فتاة مثل « فضيلة » . . إنها لا شك فتاة جميلة ولكن جمالها يجب أن يكون لرجل واحد لا لكل الرجال . .

فأجابه فى نبرة حانقة :

– هذا تزمت ماكان ينبغى أن يصدر عن رجل عصرى مثلك .

فقال معترضاً :

– إننى لست بالرجل المتزمت .

– إذن كيف ترضى أن تذوى هذه الزهرة الجميلة اليانعة وراء هذه الجدران القاتمة .

– ومن قال لك إنها شقية بحياتها . . بوسعك أن تسألها . .

فالتفت «إيهاب» إلى فضيلة وقال :

– أعرف أنه وضعك فى موقف حرج . . أؤكد لك أنك سوف تندمين كثيراً إذا ما أخذت بكلامه .

فشاعت فى وجهها إمارات الحيرة . . ثم لاح بعد لحظة أن عزمها استقر على أمر ، قالت :

– آسفة جداً يا أستاذ «إيهاب» . .

فسألها فى انزعاج :

– ماذا . . أترفضين ؟

– نعم . .

– ولماذا ؟

– لسبب بسيط هو أنني لست من طلاب الشهرة .

وعلق شعيب على ذلك بقوله :

– لاشك أنه من الخير للإنسان ألا يكون من طلاب الشهرة لأنهم كطلاب المال لا يشبعون أبداً . . هم أشقى الناس لأن سعادتهم فى الطموح المستمر لا فى بلوغ الغاية والانتهاء إلى الأمد .

فأحس «إيهاب» بنفور شديد منه ولكنه كظم غيظه وقال فى تخاذل :

أنت تعلم يا دكتور أن اكتشاف نجم جديد يعتبر حدثاً خطيراً فى حياة المخرج ، ولن يسوء «فضيلة» فى قليل أو كثير إذا قبلت العمل معى فى هذا الفيلم فقط ، إننى

أعدك بذلك ، فما رأيك ؟

فنظر إليه «شعيب» وقال :

– حاول أن تبحث لك عن فتاة أخرى . . فقد تجد من بين طالبات الشهرة واحدة ترضيك . .

فأجاب فى نبرة تنم عن الحنق والتوتر :

– مستحيل أن أجد فتاة مثلها . . لقد حالفنى الحظ بالعثور عليها ، فلماذا تقف فى طريقى وتفوت على هذه الفرصة الذهبية . .

فأجاب فى إصرار :

– إنك تضيع وقتك عبثاً يا أستاذ إيهاب . . إنى أعرف «فضيلة» وأعرف أنها لا تحفل بالشهرة ولا تكترث بالمجد . .

فالتفت إليه مغيظاً محنقاً وقال :

– بالعكس . . إنها لم تعترض عندما فاتحتها فى الأمر . أنت السبب فى عدولها عن قرارها .

وكان صوته قد بدأ يعلو . . فنظرت «فضيلة» إلى النزلاء الذين كانوا يجلسون بالقرب منهم . . . وقالت بصوت خافت .

– لا داعى للغضب . . تكلم فى هدوء وإلا غادرت المكان . .

فانقلبت سحنته فجأة ، وقال وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

– إننى لن أسمح له بأن ينسف آمالى . .

وسكت لحظة ثم قال لفضيلة :

– إنى لست حانقاً عليك لأنك كما أرى أداة طيعة بين يديه . . ولكنى مازلت أطمع فى أن تعيدى التفكير فى الأمر دون التقيد بآرائه . . ومن يدرى لعله هو الآخر

يعدل عن رأيه لو ألغى من عقله هذا التزمت الغريب .

قال ذلك ثم نهض واقفاً وغادر الغرفة وهو يهتز من الغضب والانفعال . .

وعقب انصرافه التفتت «فضيلة» إلى «شعيب» وقالت له فى نبرة يغلب عليها الرثاء والإشفاق :

- ترى هل أسأنا إليه ؟

فقال محاولاً أن يسرى عنها :

- إننا لم نجن ذنباً يستحق منا تبكيت الضمير . . إنه هو الذى خرج منذ البداية عن قواعد اللياقة والأدب والأصول المرعية . . ومع ذلك سنحاول التلطف معه فى الحديث إذا عاود الكلام فى الموضوع دون أن نحقق له رغبته .

- أتظن أنه سيعاود الحديث فى هذا الموضوع بعد كلامنا القاطع الحازم .

- الحق أننى لا أدرى . . ولكن يخيل إلى أن للرجل مأرباً آخر .

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أنه ربما كان يسعى لإيقاعك فى حبائله . . وأعتقد أنه يشعر الآن بخيبة أمل قوية بعد أن عرفته على حقيقته وعرف أننى أقف إلى جوارك . . إنه الآن دون شك يحس فى نفسه حسرة عارمة لأنه لا يستطيع أن يستمتع بجمالك كإنسان . . ولا بجاذبيتك كفنان . .

فظهرت على وجهها أمارات الرضا والسرور والدهش جميعاً وقالت :

- هذا كلام صريح أسمعه منك لأول مرة . .

فأجابها فى صوت جاد فيه كثير من العطف والحنان :

- أتأذنين لى فى أن أكلمك بصراحة أكثر ؟

فقالت مبتسمة :

– بكل سرور . . ماذا تريد أن تقول ؟

فقال فى صوت هادئ وادع :

– أريد أن أقول إننى أحبك كما لم يحب رجل فتاة قط . . وقد بلغت من قلبى منزلة لا تدانيها منزلة أى إنسان آخر حتى أصبحت لا أفكر إلا فيك ولا أفكر إلا بك ولا أفكر إلا لك . .

فقالت فى كثير من الجذل والدلال :

– كم أنا سعيدة بذلك . . ولكن لماذا لم تحدثنى بهذه الصراحة من قبل . .

– أحببت أن أتريث حتى أستيقن من شعورك نحوى . .

فابتسمت وقالت فى صوت ينم عن الحب والعطف :

– وهل استيقنت الآن من حقيقة شعورى ؟

– بكل تأكيد . . لم أكن محتاجاً إلى ذكاء كثير لأعلم من عينيك علمه .

فضحكت وقالت :

– إن هذا يدل على براعة ومهارة وذكاء لا تتوفر فى كثير من الرجال . .

– إن هذا لا يدل على شيء من هذا وإنما يدل على صفاء عينيك اللتين أفصحتا لى عما فى قلبك من مشاعر الحب والإخلاص . .

ودخل الكافيتريا فى هذه اللحظة المستشرق « براون » وما إن لمحته « فضيلة » حتى تطلعت إليه بنظرات تفيض رقة وقالت « لشعيب » . .

– هو ذا المستشرق الذى حدثتك عنه . . أتحب أن تتعرف به ؟

– إن هذا يسرنى . .

فنهضت من مكانها واتجهت صوب المستشرق وهى تقول :

– أهلاً بك . . أتحب أن تشاطرنا جلستنا وتتناول الشاى معنا . .

فأجاب وعلى ثغره ابتسامة رقيقة :

– بكل سرور . . من الذى يجالسك ياعزيزتى ؟

– الدكتور « شعيب » .

– آه . . عالم الكيمياء الذى حدثتنى عنه . .

– نعم . . هو بعينه . . إنه عالم ذو سمعة عالمية كبيرة برغم صغر سنه .

– إن معرفتى به شرف كبير لى .

– إذن تعال لأقدمك إليه .

وتقدمته فى رشاقة إلى حيث يجلس « شعيب » وقالت للدكتور « شعيب » . .

– الأستاذ « براون » المستشرق الألمانى . .

فنهض الدكتور « شعيب » من مكانه وصافحه وهو يقول :

– أهلاً . . وسهلاً . . إنى سعيد برؤيتك .

– وأنا كذلك سعيد برؤية عالم كبير مثلك . .

– هلا تفضلت بالجلوس . .

– أشكرك . .

وبعد أن اتخذ مجلسه إلى جوارهما سألته « فضيلة » . .

– أى شراب تفضل يامستر براون؟

– أفضل قدحاً من الشاى . .

وجاء الجرسون فقالت له « فضيلة » . .

– شاى . . قدحان . .

فسألها شعيب » . .

– ولماذا قدحان . . لماذا لا تكون ثلاثة أقداح .

فابتسمت وقالت :

– أرجو المعذرة . . هناك أشياء تتطلب وجودى بالمكتب . .

قالت ذلك ثم نهضت وحيتهما ومشت نحو الباب بخطى رشيقة ثابتة تنبئ عن كبرياء وثقة بالنفس . . وبعد انصرافها التفت « شعيب » إلى « براون » وقال وهو يرفع قدحه إلى شفتيه :

– أرجو أن تكون رحلتك موفقة . .

فأجابه بصوت هادئ عميق :

– للغاية . . إنها أنجح الرحلات التى قمت بها إلى الآن . .

– هل زرت بلاداً كثيرة . .

– نعم . . لقد زرت جميع بلاد أوربا والشرق الأوسط .

– وأى البلاد استرعت اهتمامك أكثر من غيرها ؟

– أقطار الشرق الأوسط طبعاً لأنها موضوع أبحاثى ودراساتى . . إننى مشغول الآن بتأليف كتاب جديد عن حضارة الإسلام . .

– وما الذى أغراك بالكتابة عن الإسلام وحضارته . .

– لابد أنك تعرف أن جوته شاعر ألمانيا العظيم قد نهل من معين الثقافة الإسلامية وكانت مصدراً استقى منه العديد من أعماله الأدبية والشعرية . . وفى كثير من القصائد التى كتبها نجد روح الإسلام وتعاليمه حتى إنه كان يحول الآيات إلى أشعار . . وكان هذا الشعر الذى قرأته كثيراً هو المدخل الأساسى الذى دعانى إلى البحث فى الحضارة الإسلامية وخصائص الدين الإسلامى .

– وما أهم هذه الخصائص فى نظرك ؟

– أهم هذه الخصائص أن هذا الدين دين الإنسان . . دين الفطرة ، فهو

يمتلك خصائص التوافق الرائع مع مكونات الإنسان . . مع طبيعته . . التوافق بين الواقع والحلم . . بين احتياجات الجسد وأشواق الروح . . ومن هنا سر ملاءمته لكل تطور . . والتقاؤه مع كل قادم واحتضانه لكل آت . . وصلاحيته لكل زمان ومكان . .

– وما رأيك فى المغالطات المغرضة التى يروجها بعض المستشرقين عنه . .

– أى مغالطات تعنى ؟

– هذه المغالطات التى تزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف . . وبأسنة الرماح غلب . .

– إن التاريخ يقدم ما يدحض هذه المغالطات . . فلوكان الإسلام هكذا فلماذا لم ينحسر عندما تجرد من قوة السيف ولم تعد لدولته الغلبة . لماذا لم يلاحقه الجذر عندما استعمرت كل أمصاره . . ودهمت جحافل الغزو كل أقطاره . . إذن لم تكن تحميه أى قوة غير خصائصه الذاتية ومناعته الخاصة وقدرته على مواجهة التحديات . . إذن فلم يشهر الإسلام سيفه ولكنه قدم تعاليمه . . لم يستجلب أحداً بالقهر إنما اجتذب الناس بالإقناع والحب . . وإذا كان الإسلام قد قدم الخلاص لعصور ماضية . . لأنه محق العنصرية . . والسيطرة . . والاستغلال والظلم . . وحرر الإنسان من ربقة الشر بكل ما يمثله . . إن الإسلام بكل ما فجره من طاقات بناء . . وكل ما قدمه من حقائق . . وما أرساه من دعائم ، وما نفذ به من تعاليم خليق أن يقدم لأطفالكم وشبابكم بأسلوب سهل يرد على الأسئلة الكثيرة التى تراود أذهانهم ، وترد ردوداً مقنعة على الأفكار التى تبث فى أوساطهم وتتسرب إلى عقولهم . . .

– أنت على حق . . إن هذا لا يتأتى فى نظرى إلا بتدريس الدين فى المدارس

بأسلوب حديث . وجعل مادة الدين مادة أساسية هو إحدى وسائل تثقيف شبابنا وفتياتنا بهذه الثقافة الدينية المنشودة . . فلا حياة ، ولا مجد لأمتنا ، ولا منقذ لها إلا بالعودة إلى الدين . . عقيدة . . وشريعة . . ونظام حياة . . وصدق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حين قال «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» .

فابتسم «براون» ورمقه بنظرة إعجاب ثم قال :

– أأنت متفقه فى الدين ؟

– إننى مولع بقراءة الكتب الدينية أقرؤها بنفس الاهتمام الذى أقرأ به ما يكتب عن الكيمياء والتكنولوجيا . .

فنظر إليه المستشرق فى إمعان وسأله :

– لقد فهمت من «فضيلة» أنك من أكبر العلماء المتخصصين فى علوم الكيمياء . . أليس الأمر كذلك ؟

– أحسب ذلك .

– لست أدرى لماذا تتملكنى الرعدة كلما سمعت حديثا عن الكيمياء والذرة . .

– ربما كان السبب أنها مرتبطة فى ذهنك بأهوال الأسلحة الذرية والكيماوية .

– أخالك على صواب . . إن الأسلحة الذرية والكيميائية أسلحة بشعة ينبغى الإسراع بتدميرها قبل أن تدمر العالم وتتسبب فى فناء البشرية .

– هذا أقصى ما تتمناه الدول المحبة للسلام ، والدول التى ماتزال تنزف من أجل حريتها وتناضل ضد التفرقة العنصرية وضد الصهيونية التوسعية . . وضد الاستعمار بأشكاله المختلفة . .

فقال المستشرق فى حماسة ظاهرة :

– إن العالم بأسره يجب ألا يقف إلى جانب هؤلاء المتوحشين . . وأخص منهم

بالذكر عدوكم الإسرائيلى . .

وانتقل الكلام على أثر ذلك إلى موضوع النزاع العربى الإسرائيلى . فقال «براون» . .

-- إننى أرجو أن يتحقق السلام فى الشرق الأوسط ولكنى أعتقد أن «إسرائيل» لا تريد السلام طالما أنها تشعر بأنها قوية . . وأنا من الذين لا يستبعدون قيامها بشن حرب خامسة ضد الدول العربية . .

فأجابه فى اقتضاب :

– هذا جائز ، إنه يتمشى مع طبيعة إسرائيل العدوانية . .

ولزم بعد ذلك الصمت . . ولم ينطق بكلمة . . وتراخى «براون» فى مقعده . . وراح يتأمل سقف الكافيتريا ووجوه النزلاء القريبين منه ، ويحاول أن يفكر فى موضوع آخر . . وبعد لحظة نظر إلى ساعته وقال :

– لقد حان الوقت لانصرافى . .

– هل من عادتك أن تنام مبكراً . .

– من عادتى أن أنام مبكرا وأصحو مبكراً لأعكف على كتاباتى . .

– أنا أيضاً ليس من عادتى أن أتأخر كثيراً فى الذهاب إلى فراشى . .

– إذن هيا بنا نذهب معاً . . ما رقم غرفتك . .

– رقمها ٥٣ . . وأنت . . ما رقم غرفتك . .

– إننى أقيم فى الغرفة رقم ٥٩ . .

– جميل جداً . . نحن نقيم على مقربة من بعضنا . . وبوسعنا طبعاً أن نتزاور فى أى وقت نشاء .

فضحك وقال :

– لا مانع من ذلك طبعاً مادمنا نراعى التقيد بقوانين الفندق . .

– إننا سنراعى ذلك تماماً ، الواقع أنه لا يوجد ما هو أجمل من الهدوء . .

وبعد لحظات حيا كل منهما زميله ومضى إلى غرفته . .

الفصل الخامس

وفى صباح اليوم التالى جلس «علوى» إلى مكتبه . . وتناول مجلة راح يتصفحها بسرعة . . بينما كانت عيناه تتبعان «فضيلة» فى غدوها ورواحها .

وبعد قليل رفع رأسه عن المجلة وقال لها فى نبرة عصبية :

- «فضيلة» . . أريد أن أقول لك شيئاً . .

فتوقفت عن السير وسألته :

- ماذا تريد أن تقول ؟

فتردد «علوى» قليلاً ثم قال :

- أريد أن أقول إن تصرفاتك أصبحت غير لائقة .

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أنه يجب أن تعلمى أن مهمتك هنا ليست الترفيه عن الرجال كما تظنين . .

فقالت فى حدة :

– صه . . إننى لا أسمح لك بأن توجه إلى هذا الكلام البذىء . . هل سمعت ؟

– إنك تخطئين حين تظنين أنك تستطيعين بالعنف أن ترغمينى على الصمت . . إننى لا يمكن أن أسكت على ذلك . . هل فهمت . . لن أسمح لك بعد اليوم بالتمادى فى هذه التصرفات المشينة . .

فقالت منتهرة :

– إننى أحذرك من ترديد هذه الكلمات الوقحة مرة أخرى . . ثم من تكون حتى تحاسبنى على تصرفاتى . . هل أنت وصى على . . إننى أنذرك بأننى لن أقبل بعد الآن أن أسمع كلمة منك تمس شرفى أوكرامتى وإلا شكوتك إلى صاحب الفندق فإذا لم يعرف كيف يلزمك حدودك قدمت استقالتى . .

فقال فى تخاذل :

– على رسلك يافضيلة . . أنت تعلمين أن كل شىء هنا قد تغير منذ جاء الدكتور « شعيب » . .

– لا شىء قد تغير . .

– لا يمكن أن أكون واهماً إلى هذا الحد . . إن كل إنسان يلاحظ أنك تخصينه باهتمام غير عادى . .

وفى هذه اللحظة أقبل عليهما الدكتور « شعيب » وهو يمشى فى هدوء وعلى وجهه الوسيم الابتسامة الوادعة التى قلما تفارق شفتيه . . قال يحييهما :

– طاب صباحكما . . هل كل شىء على ما يرام ؟

وأشرق وجه « فضيلة » على الفور . وانبسطت أساريرها . . بينما أحس « علوى » بالغيرة تنهش قلبه .

قالت « فضيلة » :

– صباح الخير يا دكتور . . لم أكن أتوقع خروجك قبل ساعة .

فأجاب :

– سأخرج للتريض قليلاً على الشاطئ .

ولاحظ «شعيب» الوجوم الذى يسود جو المكان ، فالتفت إلى «علوى» وسأله :

– هل ثمة ما يشغلك ياعلوى ؟

فقالت «فضيلة» . . لتقطع السبيل على «علوى» ولكى تمنعه من أن يقول كلاماً يسيء إلى «شعيب» . .

– إن «علوى» مشغول جداً هذه الأيام بسبب كثرة الوافدين على الفندق .

وكان «شعيب» يريد أن يجاذبه أطراف الحديث ولكنه وجده فى حالة نفسية لا تشجع على الحديث . . والواقع . . أن «علوى» كان فى شغل بالتفكير . . كان يريد أن يجد وسيلة للتخلص من «شعيب» دون أن يشتبه أحد فى أمره ودون أن يغضب «فضيلة» أو يفقدها . ويبدو أنه اهتدى آخر الأمر إلى هذه الوسيلة . . لأنه خرج من جموده بغتة وسأل «شعيب» وهو يبتسم :

– هل ستقضى بقية الأسبوع هنا يادكتور ؟

وقد ظل سؤاله بلا جواب . . فقد دخل الأستاذ «المنزلاوى» فى هذه اللحظة . . وقال يحيى الجميع :

– هالو . . كيف حالكم . . ألم يصل البريد بعد ؟

فأجابته «فضيلة» فى إيجاز . .

– كل شيء على ما يرام ، لم يصل شيء إلى الآن .

وتنبه إلى وجود «شعيب» فالتفت إليه وقال يحييه :

– طاب يومك يا دكتور . . أرى أنك متأهب للخروج . .

– سوف أخرج بعد قليل للتريض على الشاطئ . .

– حسناً . . أتحب أن أرافقك . . إننى أشعر بحاجة لاستنشاق الهواء النقى . .

– إن ذلك يسعدنى .

– هل تناولت طعام الإفطار يادكتور ؟

– كلا . . ليس بعد .

– إذن دعنا نتناول شيئاً من الطعام فى كابينتى قبل أن نقوم بجولتنا على الشاطئ .

– بكل سرور .

فالتفت «المنزلاوى» إلى «علوى» وقال له :

– ابعث إلينا بإفطار كامل إلى الكابينة .

ثم نظر إلى «شعيب» وسأله :

– هل تريد شراباً يادكتور؟

– ومن ذا الذى لا يرحب بكوب من عصير البرتقال فى هذا الصباح الجميل .

– حسناً . . أما أنا فسأتناول كأساً من الويسكى .

وجلس الاثنان إلى مائدة صغيرة فى الكابينة وأخذا يتناولان الطعام ويتبادلان الحديث وهما لا يفتآن يرسلان البصر إلى حيث يلتقى البحر بالأفق البعيد فى شكل لوحة فنية رائعة . وكان المنزلاوى رجلاً فى الخمسين من عمره . . طويل القامة . . أنيق الهندام . . حلو الحديث . . تنتشر فى شعره خصلات رمادية ذات لون فضى أكسبته مهابة ووقاراً . . وكانت له نظرة متألقة فيها وميض ساحر أخاذ . . وحين يتحدث فإن نبراته تنم على العطف والحنو . وتكتسى سمات وجهه بمسحة من الطيبة حتى لكأنه أب يتحدث إلى أبنائه الأعزاء .

وكانت هذه الصفات فيه هى التى جعلت «فيروز» تنجذب إليه بسهولة عجيبة وتنظر إليه نظرة تنطوى على الإعجاب والتقدير وخاصة بعد خيبة أملها فى «إكرامى» وكان بعض الناس يصفونه بالطيبة والسخاء بينما كان البعض الآخر يصفه بالخسة والغدر. ويقولون عنه إنه حقق ثروته الكبيرة بوسائل ليست كلها فوق الشبهات . . وأن من بين هذه الوسائل ما يدخل فى نطاق الجاسوسية والتهريب ، وعندما فرغ «شعيب» و«المنزلاوى» من الإفطار ، قال «شعيب» :

– هيه . . أتحب أن ترافقنى فى جولة على الشاطئ ؟

– بكل تأكيد . . إننى أحوج ما أكون إلى المشى بعد هذه الأكلة الشهية .

وعندئذ سمعا صوتاً رقيقاً يقول :

– أأنت هنا يامنزلاوى (باك) ، لقد بحثت طويلاً عنك . .

فاستدار المنزلاوى بسرعة وما إن وقعت عيناه على صاحبة الصوت حتى ارتسمت فى عينيه نظرة إعجاب وهتف :

– آه . . فيروز . . أهلاً . . أهلاً .

وأخذ يراقبها وهى تخطو نحوه بقدها الممشوق ، ووجهها الفاتن ، وشعرها الذهبى المتموج ، وعندما دنت منه أمسك بيدها وقال وهو يتوسمها بعينيه :

– كم أنا سعيد برؤيتك ، ما هذه الغيبة ؟

فابتسمت فى وجهه وقالت :

– هل أوحشتك حقاً ؟

– للغاية . .

والتفتت إلى «شعيب» وابتسمت له وقالت :

– كيف حالك يادكتور . .

فابتسم فى وجهها وقال :

– على ما يرام .

وقال لها المنزلاوى :

– هل انتهيت من جميع الامتحانات ؟

– نعم . .

وسألها «شعيب» .

– وكيف أديتها ؟

– على نحو ممتاز للغاية . .

– وماذا ستفعلين هنا غير معاونة «فضيلة» و«علوى» . .

– لا شيء . . لا شيء ذو أهمية . .

ورفعت يدها دلالة على عدم المبالاة فتلقفها «المنزلاوى» . . ونظرت إليه وقد تملكتها دهشة شديدة ، ولمدة ثانية واحدة . . وفى مثل لمح البصر ، قالت فى نفسها :

– إنه يعجبنى . . إنه عجوز بعض الشيء ، وهو لذلك يعجبنى . .

وعاد «المنزلاوى» وترك يدها وقال وهو يبتسم :

– إن أصابعك ملطخة بالمداد ، وهذا يدل على أنك سوف تحصلين على الليسانس وتصبحين يوماً ما محامية لامعة .

وضحك المنزلاوى وضحك الدكتور «شعيب» . . وشرعت تضحك معهما . .

واسترسل «المنزلاوى» فى الكلام قائلاً :

– إننا كنا على وشك أن نقوم بجولة على الشاطئ . . هل تأتين معنا . .

فوافقته على ذلك . . وسارت بينهما بحذاء الشاطئ وقد توافقت خطاهم وأمسك

المنزلاوى بيدها ، ولاحظ «شعيب» أن الضيق والحزن والكآبة التى كانت كثيراً ما تبدو على وجهها قد اختفت تماماً وأصبحت ممتلئة مرحاً ونشاطاً وحيوية . . وأثناء عودتهم التفت «المنزلاوى» إليهما وسألها قائلاً :

– هل نتناول معاً طعام العشاء الليلة ؟

فسألته :

– أين ؟

– فى الجناح الذى أقيم فيه . .

فوافقاه على طلبه . .

وفى الموعد المحدد جلسوا يتناولون العشاء ويتجاذبون أطراف الحديث فى موضوعات شتى . . .

وقال «المنزلاوى» وهو يرفع كأسه إلى شفتيه وينظر بعينين متألقتين إلى الدكتور «شعيب» . .

– اشرب يا دكتور . . لن يصيبك أذى من هذه الشمبانيا مهما أسرفت فى تناولها . .

فأجاب بلهجة الاعتذار :

– الحق أننى لا أشرب الخمر يا أستاذ «منزلاوى» . . فاعذرنى . .

فهتف :

– أتسمى هذا شراباً يا دكتور . . ثم كيف لا تشرب وقد أمضيت ربع حياتك فى أمريكا . . أليس هذا غريباً :

– ليست الخمر هى أهم المتعات الموجودة فى هذه الدنيا على أى حال .

– إنها حسب ما أعلم أهم الأشياء التى تجعل الإنسان مسروراً محبوراً . .

– هذا وهم . . إنها فى الحقيقة شيء خطر ومدمر ، وينبغى أن لا تكون من الغفلة بحيث توهم نفسك بأن الخمر فيها فائدة محققة لك . .

– وهل ثلاث كؤوس أو أربع تعد خطراً على الصحة . . إنك لا تعرف الشراب يادكتور . . ولا تعرف معنى الإفراط فى الشراب ، سلنى أقل لك .

ولم يشأ الدكتور «شعيب» أن يحتج أو يعارض ، إذ شعر أنه ليس من اللائق أن يحرج «المنزلاوى» أو يجعله يشعر بالمذلة أمام «فيروز» . ولم يكن فى وسعه آخر الأمر إلا أن يلوذ بالصمت أمام هذه المزاعم دون أن يقتنع بها . . وأخيراً نهض واقفاً واستأذن منهما وانصرف . .

وبعد دقائق انصرفت «فيروز» إلى الغرفة التى اعتادت أن تنام فيها مع «فضيلة» . . كانت تشعر بأنها ازدادت أهمية ، فهناك رجل عصرى كامل فى مثل سن أبيها يحبها . . وشاب فى مقتبل العمر خانها وغدربها . . إنها لعبة كاملة تصلح لأن تكون موضوعاً لمعادلة مثيرة ، وفوق ذلك كانت تحس بأنها على خير ما يرام ، وأن نفسها بدأت تتقبل كل هذا الصراع وكل المشاكل التى يمكن أن تنجم عنه . . وخاصة بعد سفر أبيها وزوجته إلى لندن للعلاج ، وحين وقع بصر «فضيلة» عليها قالت لها :

– أراك جئت متأخرة يا «فيروز» . . أين كنت ؟

– كنت مع المنزلاوى بك .

– عجباً . . أمازلت متعلقة بهذا الكهل . . ؟

فقالت فى استخفاف :

– وأى ضير فى هذا ؟

– إنه رجل فى سن والدك . . ولا تعرفين عنه شيئاً . .

-- وكيف لا أعرف عنه شيئاً . . إنه رجل أعمال كبير يرأس فى القاهرة شركة من أكبر شركات الاستيراد والتصدير . .

-- وشيخوخته ؟ ؟

-- أى شيخوخة هذه التى تتحدثين عنها . . إنه مازال فى عنفوان الشباب . .

-- ألا ترين المشيب الذى دب إلى رأسه ؟

-- وهل الشيب عنوان الشيخوخة . . إن الشباب هنا . .

ودقت بأصابعها على قلبها . .

ورثيت « فضيلة » لحالها ، ، وأدركها الإشفاق على الفتاة المسكينة . . وقالت لها وهى تتنهد :

-- إنى بمثابة أختك الكبيرة . . فاسمعى نصيحتى وابتعدى عن هذا الرجل . .

فهزت كتفيها فى استخفاف وأجابت :

- لن أبتعد . . قلت لك لن أبتعد . . سوف أتزوجه . .

فقالت وهى تندس داخل فراشها :

- أنت وشأنك . .

وفى مساء اليوم التالى ذهبت « فيروز » إلى لقاء « المنزلاوى » على الشاطئ . . جلسا يأكلان بعض الحلوى ويتبادلان الحديث . . وكان حديثه رقيقاً لطيفاً ، يفيض عطفاً وعذوبة . . وقالت لنفسها وهى تستمع إليه :

-- أهذا هو الرجل الذى تريد « فضيلة » أن تبعدنى عنه . .

وسألها « المنزلاوى » :

-- مابالك اليوم . . ؟ إنى أراك شاردة الذهن مكتئبة . .

فأجابته بابتسامة فيها أسى ومرارة :

– إنها فضيلة . . لقد تشاحنا ؟

– وما السبب ؟

فضحكت وأجابت :

– أنت السبب . . بسببك أنت تشاجرت معها .

– أنا . . ؟ وما شأنى أنا حتى أكون سبباً فى التشاحن بين صديقتين حميمتين .

– لقد طلبت منى أن أمتنع عن مقابلتك ، ونسيت أننى فتاة ناضجة أفعل كل ما يحلو لى . .

وبعد صمت قصير قال لها :

– إنك لم تحدثينى عن تفاصيل ما جرى بينك وبينها . .

– لا شىء أكثر مما قلت . . إنها تخاف علىَّ منك . .

– وهل تشعرين بأى خوف منى ؟

– أبداً . . إننى لم أشعر بأى خوف منك لأننى واثقة بك مطمئنة إليك .

وسكتت لحظة ثم سألته :

– وأنت . . ماذا تريد منى ؟

– أريد أن أمحو من قلبك كل أثر من آثار مأساتك ، أريد أن أراك راضية سعيدة ناعمة البال مبتسمة للحياة دائماً . .

– وأنا أيضاً أريد أن تكون راضياً سعيداً ، ولكنى لا أعرف كيف أجعلك راضياً سعيداً . .

– هذا لا يحتاج إلى ذكاء ولا إلى براعة ، ولا إلى مهارة . . لا سبيل إلى ذلك إلا بشىء واحد .

فنظرت إليه حائرة كأنها لم تفهم وسألته :

– وما هو هذا الشيء ؟

– الزواج . . هذا هو الطريق الوحيد الذى يجب أن نسلكه حتى تتوفر لنا السعادة وحتى يمكننا أن نتسلط على معارضينا فلا يستطيعون لنا مقاومة ، ولا يحاولون امتناعاً علينا . .

فلمعت عيناها ببريق البهجة والسرور وقالت :

– إن ذلك يسعدنى . . ولكنى أطلب طلباً واحداً . .

– ما هو؟

– هو أن تحرص على أن تعاملنى معاملة الأب لابنته وفى الوقت نفسه تعيش معى عيشة المحب العاشق لحبيبته . .

فقال وهو يتخلل شعرها الذهبى بأصابعه :

– أؤكد لك أنك سوف تجدين فىَّ من تحبين أن ترى فى أى ساعة من ساعات النهار ، وفى أى ساعة من ساعات الليل . . سوف تجدين فىَّ الزوج الوفى لزوجته ، وسوف تجدين فىَّ ما تريده الصديقة من صديقها . .

وسكت لحظة ثم استطرد :

– والآن وقد سمعت بما سيكون موقفى منك . . فماذا سيكون موقفك منى ؟

فقالت وهى تبتسم :

– سوف أعاملك معاملة الأم حين تحتاج إلى حنان الأم ، ومعاملة الأخت حين تحتاج إلى مودة الأخت ، ومعاملة الزوج حين تحتاج إلى معاملة الزوج ، ومعاملة الصديقة حين تحتاج إلى مرح الصديقة . . سوف أكون كل هذا . .

فقال فى رقة :

– أحسنت التعبير يا فيروز . . هل تدرين أنك أول فتاة فى حياتى أسمعتنى كلمات

فيها حنان . .

فرنت إليه رنوة جذابة وقالت :

– هل أفهم من ذلك أن الحب لم يعرف طريقه إلى قلبك فى يوم من الأيام ؟

فسرح الرجل ببصره فى الفضاء لحظة ثم قال فى نبرة حزينة :

– لا أكتمك أننى أحببت إحدى الفتيات من قبل . . ولكن شاءت الأقدار أن تسدد إلىَّ ضربة قاصمة . . ضربة كادت تهدم حياتى وتدمر مستقبلى . . فلقد ماتت الفتاة وذهب الحب العميق إلى غير رجعة . . ومن يومها لم أفكر فى الحب وإنما شغلت نفسى بالتفكير فى أعمالى . . . وظللت كذلك إلى أن جئت أنت ووقعت فى حبك . . هذه باختصار قصة حياتى العاطفية . . ومن ذلك ترين أن حياتى كانت فراغاً خاوياً قبل أن ألتقى بك . .

وتطلعت إليه صامتة . . وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال فى نبرة نابضة بالمرارة :

– آسف . . يبدو أنى أزعجتك .

فأشرق وجهها بابتسامة رقيقة . . وقالت :

– إنك لم تزعجنى قط . . بالعكس . . إنك زدتنى إعجابا بك .

وعندما نهضا استعداداً للعودة إلى الفندق . . تعلقت بذراعه ومشت إلى جانبه بخفة وكأنها تسبح فى الفضاء كالطائر المرح .

الفصل السادس

وفى الأسبوعين التاليين خرجت « فيروز » مع « المنزلاوى » عدة مرات ولكن فى صحبة « فضيلة » و « شعيب » و « براون » ، وكانوا جميعا من هواة المشى الذين يقومون بكثير من التجوال فى المناطق الخلوية المحيطة بالفندق ، ويقصون عن رحلاتهم قصصاً طريفة مسلية . .

وذات مساء خرجوا كعادتهم إلى الخلاء وساروا حوالى خمسة أميال وقفوا بعدها أمام باب خشبى صغير ، وتقدم « المنزلاوى » ودق الباب . . وكانت الشمس قد بدأت تنحدر نحو الأفق فى تلك اللحظة ، وانسكب من بقايا ضوئها سائل ذهبى غمر المكان بلون أخاذ .

وقال « المنزلاوى » عندما سمع خطوات تقترب نحو الباب :

- إننى أعرف صاحبة هذا المنزل . . إنها تدعى « نعيمة » . . وستوفر لنا كمية من الحليب لا بأس بها . . ولكن انظروا خلفكم أولا . . كيف تجدون هذا المنظر الطبيعى ؟

وكان المنظر فى الواقع فاتن الجمال . . فالأفق كان يتوهج فى لون الذهب . . والنسيم يهب عليلا محملا بعذوبة البحر وملوحته . . والجو متألق شفاف . . وكان لكل هذا أشد وقع فى نفوسهم . .

وفتح الباب وظهرت على عتبته امرأة عجوز فقال لها المنزلاوى :

– أسعدت مساء « يانعيمة » . . نريد شيئاً من الحليب . . ونريد تناوله فى الخلاء . .

فأجابته :

– سمعاً وطاعة يا سيدى . . أمهلنى ربع ساعة فقط . . أين ستجلسون ؟

– هناك . . عند سفح هذه الربوة .

والتفت إلى « فضيلة » وقال لها :

– وفى هذه الأثناء ستتمكن من سماع أشرطتك الموسيقية على نحو أوضح ، واتجهوا صوب الربوة وأخذوا أماكنهم عند السفح وأخذوا يتبادلون النكات والأحاديث فى ألفة ومرح وبعد دقائق حضرت المرأة وهى تحمل وعاء حوى إبريقا من اللبن ، وبعض الخبز والفاكهة . . وخلعت « فيروز » قبعتها . . وتهدل شعرها الذهبى المتموج على كتفيها ، بعد أن كان يبدو قصيراً وهو معقوف وممشط كشعر الرجال وراحت هى و « فضيلة » تتعاونان مع المرأة فى تقديم الطعام للرجال الثلاثة .

وظلوا يثرثرون تارة ويستمعون الى الموسيقى تارة أخرى حتى زحف الظلام وابتلع الحمرة الباهتة المتبقية من سبائك الغروب القانية . .

وبعد ساعة نهض « المنزلاوى » وهو يقول :

– آن أوان العودة إلى الفندق . .

وردد الدكتور « شعيب » قوله كرجع الصدى :

– آن أوان العودة إلى الفندق . . هيا بنا .

وفى طريق العودة تباطأ الدكتور « شعيب » قليلا . . ثم دنا من المنزلاوى وهمس :

– هلا تباطأت قليلا حتى أتحدث إليك على انفراد . .

فسأله فى دهشة :

– وما الذى تريد أن تقوله لى على انفراد ؟

– هل يضايقك أن تفعل ذلك حتى لا يسمع حديثنا أحد .

فهز رأسه فى شيء من الحيرة وقال وهو يتباطأ فى سيره :

– أهو أمر ضرورى إلى هذا الحد . .

– إنه أمر ابتغى به النصيحة . .

– إن كلامك هذا يثير دهشتى . . ماذا تريد ؟

– أريد أن أخاطب ضميرك وأكلمك كلام رجل لرجل . .

– ماذا تعنى ؟

– أعنى أن زواجك من « فيروز » ليس فى مصلحتك ولا فى مصلحتها . . إنه حتماً سينتهى بمأساة ستعانيان منها المتاعب فى المستقبل . .

فقال فى نبرة تهكمية :

– أحقاً . ، ومن الذى كلفك بأن تحدثنى فى هذا الأمر . .

– لقد رأيت من واجبى أن أفعل ذلك لأنها أصبحت فى حاجة إلى من يرعاها بعد مرض أبيها وسفره مع زوجته إلى أوربا للعلاج .

فقال فى نبرات تنطوى على الغضب :

– يؤسفنى يا دكتور أنه ليس فى نيتى أن آخذ بنصيحتك . .

– تذكر أن الفارق بينك وبينها فى السن يزيد على ثلاثين سنة . .

وقطب الرجل جبينه . . واتقدت عيناه . . ولاح أن هذه العبارة قد جرحت كبرياءه . . وقال :

– ليس هذا من شأنك ، ولو لم نكن الآن مع المجموعة لا ألقيت عليك درسا فى الأدب وحسن السلوك –

فقال محتجًا :

– إننى لست فى حاجة لمن يعلمنى الأدب وحسن السلوك . . زن كلامك قبل أن تنطق به . .

فأجابه بنفس النبرة الحانقة . .

– أتدرى ماذا نسمى من كان مثلك . . إننا نسميه رجلا حشرياً . .

فقال له « شعيب » . .

– إذن فليكن فى هذا خاتمة ما بيننا . . ولا داعى للتورط فى عبارات أخرى .

ولم ينتظر جواباً . . وإنما مضى مسرعاً حتى لحق برفاقه . .

ولبث المنزلاوى واقفاً فى مكانه يفكر فى الأمر . . وقال لنفسه : أيمكن أن يؤثر « شعيب » على « فيروز » ويملأ قلبها اقتناعا بوجهة نظره . . إذا قدر واستطاع أن يؤثر عليها فإن الدنيا بأسرها لن تستطيع أن تنقذه من يدى .

ومر أسبوع دون أن يظهر على « فيروز » شىء من التغير مما أدخل على قلب « المنزلاوى » البهجة والسرور . . وفى اليوم التالى دعاها إلى تناول العشاء معه فى فندق سان استيفانو بالإسكندرية وفى أثناء تناول الطعام أخذ يحوطها بكل أسباب العناية والملاطفة وهى تصغى إليه فى اهتمام وفى قسمات وجهها عذوبة وأحلام .

ومرت فترة سكون . . بعدها بدأ المنزلاوى يتكلم عن مشروع الزواج . . قال لها :

– والآن يا فيروز . . هل أستطيع أن أعرف متى سنتزوج ؟

فضحكت وقالت فى مرح :

– ألا تتعب أبداً من ترديد هذه العبارة .

– إننى سئمت الانتظار ولم أعد أستطيع الصبر . .

فابتسمت وقالت وهى تلاطف يده :

– ألم أقل لك إننا سنشرع فى الزواج حالما يعود أبى وزوجته من إنجلترا . .

فسألها فى ملل :

– ومتى سيعودان ؟

– لست أدرى .

– ألم تعرفوا بعد علّة أبيك . .

– إنه يعانى من تليف فى الكبد .

– ألم يطرأ تغيير على صحته ؟

– كلا . . حالته لم تتغير . . وإن كان هناك بعض التحسن . .

– أرجو له الشفاء العاجل . .

وفرغا من العشاء . . ودعاها إلى الرقص . . وأخذا يدوران فى حلبة الرقص . . وهو لا يفتأ يصب فى أذنيها كلمات الحب الرقيق . . وخيل إليها أنه أرشق رجل راقصته فى حياتها . . كما خيل إليها أنها لم تسمع من قبل مناجاة بهذه الرقة وهذه العذوبة . . غابت السنون فى طيات الوهم ، حقاً كان متخاذل الخطوات . . وحقاً كان حظه من الرشاقة محدوداً . . ولكنها كانت مصرة على أن مغازلاته هى أجمل مغازلات سمعتها فى حياتها . . وعلى أن خطواته لا تقل فى رشاقتها عن خطوات بعض من راقصتهم من الشباب الناهض . .

وهمس يقول :

– يالسوء الحظ . . ما كان ينبغى أن أراقصك .

فتساءلت وهى تنظر فى عينيه :

– أرقصى سيئ إلى هذا الحد ؟

– ليس هذا ما أعنى . . سحر عينيك أضلنى فجعل ساقى تتخاذلان حتى بت أخشى أن تقولى عنى إننى أسوأ راقص التقيت به فى حياتك . . ولهذا ما كان لى أن أراقصك . كان على أن أقنع معك بالحديث وحده . . ولك مثل هذا الجمال وهذه الحيوية .

فأجابته فى رقة :

– أتقول إنك راقص سيئ . . إذن فمن الذى يجيد الرقص . . إننى لم أشهد فى حياتى من أحسن الرقص كما أحسنت أنت .

وسألها وهما مازالا يدوران فى جنبات القاعة .

– هل ستعودين إلى منزلك أم نقضى بقية السهرة فى السينما ؟

– أظن أنه يحسن أن أعود إلى منزلى . .

– والى أين تقصدين غداً .

– إلى الجامعة ، لأسأل عن النتيجة ثم أعود إلى فندق العزلة .

– هل أنتظرك لنعود معاً ؟

– لا داعى . . فقد أتأخر هنا بعض الوقت لزيارة بعض صديقاتى . .

وافترقا وهما يطفران من فرط النشوة والسعادة . . ولكن هذه السعادة لم يقدر لها أن تدوم طويلا . . فبعد يومين عادت « فيروز » إلى الفندق وكان أول ما عنيت به لدى وصلها هو الاتصال بالمنزلاوى فذهبت إلى جناحه ولما لم تجده أخذت تبحث

عنه حتى انتهت إلى كابينته المخصصة له على الشاطئ . . وكانت الساعة عندما اقتربت من الكابينة قد أوفت على الثامنة مساء . . واستمرت فى طريقها إلى أن وصلت إلى باب الكابينة . . كان المكان مظلماً ساكناً فأخذت تجيل البصر حولها لحظة . . ثم مدت يدها لتطرق الباب ولكنها ما لبثت أن تراجعت حين سمعت فى تلك اللحظة صوت المنزلاوى يقول :

— ماذا فعلت أيها الوغد . . كيف تركته يفلت منك ، ألم أقل لك أن تستدرجه إلى منزلها ثم تقتله .

وجاءه الرد فى صوت خافت :

— لقد حاولت ذلك ولكنه لاذ بالفرار . .

فقال « المنزلاوى » مزمجراً :

تبًّا لك من غبى . . إنك ستدفع ثمن هذا . . أؤكد لك أنك وجميع أفراد العصابة ستدفعون الثمن غالياً .

- ولكننا يا سيدى بذلنا كل ما بوسعنا . . أعدك بأن نستدرجه إلى منزلها فى المرة القادمة . .

وانقضت بضع ثوان لم تسمع خلالها « فيروز » حركة أو صوتاً . . وفى بطء استدارت وانطلقت راجعة إلى الفندق وقد دب الذعر فى قلبها . . وفكرت فيروز فى الأمر . . وانتهت إلى رأى . . إن « المنزلاوى » رجل شرير وأنها كانت مخدوعة فى حبه . . وكان فيما سمعته فصل الخطاب . .

وفى الصباح جاء المنزلاوى إلى مكتبها وقال لها :

— أبك رغبة فى نزهة على الشاطئ . .

— فأشاحت بوجهها عنه وقالت باقتضاب :

– إن آسفة . . ليس لى رغبة فى الخروج . .

– إذن نتناول الغداء معاً . .

فأجابت فى جفوة :

– لا داعى لذلك . . فإنى سأتغدى مع « فضيلة » .

فحملق فيها دهشاً وقال :

– عجباً يا فيروز . . هذه أول مرة ترفضين فيها دعوتى . .

فتنحت الفتاة عن مكتبها وأخذت تتصفح بعض الأوراق وهى تقول :

– إننى مشغولة كما ترى . .

فقال معترضاً .

– لقد عودتنى ألاَّ ترفضى لى طلباً فما الذى جد ؟

فقالت فى نبرة يشيع فيها الضيق :

– قلت لك إننى مشغولة . .

فنظر إليها متفحصاً وهو يقول :

– ألا يحسن أن تصارحينى بالحقيقة . .

– أية حقيقة ؟

– أراك متغيرة . . هل بدر منى شئ أغضبك . .

فحدجته بنظرة قصيرة وقالت فى نبرة حانقة :

– لا داعى لهذا الكلام . . أرجوك أن تبتعد عنى . . من اليوم يجب أن ينتهى كل ما بيننا . .

فهتف فى انفعال :

– « فيروز » . . ما هذا الذين تقولين ؟

فصرخت فيه :

- ابتعد عنى . . دعنى وشأنى .

فقال لها فى إصرار :

-- ولكن يجب أن أعرف السبب .

- قلت لك دعنى . . لا أريد أن أتحدث إليك . .

- فيروز . . لا داعى للغضب . . أنسيت ما كان بيننا .

فصرخت فيه :

- اذهب من أمامى . . إننى أكرهك . .

-- لحظة واحدة . . إننى أريد . .

ولكنه لم يكمل عبارته . . فقد فوجئ برؤية الدكتور « شعيب » يدلف إلى الداخل وهو يقول لفيروز :

معذرة . . لم أكن أعرف أن لديك ضيفاً .

وهمَّ بأن يتراجع ولكن الفتاة ابتدرته بقولها :

- تعال يا دكتور . . إنى أريد أن أتحدث إليك . .

فأجابها قائلا :

-- لقد حضرت الآن لأعرف إذا كنت ستخرجين هذا المساء ، فإن فى نيتى أن أدعوك لتناول العشاء معى . .

إنى لن أخرج . .

- حسناً . . ما الذى تريدين أن تتحدثى معى فيه . .

أريد أن أتحدث معك فى بعض الموضوعات . . هلا تفضلت بالجلوس . .

وأخذ « المنزلاوى » ينقل البصر بينهما فى تجهم وغضب ، وبعد لحظة استدار

راجعاً إلى جناحه وفى صدره بركان يغلى . .

وفى الطريق التقى بالأستاذ إيهاب الذى استوقفه قائلا :

- ماذا بك يا أستاذ منزلاوى . . ترى ماذا حدث حتى يرتسم الضيق على وجهك بهذه الصورة ؟

فجفف « المنزلاوى » العرق المتصبب من جبينه وقال :

- طاب يومك ياأستاذ إيهاب . .

فقال له وهو يتفرس فى وجهه :

- عجباً لك يا أستاذ منزلاوى . . لقد كنت تحدث نفسك كالمجنون . .

فقال « المنزلاوى » وهو يحاول إخفاء غضبه :

- ليس بى من شىء .

فقال له بخبث وهو يلقى بنظره إلى ناحية مكتب « فيروز »

- آه . . يخيل إلى أن المسأله تدور حول حب وغيرة . .

ولم يحر « المنزلاوى » جواباً . . فرأى « إيهاب » أن يحمله على الكلام علّه يقف منه على حادث يصلح لأن يكون موضوعاً لقصة مثيرة قال :

- يا إلهى إنك تزفر وتتوجع . . تشجع يا رجل وحدثنى ببلواك . . إذ لا يجدر بك أن تلزم الصمت ولك أصدقاء يحاولون تعزيتك .

- حسناً . . يا أستاذ « إيهاب » ، دعنا نذهب إلى غرفتك لأروى لك مشكلتى . .

وما إن دخلا الغرفة حتى تهالك المنزلاوى على أقرب مقعد إليه ، فقال « إيهاب » وهو يقدم له كأساً من الويسكى :

- تماسك يا رجل . . خذ . . اشرب . .

فتناول الكأس ورفعها إلى شفتيه ثم أفرغ محتوياتها فى جوفه دفعة واحدة . .

وسأله « إيهاب » وهو يجلس إلى جواره :

– ما هى مشكلتك ؟

– إنها ليست مشكلة . . إنها صدمة مؤلمة . . بل إنها طعنة نجلاء –

وراح يروى له قصته مع « فيروز » جملة وتفصيلاً وحين فرغ منها . . قال له إيهاب :

– يخيل إلى يا عزيزى أنك على صواب فى استنتاجك . . لابد وأن يكون للدكتور دخل فى التغير الذى طرأ على « فيروز » .

فأجاب « المنزلاوى » وهو يغالب غيظه :

– إذن فأنت تعتقد ذلك أيضاً .

– بكل تأكيد .

وكان « إيهاب » يراقب وجه « المنزلاوى » جيداً فرأى التقلبات التى طرأت على سحنته وهو مستسلم لخواطره . . كانت براكين الشك والغيرة التى ألهبتها كلمات « إيهاب » قد بدأت تثور فى فؤاده وود فى هذه اللحظة لو استل خنجراً وأغمده فى صدر الدكتور « شعيب » . . وسمع « إيهاب » يقول :

– إننى كقصصى أعلم جيداً ما يصيب الإنسان من تعاسة من موقف عصيب كهذا . .

فأجابه فى حنق :

– إنه يخرجنى عن حدود العقل . . فأنا أحب « فيروز » إلى حد الجنون . . وبودى لو أشفى غليلى من هذا اللعين بمسدسى أو خنجرى . .

وأدرك « إيهاب » أن الفرصة سانحة أمامه للتخلص من غريمه الدكتور « شعيب »

فرأى أن ينتهزها باستخدام المنزلاوى فى القضاء على الشاب حتى يخلو له الطريق إلى قلب «فضيلة» . . قال بخبث :

– أنت لا شك فى مأزق محير ولكنى لا أقرك على الإقدام على ارتكاب جريمة قتل . . هل تعرف لماذا ؟ لأن رجال البوليس سيقبضون عليك فى أحد الأيام . . وبذلك تخسر كل شىء .

فجرع «المنزلاوى» كأساً من الويسكى وقال :

– إن البوليس فى بعض الأحيان لا يستدل على القاتل . .

فتفرس «إيهاب» فى وجهه وقال وقد ثار فضوله إلى أقصى حد :

– هل تعنى أنك عزمت على قتله ؟

– يجب أن أفعل شيئاً يخلصنى من الزوبعة التى تعصف برأسى ...

– أتريد مشورتى . .

– نعم . . بماذا تشير ؟

– أشير عليك بأن لا تفكر فى أى عمل جنونى قد يعرضك للخطر . . لماذا لا تفكر فى النسيان ؟

– النسيان ! ! وهل يجدى النسيان فى مثل حالتى ، ماذا فى استطاعتى أن أفعل حتى أنسى هذه الطعنة المؤلمة .

قال وقد برقت فى عينيه ومضة سريعة :

– أنا واثق أن هناك وسائل كثيرة تعينك على النسيان . كالقراءة مثلاً . .

– القراءة . . وكيف أستطيع القراءة وعقلى مشتت بهذه الصورة . .

– إن لى أصدقاء عديدين يتغلبون على متاعبهم بقراءة القصص . بوسعى أن أعيرك قصة ممتعة تعينك على شغل أوقاتك . . ومن حسن الحظ أننى فرغت أمس

من كتابة قصتى الجديدة ويسعدنى أن تكون أول من يقرأها . . أتحب أن تطلع عليها ؟

– إذا كنت تعتقد أنها ستساعدنى على النسيان فهاتها . .

– أنا واثق من ذلك . . انتظر قليلاً . .

وتركه « إيهاب » وذهب إلى غرفة جانبية ثم عاد وهو يحمل بين يديه مجموعة من الأوراق وضعها أمام المنزلاوى وهو يقول :

– هاك القصة . . ستجد فيها موضوعاً مسلياً للغاية . .

– أشكرك . . إنه لكرم منك أن تخف لمساعدنى فى هذه المحنة . .

– هون عليك . . كل شدة إلى زوال . .

وعندما خلا إيهاب إلى نفسه علت شفتيه ابتسامة فيها خبث ودهاء وقال فى نفسه :

– إن الأمر لن يطول كثيراً . . عاجلاً سأتخلص من الدكتور « شعيب » إن لم يكن بيدى فبيد المنزلاوى . .

وتألقت عيناه جذلاً ثم تابع حديثه لنفسه قائلاً :

– إذا قرأ « المنزلاوى » القصة فلن يتوانى فى تنفيذ الخطة التى رسمتها لنهايتها . . سوف يلجأ إلى العبث بفرامل سيارة الدكتور « شعيب » ليقضى عليه دون أن يثير حوله أية شبهة

وعندما قابل « المنزلاوى » فى الصباح وسأله رأيه فى القصة :

اختجلت عيناه . . ولبث ساكتاً برهة غير قصيرة ثم قال :

– إنها دون شك قصة ممتعة . .

– يسرنى جدًّا أنها حازت رضاك . .

– وكيف لا تحوز رضاى . . إنها إن دلت على شيء فإنما تدل على أنك تملك موهبة قصصية نادرة .

وفجأة خيل لإيهاب أن نظرات « المنزلاوى » قد شردت . . وكذلك شرد انتباهه . . وتغيرت سحنته . . وعراه شيء من الانزعاج والخوف . . وقال يسأله :

– ماذا جرى ؟

فأسرع يجيبه وهو يتطلع من النافذة إلى باب الفندق :

– لا شيء . .

همس بهذه الكلمة . . ولكن صوته كان خافتاً . . مضطرباً . . ونظر « إيهاب » إلى حيث كان ينظر فرأى رجلاً فى مقتبل العمر . . طويل القامة . . عريض المنكبين تدل سمات وجهه على النبل والشهامة والشرف . . وعجب « إيهاب » للأمر . . إن هذا الرجل يبدو أدنى إلى الطيبة غير مؤذ . . فما الذى أزعج « المنزلاوى » حين رآه . . ولم يشأ « إيهاب » أن يشغل نفسه بالتفكير فى هذا الأمر فما إن انصرف « المنزلاوى » وغادر المكان . . حتى مضى إيهاب إلى الشاطئ يبغى شيئاً من الترويض ولكنه ما لبث أن ندم على تسرعه فى مغادرة الفندق قبل أن يعرف سر الارتباك الذى لاح على وجه « المنزلاوى » حين وقع بصره على وجه هذا الرجل . .

وتقدم الرجل من مكتب الإدارة وسمعه « المنزلاوى » يقول « لعلوى » :

– أين صاحب الفندق . . أريد أن أتحدث إليه .

فأجابه « علوى » .

– إنه موجود بإنجلترا . . هل من خدمة أؤديها لك ؟

– أنا الرائد بكر عبد الحميد بمباحث أمن مرسى مطروح وقد جئت للبحث عن سيارة سرقها بعض اللصوص واتجهوا بها إلى هذه المنطقة . . إنها سيارة حمراء من

طراز مرسيدس وقد خطر لى أن أتحرى عنها هنا بعد أن فتشت المنطقة المجاورة .

– لا توجد هنا يا سيدى سيارة تنطبق عليها هذه الأوصاف . . كل سيارات نزلائنا هى التى تراها أمامك الآن .

فنظر الضابط إلى السيارات وجعل يتأملها واحدة واحدة وأخيراً التفت إلى « علوى » وقال :

– إذا تصادف وشاهدت سيارة بهذه الأوصاف فاتصل بى بمديرية الأمن على الفور .

– حاضر يا فندم . .

وعلى أثر هذا الحوار تنفس « المنزلاوى » الصعداء . . وعندما لمح « المنزلاوى » الضابط على عتبة الباب استدار ومشى مسرعاً ناحية باب البهو الكبير . . وما كاد يسير بضع خطوات حتى سمع من خلفه صوتاً يقول :

– أنت يا هذا . . قف .

كان صوتاً خشناً ، آمراً ، رهيباً . .

وحين التفت إلى الوراء رأى الضابط واقفاً يحدق فيه . . فسرت فى أوصاله رجفة هزت كيانه وقال لنفسه :

– ترى هل عرفنى .

ثم استطرد :

– لا أعتقد ذلك . . لقد كنت ملثما عندما هاجمنا فى القاهرة .

وقال له الضابط بصوت خشن :

– انتظر . . إنى أريد أن أتحدث إليك .

فقال وهو يتظاهر بالثبات :

– من أنت وماذا تريد ؟

فقال وهو يتفرس فى وجهه :

– أنا الرائد «بكر عبد الحميد» بالمباحث . . ألم نتقابل من قبل .

– كلا . . هذه أول مرة أراك فيها .

– من أنت ؟

– أنا مصطفى المنزلاوى .

– وما مهنتك ؟

– مدير شركة الاستيراد المصرية بالقاهرة . .

هل لك أن تطلعنى على أوراقك الشخصية .

– ولأى شىء تريد بطاقتى الشخصية ؟

– لا شىء . . مجرد استطلاع .

فهز كتفه وقال فى شىء من عدم المبالاة :

– أمصمم أنت على رؤية بطاقتى رغم أننى عرفتك بشخصيتى . .

فأجابه فى إصرار :

– طبعاً . . إننى أؤدى واجبى . .

– فليكن إذن . . هاك البطاقة .

فأخذ منه البطاقة ونظر إليها فى إمعان . . ثم ردها إليه وهو يقول معتذراً :

– إننى آسف . . يظهر أن الأمر التبس علىّ

قال ذلك ثم حياه بابتسامه مقتضبة ومضى فى سبيله .

الفصل السابع

وفى صباح اليوم التالى بينما كان الرائد «بكر» جالساً إلى مكتبه منهمكاً فى الكتابة دخل أحد الجنود وأخطره بوجود فتاة ترغب فى مقابلته . . فأمره بإدخالها على حين ظل مسترسلاً فى الكتابة . وإذ فرغ من الملف الذى بين يديه رفع رأسه وتلفت حوله . . على قيد خطوات . . رأى فتاة ممشوقة القوام ، فاتنة الوجه ، ذهبية الشعر ، تتفجر من وجنتيها الحيوية والشباب . . . نظر الضابط إليها مبهوراً وتراقصت على شفتيه ابتسامة خفيفة . . وسألها :

– هل من خدمة أؤديها لك ؟

ولم تغب عنه إمارات القلق التى كانت تلوح على وجهها فدعاها إلى الجلوس وهو يقول :

– تفضلى . . هل حدث شىء ؟

فأومأت برأسها إيجاباً ، وهمست :

– نعم . .

وحين هزت رأسها تهدلت على جبينها خصلة جميلة من شعرها الذهبى . . وسألها :

– ما اسمك ؟

– فيروز أبو المكارم .

– وماذا تريدين يا فيروز . .

– لقد جئت لأطلب منك أن تحمينى .

فقال فى دهش :

– أحميك ؟ ؟

– نعم . .

– ممن . . هل هناك خطر يتهددك ؟

– نعم . .

– ومن الذى يهددك ؟

– « المنزلاوى » ، الرجل الذى كنت تتحدث معه أمس فى فندق العزلة .

فقال فى استغراب :

– المنزلاوى ؟

– نعم . .

– وما علاقته بك ؟

– هذا ما سأوضحه لك الآن ، لقد كنت أظنه ملاكا فإذا هو شيطان وقد سمعت من حديثك معه بالأمس ما يكفى لتدعيم قولى .

– هل سمعت ما دار بينى وبينه بالأمس .

– أجل . . لقد اضطررت للتصنت عليكما لأتأكد من ارتيابى فيه . . وقد

تأكدت من ذلك رغم أن ذاكرتك لم تسعفك .

– هل معنى ذلك أنك تعرفين كل شيء عن ماضيه . .

– كلا . . لست أدعى ذلك . . ولكنى سمعت حديثاً أرعبنى وكشف لى عن حقيقته ، وقد قررت أن أقطع صلتى به لأننى لا أستطيع أن أتزوج من مجرم شرير . .

فتفرس مرة أخرى فى وجهها . . وفى عينيها رأى موجة من الخوف والقلق . . وعجب للأمر . . ثم سألها :

– أليس فى هذا ما يدعو إلى العجب ؟

– ماذا تعنى ؟

– أعنى هذا الزواج الغريب . . كيف ترضى فتاة جميلة فى ربيع العمر مثلك أن تتزوج من رجل كهل فى سن أبيها . .

– أحب أولاً أن تعلم أننى من أسرة غنية . . فأبى صاحب فندق العزلة .

– حسناً . .

– وعلى ذلك فلم يكن الغرض طمعاً فى جاه أو ثراء .

– كلامك هذا يزيد الموضوع غرابة وغموضاً ، ألا يمكنك توضيح هذه النقطة قليلاً . . كيف قبلت الزواج من رجل متقدم فى السن مثل المنزلاوى . .

فترددت قليلاً ثم قالت :

– إنها يا حضرة الضابط قصة طويلة . . ولكى أرويها لابد لى من ساعة على الأقل وأنت فيما أرى مشغول جدًا . .

– اسردى قصتك إذن فى إيجاز .

وسكت برهة ثم قال :

– يجب أن تصارحيني بالحقيقة حتى أستطيع مساعدتك . . لقد عهدت إلى بمهمة حمايتك وهذا يتطلب أن تثقي بي ولا تخفي عني شيئاً .

فأطرقت لحظة ثم رفعت رأسها وقالت :

– الواقع أنني لا أدرى من أين أبدأ قصتي .

فقال في عطف يشجعها على الكلام :

– اذكرى لى أولا شيئاً عن حياتك العائلية .

فأجابت قائلة :

– إنني فتاة لبنانية أعيش مع أبي وزوجة أبي بعد وفاة أمي عيشة مترفة في المعمورة وأطلب العلم فى كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية . . وقد تعودت أن أقضى الإجازة الصيفية كل عام فى « فندق العزلة » للمعاونة فى إدارته وطلباً للتسلية ، وفى أثناء ذلك تعرفت بالمنزلاوى ثم وقعت فى شراكه .

– وما الذى دعاك إلى الوقوع فى شراك المنزلاوى ؟

– لأننى كنت أشعر بأننى غير سعيدة .

– وكيف كنت تشعرين بذلك مع أن لديك كل مقومات السعادة . . المال والجمال والشباب .

– هذه كلها مجرد مظاهر . . أما السعادة الحقيقية فلا يشعر بها الإنسان إلا إذا كان هناك الحب والعطف والحنان .

– ولكن الحب والعطف والحنان لا ينقصك . . ألم أقل لك إنك فتاة جميلة ولابد أن تكونى محبوبة من الناس جميعاً .

فابتسمت ابتسامة ساخرة وقالت :

– محبوبة من الناس جميعاً . . وهل هذا يكفى ؟

– ماذا تعنين ؟

- كان الذى يهمنى قبل أن أقع فى حب الطالب «إكرامى» وقبل أن أقع فى شراك المنزلاوى ، كان الذى يهمنى قبل هذا وذاك وخاصة بعد وفاة أمى . . هو أبى . . كان الذى يهمنى هو أبى دون الناس جميعاً . . إن الذى كان ينقصنى وما زال ينقصنى هو حب أبى وحنانه . .

ولفهما صمت قصير . . قطعته «فيروز» بقولها :

– وليس معنى ذلك أن زوجة أبى امرأة قاسية . . أبداً . . ولكنها بالنسبة إلى كأية امرأة أخرى لا تعرف شيئاً عن مشاعرى . . أو أفكارى . . أو أحلامى . . أو ما يهجس فى خاطرى . .

وسكت «بكر» لحظة ثم سألها :

– وأبوك . .

فضحكت الفتاة وقالت :

– أبى . . إنه هو الغريب حقاً . . بل إنه أبعد الغرباء عنى .

فقال معترضاً :

– يخيل إلى أنك تظلمينه . . أليس هو الذى هيأ لك الحياة الناعمة التى وصفتها لى .

– ربما . . ربما . . ولكنى لم أشعر فى يوم من الأيام أنه أبى . . هل الأبوة أن يأتينى بالمال والثياب والسيارات . . يكفى أن أقول لك إننا لم نتناول الطعام معاً على مائدة واحدة وإذا تقابلنا لا نتبادل إلا كلمات قليلة ثم يشرد ويستغرق فى خواطره .

فقال لها معقباً :

– إنه رجل أعمال كما فهمت . . ورجال الأعمال دائماً مشغولون .

فأجابت فى نبرة تهكم :

– صدقت . . إنه مشغول . . مشغول جدًّا إلى درجة أنسته أن له ابنة . . إنه لا يعرف فى حياته إلا مشروعاته وأمواله ، إنه لم يفكر يوماً أن يضمنى إلى صدره فى حنان ، أو يطبع على جبينى قبلة أبوية . . أو يسألنى عما يحزننى وعما أريد . . وعما أفكر فيه . . هذا هو أبى وهذه هى حياتى معه . .

وسألها « بكر » :

– وما علاقة ذلك كله بالمنزلاوى . .

فلاذت بالصمت برهة . . وغرقت فى خواطرها شاردة الذهن . . وأخيراً رفعت رأسها وقالت :

– لقد ظننت أنه رجل حكيم يمكنه أن يعوضنى عن حنان الأب ويعيننى على نسيان غدر خطيبى السابق وخداعه . . ولكنى اكتشفت أنه رجل شرير يرأس عصابة خطيرة لا تتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم .

فقال فى استغراب :

– ماذا ؟ ؟ أتقولين إن هناك عصابة تعمل تحت إمرته ؟

فأومأت برأسها وقالت :

– نعم . . ولدى الدليل .

– وما هو يا ترى هذا الدليل ؟

فروت له الحديث الذى دار بينه وبين الرجل الآخر فى الكابينة ، وحين فرغت من سرد قصتها قال لها فى دهشة :

– إذن فقد كانت شكوكى فى محلها . . إننى أذكر أننى واجهت فى يوم من الأيام رجلاً له مثل هذه النظرات الثاقبة المريبة ولكنى لا أعرف أين ومتى واجهته .

– كيف لا تذكره . . حاول أن تتذكر .

فأجابها وهو يكد ذاكرته بلا جدوى :

– إن لى ذاكرة قوية لا تنسى وجوه الناس ، ولكن مما يؤسف له أننى لا أستطيع أن أتذكر وجه هذا الرجل . .

وصمت لحظة مفكراً ثم أردف :

– ولكن أغلب الظن أنه مجرم محترف يتخفى وراء شخصية لها مكانتها فى المجتمع .

وأشعل «بكر» سيجارة وجذب منها عدة أنفاس ثم قال :

– إنها نظرية ممكنة . . وإذا كنا مخطئين أو واهمين فلن نخسر شيئاً . . أما إذا كانت نظريتنا صحيحة فإننا دون شك سنقدم للعدالة خدمة جليلة .

فسألته فى اهتمام :

– وما الذى تنوى أن تفعله ؟

ففكر قليلاً ثم قال :

– سأكد ذهنى فى الأيام القادمة لعلى أتذكره .

– وأنا . . ماذا يتعين على أن أفعله . . إننى خائفه .

– لا تخافى . . كل ما هو مطلوب منك أن تخفى عنه أنك اتصلت بى . . لأنه لو عرف ذلك لبادر بالهرب أو إلحاق الأذى بك .

وسألها :

– أتشربين شيئاً يا فيروز ؟

– نعم . . قهوة .

وعندما جلس يحتسى القهوة معها راح يحدثها عن الرقابة الشديدة التى سيفرضها

على الفندق دون أن يثير ارتياب أحد من نزلائه . . فبان الارتياح على وجهها وسألته :

– وهل سأراك أثناء ذلك ؟

– دعى ذلك للظروف .

– وبعد لحظة صمت قصيرة قالت له :

– لست أدرى كيف أعبر لك عن شكرى .

فأجاب فى تواضع :

– إننى يا آنسة لم أفعل شيئاً يستحق الشكر .

– الواقع أنك أزحت عبئاً كان يثقل كاهلى . . وهذا صنيع لن أنساه لك .

– أى ضابط فى مثل موقفى لابد أن يبادر إلى مساعدتك .

فصعدته بنظره إعجاب وقالت :

– إننى مدينة لك بالراحة النفسية التى أشعر بها الآن ، وقد تعودت وفاء ديونى .

– أرجوك أن تنسى أننى أسديت لك صنيعاً . . هذا واجبى . .

– حسناً . . والآن وقبل أن أنصرف هل لى أن أطلب منك طلباً .

– بكل سرور . . ما هو . .

– إننى سأحتفل بعيد ميلادى فى منزلى يوم الخميس القادم وأخاف أن يقدم «إكرامى» خطيبى السابق على إفساد الحفلة لأننى لم أدعه لحضورها . . ولذلك يسعدنى أن تشرفنى بالحضور لتتولى حمايتى منه نظراً لوجود أبى فى إنجلترا ، فهل توافق ؟

– أوافق بشرط أن لا يكون المنزلاوى من بين المدعوين حتى لا يرتاب فى أمرنا .

– إنه لن يكون موجوداً . . كل المدعوين سيكونون من طلبة وطالبات الجامعة .

– إذا كان الأمر كذلك فلا مانع عندى ، ولكن هب أن «إكرامى» هذا أراد أن يدخل المنزل عنوة فكيف أتصرف ؟

– اطرده دون أى تردد .

– هل معنى ذلك أنك قطعت كل علاقة تربطك به .

– نعم . . لم تعد تربطنى به أية علاقة على الإطلاق . .

– وما موقفه هو منك ؟

– إنه ما زال يلاحقنى رغم انتهارى له وامتناعى عليه وصدى إياه ، وسوف أحدثك عن خيانته وغدره واستهتاره عندما أحضر لاصطحابك إلى الحفل .

– رفهى عنك . . سأعرف كيف أوقفه عند حده إذا سولت له نفسه إفساد الحفل .

فشكرته مرة أخرى وانصرفت عائدة إلى الفندق .

* * *

وعندما وصلت إلى باب البهو الخارجى رأت الدكتور «شعيب» يعبر البهو متجهاً إلى مكتب الإدارة وعلى وجهه دلائل القلق الشديد فاستوقفته وسألته فى دهشة :

– ماذا دهاك يا دكتور . . إنك بادى القلق بصورة مفزعة .

فأجاب فى شرود :

– لقد سرقت حقيبتى . . اختفت بطريقة غريبة .

– هذا غير ممكن . . حادث سرقة يقع فى الفندق .

– هذا ما حدث . .

– وكيف حدث هذا ؟

– تركت غرفتى بضع دقائق ولما عدت إليها لم أجد الحقيبة .

وجاء على صوت هذا الحوار «علوى» و«فضيلة» ولما سمعا تفاصيل الحادث هز «علوى» كتفيه وقال :

– لص فى الفندق . . هذا مستحيل .

وسألته «فضيلة» .

– هل كان بالحقيبة أموال كثيرة ؟

–كلا . . لم يكن بها نقود قط .

فسأله «علوى» بدوره :

– ما دام الأمر كذلك فلم كل هذا القلق .

فأجابته «فيروز» .

– ربما كانت تحتوى على أوراق هامة ، أليس كذلك يا دكتور ؟

ففكر قليلاً ثم قال :

– الواقع أن منظر الحقيبة يوحى بأنها مملوءة بالنقود ، فهى فخمة وسوداء وتوحى بالأهمية والثراء . . ولاشك أن اللص التعس تصور أنه وقع على ثروة تغنيه عن شقاء العمر ، وهكذا تسلل إلى الغرفة وحمل الحقيبة وهو يظن أنه عثر على كنز .

وهنا سألته «فيروز» قائلة :

– معنى ذلك أنه لم يكن بالحقيبة شىء ذو أهمية .

فصمت قليلاً ثم أجاب :

– الواقع أن كل ما فيها عبارة عن أوراق لو بيعت كلها بالأقة فلن يزيد ثمنها على ثلاثين قرشاً ، وليتها كانت أوراقاً بيضاء يمكن للص أن يبيعها أو يكتب فيها ، إنما هى أوراق مكتوبة . . وهى أوراق سيمزقها اللص ويمزق معها عناء شهور طويلة

وجهد ليال قاسية . . إنها باختصار مجموعة من المحاضرات التى أعددتها لطلبتى فى الكلية .

وهنا التفتت إليه فضيلة وقالت :

– أتحب أن نبلغ الشرطة ؟

وعلق « علوى » على ذلك بقوله :

– لست أرى ما يدعو إلى ذلك لأنه يمس سمعة الفندق . . وأعتقد أن اللص سوف يعيد الحقيبة إلى مكانها عندما يتبين أنها لا تحتوى على شىء ذى أهمية فى نظره .

فنظرت « فيروز » إلى الدكتور « شعيب » وسألته :

– ما رأيك يادكتور ؟

فأجاب فى نبرة حاول أن يجعلها هادئة :

– حسناً . . لاداعى لإبلاغ البوليس حرصاً على سمعة الفندق .

فقالت له « فيروز »

– أشكرك وأؤكد لك أن اللص سوف يعيد إليك الحقيبة قريباً .

وفى اليوم التالى غادر الدكتور « شعيب » غرفته وهو شارد الفكر مقطب الجبين . . ولما رأته « فضيلة » سارعت إليه وقالت له فى كلمات رقيقة حانية :

– لم تبدو متجهماً هكذا . . أمازلت تفكر فى موضوع الحقيبة ؟

فتنهد تنهيدة عميقة وقال فى أسى :

– نعم يا « فضيلة » . .

– ولم تفعل هذا وهى لا تحوى شيئاً ذا أهمية كبيرة كما قلت .

فتمهل قليلاً ثم همس يتلفت حوله فى حذر :

– إننى لم أصارحكم بالحقيقة يافضيلة برغم أننى أمقت الكذب وأقدر الصراحة والصدق حق قدرهما . .

فرمقته بنظرة إشفاق وقالت :

– لعل عذرك أنك إنما تكتم شيئاً هاماً لا تريد أن تبوح به لأحد .

– هذه هى الحقيقة يا فضيلة . .

فظهرت دلائل الاهتمام على وجهها وقالت :

– وماذا فى نيتك أن تفعل ؟

– لا أعلم . سأفكر فى الأمر فيما بعد . . ولكنى فى حاجة إلى شخص أثق به ليشاطرنى حمل هذا السر .

وسكت برهة ثم أمسك بيدها وهو يقول :

– تعالى معى نجلس فى كابينتى لأبوح لك بهذا السر .

وعندما انفرد بها فى الكابينة واطمأن إلى عدم وجود أحد بالقرب منهما . . قال لها وهو ينظر فى عينيها السوداوين الواسعتين :

– هل أستطيع الاعتماد على كتمانك إذا أفضيت إليك بهذا السر يافضيلة ؟

فأجابته وهى تنظر إليه فى عطف :

– وهل يساورك أدنى شك فى ذلك ؟

فتردد لحظة . . ولكن تردده لم يطل . . قال :

– أنا واثق أنك فتاة مثالية . . وليست لك رعونة واندفاع معظم الفتيات.

– ما الذى تريد أن تصارحنى به يادكتور .

– أريد أن أقول إننى أمتلك مواصفات سلاح كيميائى من نوع جديد يمتاز بقوة تدميرية هائلة ولا يحتاج فى صنعه إلى تكاليف باهظة .

فقالت فى استغراب :

– سلاح كيميائى ؟ ؟

– نعم . . وكنت على نية تسليم هذه المواصفات إلى الحكومة بمجرد انتهائى منه لتتولى إنتاجها كى تواجه بها تهديدات إسرائيل . . ولكن . .

– ولكن ماذا ؟ ؟

– لقد ضاعت نصف هذه الجداول والموصفات بضياع الحقيبة . .

فقالت فى نبرة مليئة بالجزع والإشفاق :

– يا إلهى . . وما العمل ؟

– لست أدرى . . إننى أشعر أننى فى مأزق .

– أليست لديك صورة من هذه المواصفات والجداول ؟

– كلا . . للأسف الشديد . . كانت الحقيبة تحوى الأصل والصورة .

– أتظن أن السارق كان يعرف أهمية هذه الأوراق ؟

وتردد «شعيب» برهة ثم قال :

– لا أعتقد ذلك . . إنه لن يرى فيها سوى ألغاز فى ألغاز .

– ألا تستطيع إعادة كتابتها ؟

– أستطيع طبعاً . . ولكن هذا يحتاج إلى عناء مرهق .

– وما الذى تنتوى فعله ؟

– سأنتظر بضعة أيام فقد يعيد اللص الحقيبة إلينا بطريقة أو بأخرى .

– أمن الحكمة أن تفعل ذلك أم ترى أن نبلغ الأمر إلى الشرطة .

فنظر إليها برهة ثم قال :

– أعتقد أن التكتم أجدى من إفشاء السر للشرطة ، يجب ألا يطلع على هذا

السر أحد وإلا تلقفته المخابرات الإسرائيلية وسعت للحصول عليه أو القضاء عليّ للتخلص مني .

فنظرت إليه فى جزع وقالت :

– أتظن أنهم يقدمون على شيء كهذا ؟

– هذا مجرد احتمال . . ولكن ينبغى أن نكون على حذر لأن بعض زملائى من العلماء الأمريكيين على بينة من نشاطى ومقدرتى العلمية ويحتمل أن يكون لبعضهم صلة بالعلماء الإسرائيليين ، وبوسعهم فى هذه الحالة أن يبصروهم بما لدى من معلومات عالية فى شئون الكيمياء واحتمال إقدامى على ابتكار نوع جديد من الأسلحة الكيميائية .

فقالت فى ارتباك :

– هذا شيء مزعج . . فما العمل وكيف المخرج ؟

– ليس علينا سوى الانتظار . . فإذا عادت الحقيبة انتهت المشكلة أما إذا لم تعد فعلينا أن نعيد التفكير فى الموضوع من جديد . .

– حسناً . . والآن دعنى أسألك هل ترتاب فى أحد ؟

– إننى أرتاب فى المنزلاوى . . لأننى نصحته بالابتعاد عن فيروز .

– إذن سأقوم سراً بتفتيش غرفته .

وقامت « فضيلة » سراً بعملية تفتيش دقيقة فى جناح المنزلاوى والأجنحة الأخرى ولكنها رغم الجهد الكبير الذى بذلته لم تعثر على الحقيبة ولم تهتد إلى معرفة السر فى اختفائها بهذه الطريقة المباغتة .

الفصل الثامن

وذات يوم ظهرت الصحف وهى تحمل عناوين بارزة عن احتمال امتلاك إسرائيل للقنبلة الذرية ، وبدا هذا الخبر كأنه خطر داهم يوشك أن ينقض على البلاد العربية وزاده يقيناً ما تردد من تهديدات مختلفة على ألسنة بعض زعماء إسرائيل وما رددته فى هذا الصدد بعض وكالات الأنباء فى عواصم الدول الغربية . .

ووقع هذا الخبر على الدكتور وقعاً أليماً ولما شاهد المستشرق « براون » ما عراه عندما التقى به فى المساء قال له :

- يجب أن تعلموا يا دكتور أن الحرب لم تنته بعد مع إسرائيل وإلا فإنكم تخطئون فى حق بلادكم . . وفى حق أنفسكم . . إن إسرائيل لا يمكن أن تنشد السلام لأنها دولة عنصرية توسعية كما سبق أن قلت للآنسة « فضيلة » . . إنها تعمل على تقوية قدراتها العسكرية ولا تدخر وسعاً فى سبيل إعداد قواتها المسلحة ، وتزويدها بكل جديد من الأسلحة المتطورة لتكون كفتها هى الراجحة دائماً . . وأنا من الذين لا يستبعدون امتلاكها للقنبلة الذرية . . ويوم تمتلك إسرائيل مثل هذه

الأسلحة التدميرية فهذا نذير بخراب العالم . .

– ولماذا ؟

– لأن الصهاينة شعب مكروه من كل بلاد العالم . . وهم مكروهون لأنهم خونة غادرون يعملون دائماً لحسابهم وهم يعملون لحسابهم فى كل بلد يوجدون فيه لسبب واحد هو زعمهم أن كل أرض هى لهم . وكل ذهب لهم . وكل هذه الشعوب خدام لهم .

ولم ترض الشعوب كلها ، ولن ترضى أن يكون كل شىء لليهود ، وألا يكون لبقية الشعوب شىء . . ومن هنا كان الصراع الدائم بين الصهاينة وغيرهم من شعوب الدول الأخرى فى أنحاء الدنيا .

وقال «شعيب» معقباً على ذلك :

– إن نظرتك إلى الصهاينة هى نفس نظرتى إليهم . . إننى أعتبرهم أعداء البشرية . .

فأجاب بمرارة :

– بكل تأكيد . . سلنى عنهم أقل لك ؟

– هل درست تاريخهم بتعمق ؟

– أجل . . وباستطاعتى أن أقول إنهم مرضى بجنون العظمة والسيادة . . يكفى أنهم يتصورون كل شعوب الأرض نوعاً من الحيوانات قد خلقهم الله ليكونوا فى خدمة أسيادهم اليهود . . . هذا بإيجاز ما يقولونه عن أنفسهم أما عن إسرائيل كدولة فقد أنشأتها القوى العالمية الكبرى فى هذه المنطقة لتحقق لها أغراضها من استنزاف قوى العرب وإبقائهم ضعفاء متفرقين ، ويجب على العرب أن يدركوا أن هذا هو ما خلق دولة إسرائيل ، وما يبقيها ، وما سوف يبقيها . .

وجرهما الحديث بعد ذلك إلى الكلام عن آخر ما كتبه فى مذكراته عن حضارة الإسلام . . . فأجاب والكلمات تنثال من بين شفتيه فى حماسة ظاهرة :

- أستطيع أن أقول عن هذه الحضارة إنها شيء يعلو على كل وصف أو تقدير . . بإيجاز شديد أقول إن العرب حملوا الأمانة عندما جاء دورهم فى التاريخ ، ولئن تناولوا المشعل وحملوه كما حملته سائر الأمم من قبل ، فإنهم أضافوا إليه أضعاف ما أخذوا منه وزادوا عليه من وهج العقول وضياء الفكر ما يشهد به التاريخ . . ولم يكن العربى المسلم بالضنين ولا بالشحيح بعلمه بل قدم العرب الحضارة والثقافة والعلم على أقصى ما وصلت إليه أيديهم هدية كريمة رفيعة الشأن ، وهبة سخية جليلة إلى من تلاهم من أمم وأجيال .

وبعد نصف ساعة جاءت « فضيلة » وانضمت إليهما وراح الثلاثة يتبادلون الحديث فى موضوعات شتى وفى أثناء ذلك التفتت « فضيلة » إلى « براون » وسألته :

- خبرنى . . ما الذى لم يعجبك فى القاهرة ؟

فقال مبتسماً :

- أتريدين رأيى بصراحة ؟

- طبعاً .

- بصراحة لا تعجبنى قذارة شوارعها .

وعلق الدكتور « شعيب » على ذلك بقوله :

- أنت على حق . . إن قذارة شوارعنا مشكلة حارت فيها الألباب والعقول .

فقال « براون » :

- لست أدرى لم تحار فيها العقول مع أنه يمكن حلها فى ٢٤ ساعة فقط لا غير . . ولذلك سابقة من الماضى البعيد .

فسألته « فضيلة » :

– وما هى هذه السابقة ؟

فأجابها قائلا :

– منذ أكثر من ١٧٠ سنة . وعلى وجه التحديد فى زمن الحملة الفرنسية على مصر ، دخل « نابليون » قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، وقام بجولة سريعة فى المدينة وخرج منها بأن القاهرة « عروس جميلة حقًّا لكنهم لطخوا منها الوجه والثوب والجسم . وكان أول قرار أصدره أن يبادر صاحب كل بيت بالكنس والرش والتنظيف أمام بيته وفى الجزء الممتد منه فى شارعه . . وفى المساء يوقد قنديلاً أمام البيت . . وفى ٢٤ ساعة فقط ، بل بين عشية وضحاها ظهرت القاهرة من أبهى وأزهى مدن العالم ، وإذا هى رائعة متلألئة بالأضواء ، جميل شكلها يسر الناظرين . فليس عيباً إذن ونحن نتحدث عن مدينة الأزهر وألف مئذنة ، أن يتولى كل مصرى تنظيف الشقة والبيت والشارع والحى ، بحيث يسير السائح والزائر فى شوارعها بلا مطبات أو حفر ، وبلا تلوث من القمامة والقاذورات وإنما العيب أن تلقوا على الحكومة كل عبء حتى فى مجرد النظافة ، ولا يتصور متصور أن ذلك مستحيل فى أيامنا هذه فقد فعلته الصين من قبل وفى ظروف بالغة الصعوبة ، ونحن نعلم اليوم أين تقف الصين ، وما تقدر عليه الصين ، يكفى أنها ارتفعت فى سنوات قليلة من حضيض القذارة إلى ذروة القدرة والنظافة .

ورداً عن سؤال وجهته إليه « فضيلة » عن الشعب الألمانى قال « براون » :

– إنك لا شك تعلمين أنه فى خلال القرن الحالى خاضت ألمانيا غمار حربين عالميتين تعرضت فيهما للهزيمة وكانت الحرب العالمية الثانية أشد هولاً من الأولى من حيث عدد الأرواح التى أزهقت . وفداحة الخسائر المادية التى حاقت بالعالم من

جرائها ، وكان السبب الرئيسى لقيامها هو عزم «هتلر» على استعادة المستعمرات الألمانية التى استولى عليها الحلفاء بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، فلما انتهت الحرب بهزيمة بلادى قرر الحلفاء تقطيع أوصالها حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك ، ولكننا نحن الألمان نشطنا للعمل من جديد ودبت الحركة مرة ثانية فى داخل المصانع والبيوتات التجارية لاستعادة مجد ألمانيا ومكانتها السابقة وهكذا لم تمض سوى عشر سنوات على هزيمة ألمانيا ، حتى رأى العالم ألمانيا تقف مرة ثانية على قدميها ، وتنتصر على محنتها ، بل غدت فى المستوى الذى يجعلها تمثل مركز الثقل فى الحرب الباردة التى تدور بين معسكرى الشرق والغرب ، ومركز القيادة فى المجال الاقتصادى فى أوروبا . وأصبحت تشكل خطراً كبيراً على أمريكا وروسيا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا فى الأسواق العالمية وأصبح المارك الألمانى أثبت من الدولار والجنيه الإسترلينى فى أسواق العملة .

وعندما فرغ «براون» من كلامه قالت له «فضيلة» :

- شد ما أنت فخور بشعب بلادك ؟

فأجابها فى حماسة :

- طبعاً أنا فخور جداً بشعب بلادى . . إن الألمان لاشك شعب عظيم وعريق ويكفى دليلاً على ذلك أنه استطاع فى عشر سنوات كما قلت أن ينتقل من مكان الدولة المهزومة المغلوبة على أمرها إلى مكان الصدارة بين دول العالم .

وعندما غادرت «فضيلة» والدكتور «شعيب» المكان قالت «فضيلة» :

- كلما ازددت معرفة بالأستاذ «براون» تضاعف إعجابى به .

فأجابها قائلا :

- إنه دون شك مثال الرجل المثقف الذى يعرف كل شىء عن شىء ويعرف

شيئا عن كل شىء – وساد بينهما الصمت لحظة . . ثم سألته :

– ما رأيك فى هذه الأنباء ؟

– أى أنباء ؟

– الأنباء التى تقول إن إسرائيل أصبحت تمتلك القنبلة الذرية .

فقطب جبينه وقال :

– قد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون . . أقصد أنها ربما تكون شائعات تروجها إسرائيل لترويع العرب .

وسكت لحظة ثم استطرد :

– على كل حال هذه مسألة ينبغى علينا أن نتدبرها ونفكر فيها حتى نضمن الأمن والسلامة لبلادنا .

فقالت وهى تضغط يده فى حرارة :

– تذكر يا دكتور أننا نعلق عليك أكبر الآمال .

– فقال بنفس الحماسة :

– إننى أرجو أن أكون عند حسن ظنك يا فضيلة فطالما أنت بجوارى فلن أعرف طعم الفشل أو اليأس .

– إننى مستعدة أن أقف كل اهتمامى ووقتى على توفير كل أسباب الراحة لك حتى يتم لك إنجاز مشروعك بنجاح .

– إننى واثق كل الثقة من أن النجاح سيكون حليفى برغم الخسارة التى منيت بها .

– تقصد ضياع الحقيبة .

– نعم . . إنها خسارة كبيرة ولكنى سأنساها وأبدأ من جديد .

ولبث صامتاً لا يتكلم . . ترمى عيناه إلى الأفق البعيد كأنما نسى حادث السرقة فعلاً . . وأخيراً قال :

— رغم أننى من محبى السلام إلا أننى أومن بأن الحرب لا يقتلها إلا الحرب ، وأن الكيد لا يفسده إلا الكيد ، وأن الحديد لا يفله إلا الحديد ، ولذلك لا سبيل إلى إقناع إسرائيل بالسلام إلا إذا امتلكنا شيئاً مخيفاً يروعها ويردعها ويثنيها عن التفكير فى شن حرب جديدة علينا . .

فقالت له فى صوت جاد فيه كثير من العطف والحنان :

— أنت رجل وطنى يستحق كل تقدير . . ولسوف نذكر لك هذا . . سنذكر أننا مدينون لك من أجل هذا .

— شكرا . . وسوف يشجعنى على عملى أن أشعر أنك تسهرين علىّ لأننى محتاج إلى رعايتك ونشاطك وودك وإخلاصك .

فنظرت إليه حائرة كأنها لم تفهم عنه . . وسألته :

— أتظن أننى أستطيع أن أكون ذات نفع فى هذا المجال ؟

فقال فى رقة :

— أنت فتاة رقيقة مهذبة مخلصة . . وحسبى منك هذا الآن . .

فقالت له فى صوت باسم يملؤه الحنان :

— سوف تجد فىّ الصديقة المخلصة التى يسعدها أن تشاركك فى هذا الأمر وتعينك على احتمال أعبائه الثقال .

فأجابها وهو ينظر فى عينيها :

— إن ذلك يسرنى للغاية . . ثق أننى سوف أكون من أسعد الناس مادمت أنعم بقربك وأسعد منك بهذه النظرات الحلوة وبهذه العبارات الرقيقة .

وقد أنفق الدكتور « شعيب » فى هذا اليوم وقتاً من أسعد أوقاته . . لم يعرف فيه ألماً ولا حزناً ، ولم يحس فيه حسرة على ما مضى ولا استطلاعاً إلى ما هو مقبل . . وإنما عاش للساعات التى كان فيها مستمتعاً بهذه اللذات الهادئة التى كانت تقدمها إليه « فضيلة » فى شكل أحاديث أو ابتسامات أو نوادر تجرى على رسلها فى غير تعمق أو تكلف أو جهد ظاهر . وبعد هذا اللقاء افترقا وهما يطفران من فرط السعادة والنشوة ، فقد كان هذا اليوم عند كل منهما من أسعد أيام حياته . . ورغم أنهما لم يتبادلا كلمات الحب صراحة فقد ذهب كل منهما إلى فراشه رضى البال ، يغمره الجذل ، ويشيع فى جوانب نفسه إشراق صوفى عجيب كان مرده فضلاً عن جمال الطبيعة وطلاقة الصيف وصفوه إلى صحبة كل منهما للآخر وإعجابه به وتذوقه السعادة حق السعادة إلى جانبه .

وفى الصباح استيقظ كل منهما ونفسه تزخر بأنبل الإحساسات وأرق العواطف ، وتشعر شعوراً دقيقاً بالكنز الثمين الذى يملكه فى شخص الآخر .

وبعد ساعة قابلها مرة أخرى . . كانت بادية البشر ، متألقة الوجه ، كأنها زهرة نضرة . . ابتسم فى وجهها وقال لها فى حياء :

– فضيلة . . أريد أن أقول لك شيئاً . .

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة فاتنة :

– ماذا تريد أن تقول لى يا دكتور .

– أريد أن أقول إننى أحبك وأود من صميم قلبى أن تكونى زوجة لى .

فتضرج وجهها احمراراً ، وسكتت برهة ثم قالت :

– هذا شرف أعتز به .

– إذن فأنت موافقة .

– وكيف لا أوافق وأنا أعلم أننى سوف أكون معك أسعد فتاة فى العالم .

وما إن فرغت من عبارتها حتى لمحت « علوى » يقترب ناحيتها وقد اشتعل فى عينيه بريق الغضب . . وقال لها فى عصبية ثائرة :

– فضيلة . . تعالى إلى المكتب . . هناك عمل كثير ينتظرك منذ الأمس ، إننى لا أسمح بهذا الإهمال والتراخى فى العمل .

فقالت فى شىء من الحدة :

– وأنا لا أسمح لك أن تخاطبنى بهذه اللهجة . . هل أنت رئيسى ؟

فرمقها بنظرة حانقة وقال :

– كلا . . لست رئيسك . . ولكنى لا أستطيع أن أقوم بعملى وعملك فى وقت واحد .

– ومن طلب منك أن تقوم بعملى . . دعنى وشأنى الآن .

وتحولت إلى « شعيب » وقالت له :

– هيا بنا يا دكتور .

فقال لها « شعيب » .

– لحظة واحدة يا فضيلة . . أى ضير فى أن تجيبى « علوى » إلى ما يريد ، إن كل ما قاله إنما يدفعه إليه حبه للعمل وأنا أحب الشخص الغيور على عمله .

ثم تطلع فى ساعته ، والتفت إلى « فضيلة » قائلاً :

– سأعود بعد ساعتين لتكملة الحديث الذى بدأناه يا فضيلة . .

فقالت له وقد عاد إليها الهدوء :

– حسناً . . ستجدنى فى انتظارك يا دكتور .

– وإلى أن أعود أرجو أن تسويا ما بينكما حتى أشعر بالارتياح .

فأجابته باسمة :

– كل شيء سيكون على ما يرام . . فلا تشغل بالك من هذه الناحية .

– حسناً . . إلى اللقاء .

وما كاد «شعيب» يغادر الفندق حتى عاد الغضب إلى «علوى» عنيفاً طاغياً فاقترب منها وقد جاشت فى نفسه عواطف ثائرة ، واضطربت فى رأسه خواطره الحمراء . . وقال لها والدم يغلى فى عروقه :

– إننى لن أسمح لك بعد الآن بأن تتمادى فى علاقتك معه ، إن من واجبى أن أحميك من نزواتك .

فرمقته بنظرة حانقة وقالت له :

– بأى حق تقول لى هذا الكلام ؟

– حق الكرامة . . حق الشرف . . ألا ترين أنك بمسلكك الشائن تتنكرين لمبادئ الشرف ومبادئ الأخلاق . .

– صه . . صن لسانك . . كيف تجرؤ على مخاطبتى بهذا الكلام ، إذا تفوهت بكلمة أخرى كانت خاتمة ما بيننا . .

فتغير وجهه . . وراح ينظر إليها فى تخاذل وشرود . . ولم تكن عيناه فى هذه اللحظة تنمان عن شيء من الغضب . .

لبث صامتاً لا يتكلم . . وأخيراً قال فى ارتباك ملحوظ :

– إننى آسف يا فضيلة على ما بدر منى ، لقد أخرجنى حبى لك عن طورى فاعذرينى .

فنظرت إليه فى إشفاق وقالت له :

– حسناً يا علوى . . اعتبر كل ما كان منك كأنه لم يكن . . ولنحاول أن نكون أصدقاء كما كان ذلك شأننا من قبل . . بهذه الطريقة نستطيع أن نعيش معاً فى صفاء .

– سأحاول . . ولكنى أنصحك بأن تتريثى فى الأمر معه فقد يكون ما بك نزوة لا تكاد تشتعل حتى تنطفئ . .

– لا داعى لهذا الكلام يا علوى . . حاول أن تنسى . . وفكر فى صداقتنا وعند ذلك ستدرك أننى لا أحمل لك إلا كل مودة وإخلاص .

ولكن « علوى » لم يستطع خلال ساعات النهار وساعات من الليل أن يقنع نفسه بالصداقة البريئة ، وأخيراً مضى إلى مخدعه وأنفق بقية ليله شقياً محزوناً مضطرب النفس ، مختلط الأمر ، لا يستقر فى مجلسه إلا لينهض منه ويمضى فى غرفته ذاهباً آيباً ، وكان أحياناً يشرف من النافذة ويملأ صدره من نسيم البحر ، ويملأ عينيه من ظلمة الليل بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل ، وظل كذلك سائراً حائراً حتى طلع الفجر .

وعندما توجه إلى مكتبه كان قد أقنع نفسه بأن هذه الصداقة لا يمكن أن تنقع له غلة ، ولا تشفى له صدى وإنما ستزيده ظمأ إلى ظمأ وتحرقاً إلى تحرق .

وفى ذلك الوقت وعلى درج الفندق ألفى « المنزلاوى » نفسه وجهاً لوجه أمام « إيهاب » . . وتصافح الرجلان فى حرارة وقال « إيهاب » ممازحاً :

– كيف حالك أيها العاشق الولهان ، هل فزت بفيروز أم تراها ضاعت من يديك .

فأجابه فى اقتضاب :

– إنها لم تضع بعد . . خبرنى ، ألم يسبق لك أن وقعت فى مثل هذا المأزق ؟

– كلا . . فإنى رجل أحب الحسم فى الأمور ، ففى مثل هذا الموقف إما أن أنسحب أو أضطر غريمى إلى الانسحاب .

– إذن فأنت لا تؤمن بالصبر والتريث فى معالجة المشاكل .

– كلا . . إننى أومن بالبت السريع فى الأمور قبل أن يفوت الأوان .

فأحنى « المنزلاوى » رأسه وقال :

– أصبت . . فلا شك أن البت السريع فى الأمور أجدى وأنفع ، سوف ألتمس كل وسيلة للفوز بها .

فجذبه من ذراعه ومشى به ناحية الشاطئ . . وكان « المنزلاوى » بادى الهم والكآبة إذ كان رفض « فيروز » الزواج منه ضربة قاسية فى الصميم . . ولقد حاول بالأمس أن يثنيها عن عزمها ولكنها رفضت وأبت أن تتراجع عن قرارها . . واسترسل « المنزلاوى » يقول :

– لقد أصبحت عنيدة بشكل لم أكن أتصوره .

– وذلك طبعاً راجع إلى سيطرة « شعيب » على عقلها . . إنى أعتقد أن تدخله بينكما هو سبب هذا التغير والحافز إليه .

– ولكن الذى يدهشنى أننى سمعت أنه مفتون بفضيلة :

– وكيف يدهشك هذا ؟ إنه رجل طماع والطمع يا صديقى غريزة فى كل إنسان ولكنه أشد بروزاً فى أمثال « شعيب » ممن لا هم لهم إلا إيقاع الفتيات الفاتنات فى شراكهم .

وسكت برهة ثم أردف :

– يلوح لى أنى أدهشتك ؟

فأجابه وهو غارق فى أفكاره :

– قليلاً . . لأننى كنت أعتقد أن عالماً مثله لا يمكن أن ينقاد إلى هذه النزوات .

– حقًّا . . ؟ ألم يخطر لك يوماً يا عزيزى المنزلاوى أن من بين العلماء من هم أشد طيشاً من عامة الناس . .

– لا أنكر أننى لم أفكر فى ذلك .

– عليك إذن أن تفكر .

واستغرق التفكير «المنزلاوى» فترة طويلة ثم رفع رأسه وقال :

– حسناً . . سوف أفكر .

الفصل التاسع

وفى يوم عيد الميلاد ذهبت « فيروز » إلى مديرية الأمن وبعد حديث قصير مع الرائد « بكر » عن علاقتها بإكرامى خرجا معاً وركبا سيارتها وانطلقا بها إلى منزلها . . اندفعت السيارة تطوى الطريق واختلست إليه الفتاة نظرة من جانب عينيها فرأته مغرقاً فى التفكير . . واحترمت صمته طويلا ، ولكنها لم تملك أخيراً إلا أن تتكلم . . سألته :

– فيم تفكر ؟

فتنبه لنفسه وأجاب :

– إننى أفكر فى هذا الوغد المدعو « إكرامى » . . لست أدرى لم أقدم على هذه الفعلة السخيفة . . أكان بحاجة إلى المال ؟

–كلا . . إنه شاب غنى ولكنه فعل ما فعل بدافع المباهاة .

– إننى لا يمكن أن ألتمس له عذراً . . كيف طاوعه قلبه على أن يخون ثقة فتاة فاتنة مهذبة مثلك .

– إنه شاب مغرور مستهتر لا يتورع عن ارتكاب أى حماقة .

– لابد وأن يكون الأمر كذلك وإلا لما أقدم على هذه المراهنة الشنيعة .

– إذن فأنت من رأيى أنها إهانة شنيعة .

– بكل تأكيد . . ولكن يمكنك أن تغفريها له إذا اعتذر .

– وما الفائدة . . إننى لن أعود إليه .

– ولماذا لا تعودين إليه إذا طلب الصفح منك ؟

– لأننى اكتشفت بعد ذلك أنه شاب ماجن لا همَّ له إلا شرب الخمر ومطاردة النساء .

– وماذا تنتظرين من شاب اجتمع له المال والشباب والبطالة ولكن الذى أجدنى على يقين منه هو أن مثل هذا الشاب قد يقلع عن مباذله إذا أحب حبا حقيقيا لأن الحب الحقيقى من شأنه أن ينقى القلوب ويطهر النفوس .

فقالت محتجة :

– كيف تريد منى أن أعود إليه بعد أن عرضنى لألم الفتاة التى تهان فى حبها ، ولخزى الفتاة التى تهان فى كرامتها .

– ما أقصده هو أن تستشيرى قلبك قبل أن تنهى العلاقه التى تربطك به ، فقد يكون فى ثنايا قلبك رغبة فى الرجوع إليه دون أن تدرى .

– إننى أدرى بنفسى وأؤكد لك أننى لم أعد أحمل له ذرة واحدة من الحب . . لماذا لا تصدقنى ؟

– الآن صدقتك ؟

– وكيف ذلك ؟

– من الطريقة التى ألقيت بها تصريحك ، من المحقق أنك لا تحبينه .

– وعلام عولت ؟

– عولت على طرده إذا اعتزم دخول منزلك عنوة . .

وبدأت الحفلة فى الميعاد المحدد وأخذ المدعوون يفدون تباعا ، والرائد « بكر » عند الباب يتلقاهم ، يتطلع فى القائمة ويرى أسماءهم مدونة فيها فيرحب بهم ويدعوهم إلى الدخول . . وفى هذه الأثناء كان « إكرامى » فى النادى مع نفر من أصحابه ، وأمامهم الكؤوس وزجاجات الشراب ، يفرغونها فى أجوافهم كأسا بعد كأس ، وضحكاتهم الصاخبة تتردد فى أرجاء المكان ، يصيحون ويصرخون وقد لعبت الخمر برؤوسهم . . وبعد نصف ساعة نهض « إكرامى » واقفاً وصاح :

– الآن آن أوان الذهاب إلى عيد ميلاد « فيروز » . . هيا بنا .

فانصرفوا وراءه مهللين ضاحكين . .

وعندما اقتربوا من باب المنزل أسرع « بكر » يسد المدخل بجسمه . . وحاول « إكرامى » أن يدخل ولكنه اعترض طريقه وهو يقول :

– ما اسمك ؟

– أنا إكرامى .

– آسف . . إنك لست مدعواً .

فاحمر وجه « إكرامى » وقال فى عجرفة :

– وهل من الضرورى أن أدعى . . إننى خطيب « فيروز » .

فأجابه فى حزم وصلابة :

– لا أعرف أن لفيروز خطيباً . . كل ما أعرفه أنك لست مدعواً ، وأنه لا حق لك فى أن تدخل المنزل .

وحاول « إكرامى » أن يزيحه من طريقه ، ولكن « بكر » تصدى له وهو يقول :

– آسف . . ما دمت لست مدعواً فيجب أن تنصرف . . ومحاولتك الدخول عنوة ليس فى صالحك . .

فتخاذل قليلاً أمام نظراته الصارمة وقال :

– ولكن أين « فيروز » ؟

– فى الداخل مع ضيوفها .

– أريد أن أراها .

– ولكنها لا تريد أن تراك ، لدى أوامر صريحة منها بمنعك من الدخول .

– ومن أنت ؟

– ليس هذا شأنك . . خير لك أن تنصرف قبل أن ينفد صبرى .

إذن فأنت تريد شجارا ؟

فقال فى نبرات تنطوى على الصرامة :

– إذا سولت لك نفسك الدخول فسأقوم باقتيادك عنوة إلى قسم البوليس .

وقطب « إكرامى » جبينه . . واتقدت عيناه . . ولاح أن هذه العبارة جرحت كبرياءه أمام زملائه . .

ومع ذلك فقد أجاب فى صوت هادئ ليس فى نبراته شيء من الحدة والصخب :

– حسناً . . سأذهب ولكنى لن أسكت .

– هناك شيء يجب أن تعرفه تماما ، إذا تعرضت لفيروز فى يوم من الأيام فأنت الجانى على نفسك .

وتهامس إكرامى بعد ذلك مع رفاقه قليلا . . ثم ارتدوا على أعقابهم راجعين .

وعاد « بكر » بعد ذلك إلى الحفل وجلس مع « فيروز » وضيوفها حول مائدة

فاخرة يضيئها صف من الشموع الضخمة وقالت « فيروز » لبكر وهى تبتسم :

– كان أخوف ما أخافه أن يفسد علينا إكرامى هذه الجلسة السعيدة ، ولكنك عرفت كيف تخلصنا منه . . فشكراً لك ، إننى أشعر أننى مدينة لك بالكثير.

فأجاب فى تواضع :

– ليس بين الأصدقاء دائن ومدين يافيروز . .

– أرجو أن تكون قد وفقت فى تكوين فكرة صحيحة عن إكرامى .

– الحق أن كل ما قلته عنه صحيح . . شاب عربيد كهذا لا يمكن أن يكون كفؤاً لك .

والتفتت إليه فتاة تدعى « نجوان » وقالت له :

– هذا بالضبط ماكنت أقوله لها ولكنها لم تصدقنى .

وسكتت لحظة ثم استطردت « نجوان » تقول :

– كانت تحبه لأنها طيبة القلب. أما هو فلم يكن يحبها مع أنها جديرة بأن تحب .

وتطلعت « فيروز » إلى صديقتها ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وقالت :

– الواقع أننى كنت ضحية خدعة كبيرة . . إننى لا أدرى الآن كيف صدقته عندما قال إنه لم يلتق فى حياته بمن هى أجمل منى . . وحين قال إنه فى أول مرة لقينى فيها أمضى ليلته أرقاً ساهراً يفكر فى ويتمثلنى أمامه . . وحين قال إنه إن تزوجنى فسيكون أسعد رجل فى العالم . . إلى غير ذلك من العبارات المعسولة التى كان يصبها فى أذنى . . لا أدرى الآن كيف لم أفطن إلى أنه كان يخدعنى ، ولكنى أحمد الله على أن أمره قد انكشف أخيراً وخرجت من هذه المحنة بدرس سوف ينفعنى فى المستقبل .

فسألتها واحدة منهن :

— ماذا تعنين . . هل ستتخلين عن أحلام الحب والزواج ؟

- كلا . . ولكنى سوف أكون أشد حرصاً فى اختيار من أحب حتى لا أقع فى مثل هذا الشرك مرة أخرى .

فقالت صديقتها فى لهجة لا تخلو من دعابة ومزاح :

- وهل الحب يخضع للإرادة . . إنه مثل الجراثيم تصيب الإنسان رغماً عنه .

فالتفت إليها « بكر » وقال .

— هذا صحيح ولكن بوسع الإنسان أن يتحصن ضدها . .

فنظرت الفتاة إلى وجهه الذى يفيض حيوية وقوة وقالت مبتسمة :

- أهذا هو شعورك الحقيقى نحو الحب ؟

فتطلع إليها فى رزانة وقال :

- لا أستطيع أن أعطيك جواباً شافياً لأننى حتى هذه اللحظة لم أعرف الحب .

— ولماذا ؟

— لأننى أعيش فى دنيا أخرى غير التى يحياها غيرى من الشبان . . دنيا العمل والواجب .

— وهل معنى ذلك أنك لن تفكر فى الحب والزواج فى يوم من الأيام .

— كلا . . سوف أفكر وأحلم وأتمنى إلى أن تأتى اللحظة التى تظهر فيها فتاة أحلامى . .

— وكيف تتخيل فتاة أحلامك .

— أتخيلها فتاة ذكية ، رقيقة القلب ، متقدة العاطفة فى غير نزق ، رشيقة المظهر والحركة فى غير تكلف ، ذات ملاحة وجاذبية ، وذات عقل ودين . . وإن أنثى لها هذه الصفات لخليفة بأن تملأ قلبى وعقلى .

فقالت إحدى الفتيات ضاحكة :

– وأين ستجد هذه الفتاة . . إنك لن تجدها إلا فى عالم الخيال .

فأجابها :

– أتظنين أننى أطلب المستحيل ؟

– أعتقد أن هذه الأوصاف لا توجد إلا فى الملائكة .

– وما يدريك ربما ألتقى بها فى يوم قريب . .

– تقصد عن طريق المصادفة .

– جائز . . من يدرى . . إن القدر يخط للإنسان فى صحائفه أشياء لا تطرأ له على بال .

– صدقت . . صدقت . .

وعندما نهض واستأذن منهن فى الانصراف تقدمن منه وصافحنه فى مودة وإعجاب . . .

وقالت له « فيروز » وهى تشيعه نحو الباب :

– هل طرأ جديد بالنسبة للمنزلاوى ؟

– لا شىء أكثر مما قلت . . إننى أعتقد أننى رأيت هذه النظرات من وراء لثام . .

– ماذا تعنى ؟

– أعتقد أننى واجهت المنزلاوى فى معركة وهو متستر وراء قناع يخفى شخصيته الحقيقية . . وأغلب الظن أن ذلك حدث فى القاهرة قبل نقلى إلى مرسى مطروح . .

– وعلام عولت ؟

– لقد وضعته فعلا تحت الرقابة الشديدة دون أن يشعر ، وقريباً سنعرف سره .

وقبل انتهاء الحفل بقليل قالت « نجوان » لفيروز :

– هل لك فى أن تتناولى الغداء معى غدا . . أبى يريد أن يراك بعد أن رأى صورتك معى وبعد أن رويت له قصتك مع إكرامى .

فأجابتها مبتسمة :

– سوف يسعدنى ذلك يا نجوان .

– حسناً . . سأنتظرك فى الساعة الثانية عشرة .

وعندما ذهبت إلى منزل « نجوان » استقبلتها مرحبة وأخذت بيدها تقودها إلى الداخل وهى تقول :

– إنى سعيدة بقدومك يا فيروز . . تعالى لأقدمك لأبى .

وسكتت برهة ثم أردفت :

– إن أبى لواء شرطة متقاعد ، وقد أبدى اهتماماً شديداً بقصتك مع إكرامى ويسره جدا أن يراك .

– إن ذلك يسعدنى .

فأخذت بيدها تسحبها وراءها وهى تقول :

– إذن تعالى لأقدمك إليه . .

وقادتها إلى غرفة المكتب حيث كان أبوها واقفا أمام خزانة حافلة بالكتب . . كان رجلا تجاوز الشباب ولكنه لم يمعن فى الشيخوخة ، مرتفع القامة ، مهيب الطلعة ، عليه مظهر الثروة وارتفاع المنزلة ، عرفت فيروز ذلك من لباسه الأنيق ، ووجهه الذى تشرق فيه الثقة ، وتظهر عليه الكبرياء ، وحين أحس بقدومها ترك ما بيده وأقبل على « فيروز » مرحباً وهو يقول :

– أهلا . . وسهلا . . كم أنا سعيد برؤيتك .

فافتر ثغرها عن ابتسامة مشرقة وقالت :

– أنا كذلك سعيدة برؤيتك يا عمى .

وعندما جلس ثلاثتهم إلى المائدة التفت إليها وقال :

– كيف تقضين إجازتك الصيفية ؟

فأجابت قائلة :

– على نحو سيئ إلى حد ما . . إننى شغلت ببعض المشاكل المحيرة .

– تقصدين مضايقات الشاب المدعو إكرامى ؟

– هذه واحدة منها وإن كان هناك من تكفل بأمره .

– إذن فقد تدخل شخص فى الأمر . كنت أظن أننى أستطيع أن أفعل شيئاً يريحك من إزعاج « إكرامى » .

– شكرا لك . . لقد تعهد أحد الضباط بإبعاده عنى .

– ومن يكون هذا الضابط . . إن معظم الضباط إما من زملائى أو تلاميذى .

– إنه الرائد « بكر عبد الحميد » بمباحث مرسى مطروح .

فردد قولها :

– الرائد « بكر عبد الحميد » !

– ألك معرفة به ؟

– وكيف لا أعرفه . . إنه ضابط مغامر . .

– ماذا تقصد بذلك ؟

– أقصد أنه شاب جسور يحب المغامرات وقد ساقته مغامراته إلى حرب عوان مع المجرمين والقتلة وكان سببا فى القبض على كثير من زعماء العصابات والجواسيس ومهربى المخدرات وتجار الرقيق الأبيض . . باختصار كان طول حياته حرباً على

الجريمة والمجرمين . . وإنى لا يخالجنى شك فى أنه سيريحك نهائيا من مضايقات إكرامى وحماقاته . .

وبدا الرجل فى نظر « فيروز » أثناء حديثه مرحاً لطيفاً غير ممل . . وبعد الانتهاء من تناول الطعام صحبها الرجل وجعلها تشاهد مسكنه الفاخر ، ثم أجلسها بعناية فى مقعد وثير ، وراحا يتحدثان انتظاراً لعودة « نجوان » بأقداح الشاى . . وقال الرجل :

– مارأيك فى « نجوان » ؟

– إنها فتاة ممتازة . . لقد سمعت أنك تحبها حباً جماً .

– هذا صحيح . فقد رعيتها بنفسى منذ صباها بعد أن ماتت زوجتى . . كنت لها بمثابة الأب والأم والأخ . . وكانت أعز أمنية لى فى الحياة أن أراها سعيدة هانئة فى كنف زوج كريم يحبها ويرعاها . . ولكن . .

– ولكن ماذا ؟

– الشيء الغريب أنها مصرة على عدم الزواج إلا بعد أن تجد لى عروساً تملأ بيتى سعادة وبهجة . .

– وهل وجدت لك عروساً مناسبة ؟

– نعم . . لقد وجدتها أخيراً . . اختارتها من بين صديقاتها اللائى تعتز بصداقتهن ؟

فقالت فى مرح :

– من هى يا ترى ؟

فابتسم وقال :

– هى أنت يا فيروز . .

فانتفضت كمن يستيقظ فجأة من حلم رهيب . . ورمقت الرجل بنظرة سريعة . . وأشاحت بوجهها . .

وقال الرجل :

– ثقي أن حياتك معي سوف تكون كلها سعادة وبهجة . . وسوف يكف الحمقى والأوغاد عن ملاحقتك وحينئذ تنعمين بالحياة بلا خوف أو مضايقة . . تذكرى أنك بحاجة إلى رجل قوى يرعاك ويحميك من إكرامى وأمثاله من الشبان المدللين.

فتمتمت وهى شاردة الذهن :

– إنى آسفة . . لا أستطيع أن أقبل زواجاً كهذا .

فنظر إليها وفتح فمه . . وتحركت شفتاه ولكنه لم ينطق بكلمة . . وكأنه فقد القدرة على الكلام .

ولكن ما إن زالت الدهشة التى ألجمته حتى هتف فى شىء من الحدة :

– ولماذا . . ما السبب . . أحب أن أعرف ، إن هناك فتيات كثيرات تتمنين الزواج منى .

وأقبلت « نجوان » فى هذه اللحظة وقالت وهى تنقل البصر بينهما :

– ماذا حدث يا أبى . . لماذا أراك متجهما هكذا ؟

فأجابها فى ضيق :

– هل سمعت ما تقوله صديقتك . . إنها ترفض أن تكون شريكة حياتى .

فاقتربت « نجوان » من صديقتها وأحاطت عنقها بساعدها . . وقالت فى رقة :

– ولماذا ترفضين ؟

فأجابتها « فيروز »

– لأن لى تجربة اعتزمت أن لا أكررها .

– تقصدين تجربتك مع إكرامى ؟

– كلا . .

– مع من إذن ؟

– إنى لست فى حل من ذكرها . . ولكنى مصرة على موقفى لهذا السبب ولسبب آخر وهو أننى اخترت فعلا الرجل الذى سيكون شريك حياتى .

وهنا قال لها الرجل :

– فكرى جيدا قبل أن تقعى فى فخ آخر .

– اطمئن . . ثق أننى فى هذه المرة سأتزوج الرجل الذى يصلح لى وأصلح له .

فسألها الرجل :

– ومن يكون هذا السعيد الذى وقع عليه اختيارك . . أخبرينا فقد تكونين بحاجة إلى مشورتنا .

– إننى واثقة منه كل الثقة .

– وهل يضيرك أن تشركينا معك فى الرأى . .

– لقد علمت رأيك فيه سلفا . .

فظهرت على الرجل دلائل الاستغراب وقال :

– من تقصدين ؟

– إننى أقصد الرائد « بكر » . . إذا تزوجت فلن أتزوج من أحد غيره .

فبدت عليه أمارات الحيرة ولكنه قال :

– الحق أنك اخترت خير الرجال .

وراقب الرجل فيروز وهى تخطو نحو الباب بقامتها الممشوقة . . وارتسمت فى عينيه نظرة أسف وأسى .

الفصل العاشر

وفى صباح اليوم التالى غادرت «فيروز» منزلها فى ساعة مبكرة واستقلت سيارتها وانطلقت بها صوب مرسى مطروح . . مضت السيارة فى طريقها تتهادى فى أول الأمر ثم راحت تطوى الطريق بسرعة الأعاصير . . وكما أطلقت العنان لسيارتها أطلقت أيضا العنان لأفكارها وخواطرها . . وسرعان ما تتابعت الصور والأخيلة على ذهنها وضيئة بهيجة ملأت نفسها حبوراً وغبطة . . . وكانت صورة «بكر» أول صورة مثلت أمام عينيها . . جسم رياضى وثيق التركيب متين البنيان ووجـــه جذاب يفيض شباباً وحيوية . . وعينان متألقتان توحيان بالثقة والاعتداد . . وشطح بها الخيال إلى حياة المستقبل وراحت تفكر فى أحلام الحب والسعادة التى تجدها الفتاة فى زوج قوى تسكن إليه ، وفى عش تتوفر فيه أسباب المتعة والراحة ، ومن حولها أولادها يجرون من بعض إلى بعض فى الحديقة ويقتطفون الزهر يلقون به إليهما .

وفجأة ترنحت السيارة بعنف . . ثم أبطأت . . ثم توقفت تماماً . .

واستطاعت « فيروز » أن تنحرف بالسيارة إلى جانب الطريق فى آخر لحظة قبل أن تضغط على الفرامل . . وتنهدت فى دهشة . . وفتحت الباب وغادرت السيارة . . ووقفت تنظر إليها ثم أجالت البصر حولها . .

كان الطريق يمتد بين الماء والرمال ويبدو كأن لا أول له ولا نهاية . . ولم تكن الفتاة تنتظر المعونة أو تتوقعها من أحد . . فهى تعلم أن الناس فى هذا الطريق الطويل الذى يغرى بالسرعة قلما يتوقفون لنجدة صاحب السيارة المعطلة . . وشمرت الفتاة عن ساعديها . . وفتحت غطاء السيارة . . وأطلت على المحرك . . وعبثت ببعض الأسلاك . . ثم عادت إلى مكانها أمام عجلة القيادة . . وحركت المفتاح . . فدار المحرك ببطء ثم توقف . . وتركت الفتاة مكانها مرة أخرى . . وأطلت على المحرك . . وقالت لنفسها لابد أن تكون السخونة المفرطة هى سبب تعطله . . وإنها تضرب أخماساً لأسداس إذا بها تسمع صوتاً واهناً من ورائها يقول :

– ما الذى أصاب سيارتك ؟

فنظرت خلفها فى خوف . . ولكن ما إن وقع بصرها على المتكلم حتى أفرخ روعها وقالت فى دهشة :

– الدكتور « شعيب » ؟ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

فقال فى صوت يخالطه الإعياء الشديد :

– لقد وقع لى حادث فى الطريق .

وأدهشها منظره . . كان يقف على قيد خطوة منها . . بادى الإعياء ، أشعث الشعر ، مغبر الهيئة ، والدم يسيل من جرح فى يده . . وسألته مرة أخرى فى صوت يم عن الجزع :

– ما الذى حدث ؟

– أردت أن أتفادى إحدى السيارات ولكنى عجزت عن التحكم فى فرامل سيارتى فاصطدمت بتل من الرمال وانقلبت بى السيارة مرتين من شدة الصدمة .

– هل لحقت بك إصابات أخرى ؟

– كلا . . من حسن الحظ لم أصب إلا بهذا الجرح .

– وكيف حال سيارتك ؟

– لقد تهشمت مقدمتها تماماً .

– وأين هى ؟

– هناك . . على بعد ثلاثة كيلو مترات من هنا . . والآن دعينا من سيارتى فالأمل ضعيف فى إعادتها إلى حالتها الأولى ولنتحدث عما أصاب سيارتك . . هل اكتشفت سبب العطل ؟

– كلا . . لا أعلم ما الذى دهاها . .

فقال وهو يصلح هندامه . . ويزيل ما علق فى ثيابه من تراب .

– هل فى الخزان ما يكفى من الوقود ؟

– أعتقد ذلك . . ولكن دعنا من ذلك الآن ولنعنى أولا بجرحك .

قالت ذلك ثم أخرجت من حقيبتها زجاجة بها ماء الكولونيا فغسلت الجرح وعصبته بمنديلها . . فشكرها ثم راح يطل على المحرك مرة أخرى وبعد لحظة قال :

– يلوح لى أن العطل فى مجمع الكهرباء .

وانشغل بعد ذلك فى إصلاح جهاز الكهرباء وأخيراً رفع رأسه وقال :

– أظن أننى نجحت فى إصلاح العطل ، هيا جربى .

فجلست الفتاة أمام عجلة القيادة ، وحركت المفتاح . . ودار على أثر ذلك المحرك . . وأغلق الدكتور « شعيب » غطاء السيارة واستدار وجلس إلى جانبها . . وبعد لحظة انطلقت بهما السيارة صوب مرسى مطروح . . ولم يدر بينهما حديث فترة من الوقت إلى أن قالت « فيروز » :

– هل السيارة مؤمن عليها ؟

– نعم . .

– إذا كان الأمر كذلك فيجب إبلاغ الشرطة لإجراء اللازم نحو معاينتها .

– هذا ما فكرت فيه فعلا .

–حسناً. حالما نصل إلى مرسى مطروح علينا أن نبادر إلى الاتصال بالرائد « بكر عبد الحميد »

– ومن يكون الرائد « بكر عبد الحميد » ؟

– إنه الضابط المشرف على المباحث فى المحافظة .

– حسنا . . .

– بهذه المناسبة ألا يحسن أن ننتهز هذه الفرصة ونثير معه موضوع الحقيبة .

– وما الفائدة ، لقد ذهبت الحقيبة بلا عودة . .

– من يدرى ربما يستطيع الرائد « بكر » إعادة الحقيبة بوسائله الخاصة . . لاسيما إذا كان السارق أحد الأعراب الذين يقيمون فى المنطقة المحيطة بالفندق . فهم جميعا يخافونه وإذا علموا أنه مهتم بالحقيبة سارعوا بإعادتها خوفاً من بطشه وغضبه .

– إذا استطاع هذا الضابط أن يرد إلى الحقيبة ، فلن أنسى له هذا الصنيع ما دمت حيًّا .

فقالت وعيناها تتألقان ببريق الحماسة :

– كن واثقا من أنه لن يهدأ له بال حتى يعيد الحقيبة إليك ، وكل ما عليك أن تصارحه بكل شيء حتى يكون على علم تام بالموضوع .

ولزم «شعيب» الصمت . . ولم ينطق بكلمة . . وإنما غاص فى بحر من التفكير . . وقال فى نفسه : ترى هل أكشف له عن حقيقة محتويات الحقيبة . . أم أن فى ذلك مجازفة وخطراً على السر الذى تحويه . . كلا «يا شعيب» لا ينبغى أن تبوح بسرك لأحد قبل أن تنتهى من وضع مواصفاته فى صورتها النهائية ثم تبادر بعد ذلك إلى تسليمه إلى الحكومة لاتخاذ اللازم نحو تنفيذه . .

وعندما وصلا إلى مبنى المحافظة خرج الرائد «بكر» للقائهما وعلى شفتيه ابتسامة ترحيب وقال وهو يشد على يد الدكتور «شعيب» بحرارة :

– كم أنا سعيد برؤيتك . . إننى أحد القراء الذين دأبوا على مطالعة أبحاثك القيمة فى الصحف والمجلات ، ولذلك سررت جدًّا عندما علمت بنبأ تشريفك .

فأطرق الدكتور «شعيب» برأسه تواضعاً . .

قال «بكر» :

– تفضل . . أظن أن هذه أول مرة تدخل فيها مبنى المحافظة . .

فابتسم «شعيب» وأطرق برأسه علامة الإيجاب .

ودخل الثلاثة غرفة المكتب المخصصة لبكر . . وأجال «شعيب» بصره فى الغرفة مستغربا . . كان كل شيء وقع عليه بصره ينم عن استعداد كامل . . فقد كان المكتب يضم بين جدرانه أحدث أجهزة الاتصال اللاسلكى وآلات التصنت

والتسجيل والتصوير وغير ذلك من الوسائل المتطورة التى تستخدمها الشرطة فى تعقب المجرمين ومطاردتهم .

قال «شعيب» :

– إن من يرى مكتبك يظن أنه أحد مكاتب الأمن فى الخارج .

فابتسم «بكر» وقال :

– فى الواقع أنا من هواة هذه الوسائل وقد تدربت عليها فى أوروبا ولى قدرة فائقة على استخدامها . . ومن رأيى أنها توفر على رجل البوليس كثيراً من الوقت والجهد .

فقال «شعيب» :

– وأنا أؤيد هذا الرأى .

فالتفت «بكر» إلى «فيروز» وقال وهو يضغط زراً فى مقعده :

– لست أدرى كيف أشكرك على إحضار الدكتور معك إلى هنا .

ودخل أحد الجنود فقال «بكر» محدثا الدكتور «شعيب» :

– أى شراب تفضل يا دكتور ؟

– قهوة .

– وأنت يا فيروز؟

– قهوة أيضاً . .

فقال «بكر» للجندى :

– قهوة لثلاثة .

وبعد لحظة قالت فيروز :

– إن لدينا مشكلة نريد أن نعرضها عليك .

فابتسم لها وقال :

– أنا رهن إشارتك . . ما هى هذه المشكلة ؟

– منذ أيام سرقت من الفندق حقيبة تخص الدكتور . . وكان هذا الحادث أول حادث من نوعه يقع فى الفندق .

– ولكننا لم نسمع به .

– هذا صحيح . . والسبب فى ذلك راجع إلى أن الدكتور آثر السكوت حرصا على سمعة الفندق .

– هذا كرم منه . . ولكن كان يجب إبلاغنا للبحث عن الحقيبة سراً .

ثم التفت إلى الدكتور وسأله :

– ماذا كان بالحقيبة ؟

فتردد قليلا ثم قال والكلمات تتعثر على شفتيه :

– محاضرات جامعية ، أعددتها لطلبتى .

فنظر إليه بإمعان وكأنه يحاول أن ينفذ بنظراته إلى قرارة نفسه . . وقال :

– إذن فمحتوياتها لا تعدو أن تكون أشياء عادية .

– هى فعلا أشياء عادية ولكنها فى نظرى على جانب كبير من الأهمية .

– معذرة يا دكتور . . كيف تعتبرها أشياء عادية وفى الوقت نفسه تعتبرها أشياء هامة .

فأجابه وفى عينيه نظرة تنم عن الارتباك :

– الذى أقصده أنها مذكرات أصلية لا مسودات لها ، فإذا لم أستردها تحتم على كتابتها من جديد وهو عمل يكلفنى الكثير من الوقت والجهد والعناء .

فقطب « بكر » حاجبيه وأطرق مفكراً لحظة ثم رفع رأسه وسأله :

– هل تشتبه فى أحد من نزلاء الفندق ؟

– كلا . .

– هل علاقتك بالجميع طيبة . .

– نعم . . باستثناء شخص واحد تشاحنت معه أخيراً .

– ومن يكون هذا الشخص ؟

– رجل يدعى « المنزلاوى » .

فردد قوله فى دهشة – المنزلاوى ؟ ؟

– نعم . .

– وما سبب هذا التشاحن ؟

فروى له قصة النزاع الذى نشب بينهما بسبب محاولته إنقاذ « فيروز » من شراكه . . ولما فرغ من كلامه التفتت إليه « فيروز » وقالت فى دهشة :

– ولماذا لم تحدثنى بأمر هذا التشاحن يا دكتور ؟

فأجابها :

– لم أر داعياً لذلك .

وسألها بكر :

– ماذا تعرفين عن المنزلاوى أكثر مما قلته لى ؟

– لا شىء أكثر من أنه مدير شركة الاستيراد والتصدير المصرية بالقاهرة .

– حسنا . . سوف أبذل كل ما بوسعى لإعادة الحقيبة هذا إذا لم يعدها السارق من تلقاء نفسه لعدم أهميتها فى نظره .

فسأله « شعيب » فى لهفة :

– أتظن ذلك ؟

– هذا مجرد احتمال . .

فصمت الدكتور «شعيب» قليلا ثم قال :

– لقد شط بنا الحديث فأنسانا موضوعاً آخر .

– ما هو هذا الموضوع ؟

فروى له حادث السيارة الذى وقع له وطلب منه أن يرسل أحدا لمعاينتها . . وكان «بكر» ينصت إليه جيداً وعلى وجهه دلائل الاهتمام الشديد . . فلما فرغ من سرد قصته تتطلع إليه وقال له :

– إننى سأولى هذا الحادث عناية خاصة لسبب بسيط هو أنه دون شك يرتبط بحادث سرقة الحقيبة . .

– ماذا تعنى ؟

– أعنى أن هناك شخصاً أو أشخاصا يتربصون بك .

فقال فى جزع :

– أتعتقد ذلك ؟

– نعم . . أنا موقن من ذلك .

– من يكونون ؟

– لا أستطيع أن أصارحك بظنونى قبل أن تصارحنى بالأشياء التى تخفيها عنى .

فأجفل «شعيب» وقال :

– أنت مخطئ ، إننى لا أخفى عنك شيئاً ، ما الذى يدور فى ذهنك ؟

– إن قلبى يحدثنى بأن السارق لم يكن يطلب المال ، لأنه لو كان يسعى وراء المال لسطا على حجرات الأغنياء من النزلاء حيث توجد الأموال والمجوهرات

والأشياء الثمينة . . أما أن يكتفى بالسطو على غرفة مدرس جامعى لا يملك إلا راتبه فأمر غير معقول . . وعلى ذلك فالغرض من السطو هو سرقة محتويات الحقيبة لأنها تحتوى على أشياء تبدو هامة فى نظر السارق . . ولا يعرف قيمتها وأهميتها إلا أنت وهو . . فما قولك ؟

فسكت «شعيب» ولم يفتح فمه بكلمة . . واسترسل الضابط يقول :

– من الخير أن تصارحنى بالحقيقة وألا تقيم جدارا بينى وبينك .

وهنا نهضت «فيروز» واقفة وقالت :

– أعتقد أنه يحسن بى أن أنصرف الآن فقد يكون وجودى غير مناسب .

فقال لها «شعيب»

– كلا . . أرجوك أن تجلسى . . إنك خير من يؤتمن على الأسرار .

فالتفت إليه «بكر» وقال :

– فى الأمر سر إذن ؟

– نعم . . وسأبوح به لكما الآن حتى أتخفف من عبئه الذى يثقل كاهلى .

– بوسعك أن تتكلم هنا بكل اطمئنان فليس هنا من يسترق السمع أو يجسر على ذلك .

فأطرق «شعيب» مفكراً لحظة ثم رفع رأسه وقال بصوت عميق النبرات شأن من يدرك خطورة ما سوف يدلى به :

– إن قصتى قصة طويلة ولكنى أستطيع أن أوجزها فى عبارة واحدة وهى أننى فى سبيلى إلى ابتكار سلاح رهيب .

فحملق فيه الاثنان فى دهشة وقال «بكر» . :

– يا إلهى . . أهذا حقيقى ؟

– نعم . . والغرض من هذا السلاح هو ترويع عدونا الإسرائيلى حتى لا يغامر باستخدام القنبلة الذرية ضدنا . . إننى أكره الحرب وأحب السلام ولكنى موقن من أن إسرائيل لا تريد السلام لأنه يتعارض مع عقليتها وأطماعها التوسعية .

اللهم إلا إذا استطاعت الدول الكبرى أن ترغمها على قبول السلام ورد الحقوق لأصحابها .

فعلق «بكر» على ذلك بقوله :

– أصبت . . إننى أؤيدك فى كل ما قلت . .

وقالت «فيروز» :

– وأنا أشاطرك هذا الرأى . . إننا لن نحصل على السلام إلا إذا كنا أقوياء .

والتفت «شعيب» إلى الضابط وقال له :

– هذا هو سرى . . هل تريد معرفة شىء آخر ؟

– نعم . . أريد أن أعرف المدى الذى وصلت إليه أبحاثك الخاصة بهذا السلاح .

– إننى مازلت فى منتصف الطريق ولكنى مضطر إلى العودة إلى نقطة البداية بسبب ضياع الحقيبة .

فأطرق «بكر» برأسه قليلا ثم قال :

– هناك نقطة أريد أن أستوضحها منك . . هل يعرف أحد من العلماء الأجانب الذين كانوا معك فى الخارج شيئاً عن فكرتك .

– الواقع أن أحد العلماء اليهود كانت تساوره بعض الشكوك فى أمرى ولكنى أعتقد أنه تخلى فيما بعد عن شكوكه . .

ومن أدراك أنه تخلى عن شكوكه . . من أدراك أنه ارتاب فى أمرك وأخطر إسرائيل بما يعرفه عنك فأرسلت بدورها أحد عملائها لتعقبك وسرقة ابتكارك لتتولى تنفيذه . .

فأجابه فى انزعاج :

– أتظن ذلك ؟

– بل أؤكده . . وهذا العميل هو الذى سرق الحقيبة وربما يكون هو أيضاً الذى دبر حادث السيارة للقضاء عليك .

– إذا كان هذا صحيحا فمن يكون هذا العميل .

فأجابه على الفور :

– «المنزلاوى» دون شك . .

– المنزلاوى عميل إسرائيلى ؟ ؟

– ولم لا . . إننى ارتبت فى أمره من أول نظرة ألقيتها عليه .

– وكيف ذلك ؟

– لقد ذكرتنى نظراته إلى بنظرات مجرم واجهته فى يوم من الأيام ولكن ذاكرتى لم تسعفنى بتذكر المناسبة التى واجهته فيها . . ولكنى حتما سأعرف كل شىء عنه . . من اليوم سأبث رجالى حوله ليرصدوا كل حركاته وسكناته . . كما سأرسل بعضهم لمعاينة سيارتك علهم يكتشفون السر فى عجزك عن السيطرة على أجهزتها قبل الاصطدام . . وبالمناسبة أين وقع الحادث ؟

فحدد له المكان كما أعطاه وصفاً دقيقاً لسيارته . .

وعندما نهضا وتهيآ للانصراف نظرت «فيروز» إلى «بكر» وقالت له :

– كم يسعدنى أن أتعاون معكما فى هذه المهمة ، فماذا تشير علىّ ؟

فرمقها بكر بنظرة إعجاب وقال :

– هل يمكنك وضع آلة تسجيل فى مكان خفى فى غرفة المنزلاوى ؟

– طبعاً أستطيع . . أين هى ؟

فناولها آلة تسجيل صغيرة وبعد أن شرح لها طريقة استعمالها قال لها :

– إنك بذلك تسدين إلينا خدمة جليلة .

الفصل الحادى عشر

وفى تلك الليلة ظل الدكتور «شعيب» أرقاً لا يغمض له جفن وأحداث اليوم ماثلة أمام عينيه . . وفى تلك الليلة أيضاً وقع فى الفندق حادث غريب اعتبره الجميع الأول من نوعه . . فبينما كان «علوى» و«فضيلة» و«فيروز» منهمكين فى أعمالهم بالمكتب وقفت إحدى السيارات أمام الفندق . . وهبطت منها جماعة من الموسيقيين الشبان تتألف من ستة أفراد . . ملأت جو الفندق مرحاً وضجيجاً ، فأسرع إليهم «علوى» والفتاتان وشغلوا بهم ليردوهم إلى الهدوء .

قال لهم «علوى» :

— أرجوكم . . الزموا الهدوء . . أنسيتم أنكم فى فندق العزلة .

فأغرقوا فى الضحك . . وقال أحدهم :

— ما هذا الهذيان . . هل يمكن أن يوجد فى الدنيا فندق بهذا الاسم المضحك .

فأجابته «فيروز» فى حدة :

– ولم لا . . أى عجب فى هذا ؟

فهز كتفيه فى استخفاف وقال :

– يكفى اسمه . . لابد أن نزلاءه من المجانين .

وهنا تدخل «علوى» قائلا فى شىء من الغضب :

– ما الذى أتى بكم إلى هنا . . تفضلوا . . اذهبوا من هنا . . إن هذا الفندق لا يقبل أمثالكم .

– ولماذا ؟

– لأنه لا قبل لأمثالكم بتسديد أجره .

– ومن قال لك إننا لا نستطيع ذلك .

فقال «علوى» فى غضب :

– حتى لو استطعتم ذلك فلن نقبلكم . .

– ولماذا ؟

– لأنه يمكنكم أن تحدثوا أشياء كثيرة هنا لا تقرها التعليمات ولا يقبلها النزلاء . .

– مثل ماذا ؟

– مثل الصخب والضجيج .

– وإذا تعهدنا بأن لا نفعل شيئا من ذلك ؟

فقالت «فيروز» :

– إذا تعهدتم كتابة بذلك سمحنا لكم بالدخول .

– حسنا . . نحن مستعدون .

– إذن تعالوا معنا إلى المكتب .

ومشت إلى المكتب والجميع من ورائها . . وتناولت فرخا من الورق وخطت عليه بضعة سطور . . . وألقى رئيس الجماعة نظرة سريعة على الورقة وهو يمنع نفسه من الضحك . . ثم وقعها وهو يقول :

- أهذا يكفى يا حسنائى ؟

- هذا يكفى . .

فقال وهو يتبادل نظرات مختلسة مع زملائه :

- ولكن هبى يا حسنائى أن شوقنا إلى الموسيقى دفعنا إلى عزف إحدى المعزوفات رغما عنا فكيف تتصرفون معنا ؟

فأجاب « علوى » فى غضب :

- فى هذه الحالة سنطردكم فى الحال حتى لا تكونوا سببا فى إزعاج النزلاء . .

فتحول الشاب إلى زملائه وقال وهو يضحك :

- هل سمعتم . . يجب أن تكونوا عقلاء .

وبعد لحظات أقبل أحد الخدم وقادهم إلى الغرفة التى خصصت لهم .

وخيم السكون بعد ذلك على أرجاء الفندق وتهيأ الجميع للرقادوفجأةشاع فى أنحاء الفندق جو غريب قوامه أنغام موسيقية عذبة نفاذة إلى أعماق الوجدان أخاذة بمجامع القلوب . . وقد حاول النزلاء أن يتعرفوا مصدر هذه الأنغام الساحرة ففتحوا أبواب غرفاتهم وأجنحتهم . وأداروا أبصارهم فى كل مكان يريدون أن يتبينوا لهذه الأنغام العذبة مصدراً فلا يرون شيئاً . . وكان أغرب ما فى هذا الجو الموسيقى الرائع اختلاف أنغامه وائتلافها فى وقت واحد ، وكان هذا يلقى فى روعهم أن هناك أدوات موسيقية مختلفة تصدر عنها أنغام متباينة ولكن قوة

بارعة قد أشرفت عليها ودبرت ما بينها من اختلاف حتى أحالته إلى ائتلاف . .

وفجأة ظهر «علوى» وفى وجهه دلائل الغضب وقال للنزلاء :

– تفضلوا . . ادخلوا حجراتكم وسأعرف كيف أسكتهم فى الحال . .

فهتف بعض النزلاء :

– كلا . . دعهم يعزفون .

وقال آخرون :

– ابق مكانك يا علوى . . من قال إننا نريد إسكاتهم .

فأجابهم :

– ولكن هذا مخالف للتعليمات .

فعلت بعض الأصوات تقول :

– سحقاً للتعليمات . . دعهم يعزفون .

وأرهف الجميع السمع فأدركوا أن الفرقة بدأت تعزف رقصة التانجو . . وتهادت الموسيقى إلى أسماعهم شجية رائعة فأذهلتهم . . وفجأة بدأ المشهد أكثر إثارة فى جميع أرجاء الفندق ، فقد هبط النزلاء ومعظمهم من جنس الرجال إلى القاعة الكبرى وراحوا يراقصون بعضهم بعضاً على أنغام التانجو وقد أحسوا أنهم انتقلوا إلى جنة فى الأرض تنساب فيها أعذب الألحان . . نسى العجائز والمفكرون وكبار رجال الأعمال وقارهم . . ونسى المرضى والمكدودون أدواءهم . . وطرح المهمومون والقلقون والمشغولون همومهم وشواغلهم . . وأصبح لا هم للجميع إلا أن يرقصوا على أنغام الموسيقى الساحرة . . كانوا خليطاً من الرجال . . هيئاتهم متنافرة . . وعليهم ملابس غير متلائمة . . وكانوا جميعاً مشغولين بالرقص والموسيقى لا يبالون بما يرتدون ولا بمن يتطلع إليهم فى دهشة من موظفى

الفندق . . وفجأة انبعثت من غرفة الموسيقيين نغمة رقصة « تشاتشا » فتحول الرقص الهادئ إلى دقات قوية على الأرض فى إيقاع موسيقى منتظم وهم يصيحون على إيقاع الدقات فى كلمات منغومة كمن يردد أنشودة موسيقية . . وسرعان ما انقلب الفندق إلى مكان يدوى بالضجيج الصاخب والمرح والحيوية .

وبدأ « علوى » و« فيروز » و « فضيلة » يضيقون بما يرون أمامهم من مظاهر الهياج بعد أن تخلى النزلاء عن وقارهم وأزاحوا الأقنعة المهذبة التى يتسترون وراءها . . وكان الدكتور « شعيب » والمستشرق « براون » يراقبان الجميع عن كثب وهما يعجبان ويبتسمان ولما رأيا ما بدا على وجوه « علوى » والفتاتين من دلائل الامتعاض اقتربا منهم . . وقال لهم « براون » :

— رفهوا عنكم . . بعد قليل سوف يعودون إلى الهدوء .

فسألته فيروز فى امتعاض :

— معنى ذلك أنك تقر هذه الفوضى . . لقد حطموا قوانين الفندق .

فأجابها :

— أنا لا أقر العزلة المطلقة كما لا أقر الضجة المطلقة . . إن العزلة المطلقة تكرب النفس فضلا عن أنها ضد الطبيعة البشرية . . والضجيج المطلق شىء كريه للغاية . . خير الأمور أوسطها بطبيعة الحال .

وقال الدكتور «شعيب » كلاما مماثلا لهذا ، ثم ذهب الاثنان وجلسا إلى مائدة صغيرة فى ركن منعزل وأخذا يتبادلان أطراف الحديث ويتطلعان إلى النزلاء بلا اهتمام .

وبعد لحظات سمعا صرخة عالية . . ورفع « شعيب » رأسه ونظر إلى حيث صدرت الصرخة . . . وكانت « فيروز » هى التى صرخت . . رآها فى الظلام عند

الدرج الداخلى تقاوم شخصا يحاول أن يراقصها رغماً عنها . . وقبل أن تنفرج شفتاها عن الصرخة الثانية كان الدكتور «شعيب» قد وثب ناهضا وركض إلى حيث كانت «فيروز» . . انقض «شعيب» على الرجل وقبض على ذراعه وأبعده عن الفتاة . . وانهال عليه الرجل شتما ولعناً . . ولم يحفل «شعيب» بسبابه وإنما تحول إلى فيروز قائلا :

– أظن أنه يحسن بك أن تنصرفى الآن من هنا حتى تتجنبى أية مضايقات أخرى .

فأجابته «فيروز» بوجه مكفهر :

– تبًّا لهؤلاء الأوغاد . . لابد أن أتصل بالبوليس قبل أن يستفحل الأمر .

ولم تنتظر جواباً وإنما أسرعت إلى مكتبها واتصلت بالرائد «بكر» وشرحت له الموقف وطلبت منه سرعة الحضور. وفيما كان النزلاء يرقصون ويضجون سمعوا صوتا يشبه عويل نفير سيارات الشرطة . . فتوقف بعضهم وأصاخوا السمع . . وأخذ صوت العويل يعلو ويقترب . . حتى وقفت سيارة الشرطة بباب الفندق . . وهبط منها بكر يتبعه جنديان . . وأسرع «بكر» إلى الداخل وأدار البصر فى جوانب المكان . . ثم قصد إلى حيث كانت «فيروز» وقال لها :

– أين يوجد هؤلاء الموسيقيون ؟

فأشارت إلى مكانهم وهى تقول :

– هناك . . فى هذه الغرفة .

فأسرع مع الجنديين إلى حيث أشارت واقتحم المكان عنوة وهو يقول :

– أوقفوا هذا العزف . . وإلا ذهبت بكم جميعاً إلى المحافظة .

فنظروا إليه مبهوتين . . واسترسل يقول :

— قيل لى إنكم تعهدتم بالتزام الهدوء فلماذا حنثتم بعهدكم ؟
فأجاب رئيسهم فى قلق :
— إنى آسف . . الواقع أننا لم نكن نقصد الإزعاج .
— وما الذى كنتم تقصدونه إذن ؟
— لست أكتمك أن موضوع « العزلة » وحب العزلة قد أثارا عجبنا فأردنا أن نضع النزلاء أمام اختبار . . أحببنا أن نعرف هل هم جادون فى حب العزلة ويؤثرونها حقاً على جو المرح ، أم أنهم يتلهون بها كما يتلهى بالمرح والضجيج عامة الناس .

وأحس « بكر » فى قرارة نفسه بسرور وارتياح لهذا الجواب . وأدرك رئيس الفرقة بذكائه ما يعتمل فى نفس الضابط فقال له وهو يشير إلى النزلاء :
— انظر يا حضرة الضابط . . . انظر إلى البشر الذى يعلو وجوههم .
فنظر الضابط ناحية النزلاء ورأى السعادة فعلا تغمر وجوههم . وهمَّ أن يقول شيئاً ولكن رئيس الفرقة الموسيقية اقترب منه وقال له :
— لا تقل شيئا فقد نجح الاختيار وثبت أنهم لا يختلفون فى شىء عن غيرهم من الناس . . أؤكد لك أنهم سيحيون بعد ذلك حياة ناصعة خالية من الهموم والمتاعب بعد أن ذاقوا طعم السعادة ، أما من ناحيتنا فإننا نعاهدك بأن نترك هذا الفندق قبل أن يطلع الفجر .
— حسناً . . طابت ليلتكم .

وعندما ظهر « بكر » على عتبة البهو الكبير أقبل عليه جمع من النزلاء وراحوا يخوضون معه فى ألوان من الحديث وأخيرا صرفهم بعد أن طلب منهم أن يختاروا اثنين من بينهم لمناقشته فى مكتب الفندق فيما ينبغى اتباعه لإرضاء النزلاء ولإرضاء

المسئولين عن إدارة الفندق حتى تستقيم الأمور . . وعندما عرض الأمر على فيروز قالت :

– إننى أقبل هذا التحكيم ولكن بشرط ؟

فسألها «بكر» :

– وما هو شرطك ؟

– هو معاقبة الرجل الذى أراد أن يراقصنى رغماً عنى . . إننى لا يمكن أن أتساهل فى هذا .

فأجابها الضابط :

– أنت محقة فى ذلك . . أين هذا الرجل ؟

فأشارت إليه بين الحاضرين . . وهمّ الرجل بأن يتوارى ولكن «بكر» لحق به وقال له :

– قف مكانك .

فجمد الرجل فى مكانه وتطلع إليه فى ارتباك ثم قال متلعثماً :

– إننى لم أفعل شيئا . . لقد طلبت منها أن تراقصنى . . أى شىء فى هذا ؟

فقال له الضابط بصوت أجش :

– وكيف تسمح لنفسك بأن تراقص فتاة رغم إرادتها . . إنك تستحق أن تسجن .

ثم تحول إلى «فيروز» قائلا :

– هل تريدين أن تقدمى شكوى ضده ؟

وهنا تدخل المستشرق «براون» قائلا :

– لا داعى لذلك . . إن الخمر فيما يبدو هى التى أطاحت برشده . . على

أية حال لم يحدث ضرر يذكر . . إنى واثق أن الآنسة «فيروز» لا تريد أن تشكو .

— أنا موافقة . . بشرط أن يطرد من الفندق فى الصباح .

وتناول الضابط مفكرته من جيبه وهو يقول :

— إذن فقد صفحت عنه .

— نعم .

فدون الضابط بضعة سطور فى مفكرته ثم التفت إلى «براون» وقال :

— وأنت يا سيدى . . اسمك ومهنتك .

— «براون شميدت» . . مستشرق ألمانى .

فتأمله لحظة ثم قال :

— حسناً . . لقد أثبت فى مفكرتى أن الآنسة فيروز لا تريد اتخاذ أى إجراء ضده .

وتحول «بكر» بعد ذلك إلى الرجل المخمور وقال له :

— غداً تغادر الفندق على الفور وإلا اتخذت معك إجراءات صارمة . . والآن أذهب من أمامى ، فانصرف إلى غرفته صاغراً . . وما لبث «بكر» أن غادر البهو وذهب إلى مكتب الإدارة بصحبة «فيروز» و«فضيلة» و«علوى» . . وما هى إلا لحظات حتى طرق الباب ودلف منه الدكتور «شعيب» والمستشرق «براون» فتطلع إليهما «بكر» قائلا :

— إذن فقد وقع اختيار النزلاء عليكما .

فأجابه الدكتور «شعيب» .

— نعم . . وكلنا أمل أن نصل إلى حل يرضى الطرفين .

فأجابه وهو يدعوهما إلى الجلوس إلى جواره :

– سوف أكون حريصا على تحقيق ذلك . . والآن يسعدنى أن أستمع إلى رأى الأستاذ « براون » فهو رجل مثقف وحكيم كما بدا من تصرفه مع الرجل المخمور . . ما رأيك فى هذه المشكلة يا أستاذ « براون » ؟

فصمت « براون » قليلا ثم قال :

– لقد سبق أن قلت للآنسة فضيلة رأيى فى هذا الموضوع وهو يتلخص ببساطة فى أن العزلة ليست من طبيعة الإنسان لأن الإنسان يتكون من مادة وروح ولابد لكل منهما أن ينمو حتى يعيش الإنسان حياة سوية . . فالمادة تنمو بعوامل طبيعية أحياناً وبالجهد والرعاية أحيانا أخرى أو بهما معاً . . وإذا كانت الضجة والصخب والمرح ضرورية لنمو المادة فإن الروح على النقيض من ذلك تحتاج إلى الهدوء والصمت والتأمل فى الداخل لكى تنمو وتزدهر ، والإنسان يعيش بين هذين النقيضين ، أحياناً يجنح إلى المادة فيخسر الروح ، وأحياناً يجنح إلى الروح فيخسر المادة ، وخسارة أحدهما خسارة للحياة السوية ، الحياة السوية تستلزم أن يكون هناك دائماً توازن بين حاجات المادة وحاجات الروح .

وعندما فرغ « براون » من كلامه نظر إليه « بكر » بإعجاب وقال له :

– أصبت يا أستاذ « براون » إن كلامك يدل على أنك فيلسوف عظيم .

ثم تحول إلى الدكتور « شعيب » وسأله :

– وأنت ما رأيك ؟

– أنا متفق فى الرأى مع الأستاذ « براون » وأضيف إلى ما قاله أن الإنسان اجتماعى بطبعه .

– إذن ففندق العزلة يقوم على أساس نظرية خاطئة .

فأجاب « براون » :

– أعتقد ذلك . . ومن رأيي أن يعد كل شيء فيه على أساس التوازن الذى أشرت إليه بحيث لا يطغى جانب على الجانب الآخر . خذ مثلا هذه الفرقة الموسيقية لماذا لا تبقى هنا لتقدم للنزلاء ألواناً من الموسيقى الهادئة العذبة التى ترقق الشعور وتصفى الأذواق ، وهذه القاعات الفخمة المهجورة لماذا لا تحول إلى صالونات يستمتع فيها النزلاء بتناول الطعام وتبادل الأحاديث وغير ذلك من ألوان النشاط الذى ينشأ عنه نتائج لا تحصى فى حياة الناس . .

وعندما انتهى « براون » من كلامه التفت « بكر » إلى « فيروز » وسألها :

– والآن يا فيروز . . هل لك أن تدلى لنا برأيك .

فأجابته قائلة :

– إننى على استعداد لإدخال بعض التعديلات عن طيب خاطر . . أما بقية التعديلات فأرجو إرجاءها لحين عودة أبى من لندن ، وأعتقد أنه لن يمانع خاصة إذا استمع إلى وجهة نظر الأستاذ « براون » والدكتور « شعيب » .

فقال « بكر » وهو يبتسم :

– وبأى تغيير ستبدئين ؟

– سأبدأ بما أشار إليه الأستاذ « براون » . . سأحول القاعة الكبرى إلى صالة للاجتماعات يستمع فيها النزلاء إلى ألوان من الموسيقى الهادئة الخفيفة .

– إذن فسوف تستبقين الفرقة الموسيقية .

– نعم . . غدا سأبرم معهم عقدا للعمل فى الفندق .

– حسناً . . طابت ليلتكم .

وعندما وصل « بكر » إلى الدرج الخارجى رأى « المنزلاوى » يصعد الدرج

قادماً من الخارج . . وتلاقت نظراتهما . . وطغت على « المنزلاوى » مشاعر من الخوف والتوجس . . ولكن هذه المشاعر سرعان ما تبددت عندما سمع « بكر» يقول له فى لطف ومودة :

– أهلا وسهلا . . كيف حالك يا منزلاوى بك .

فأفرخ روعه وتقدم منه ومد إليه يده مصافحاً وهو يقول :

– على خير ما يرام يا حضرة الرائد . . هيه . . هل تأكدت الآن أننا لم نتقابل من قبل ؟

فابتسم له وقال معتذراً :

– آسف جداً لما حدث . . أرجو أن تقبل اعتذارى . . كانت غلطة أرجو أن تغفرها لى .

فأحنى رأسه وقال :

– إن ما فعلته لا يستوجب الاعتذار . . ما دمت تؤدى واجبك فكل ما يصدر عنك يعتبر أمراً مألوفاً لا يثير لوماً .

– أشكرك . . طابت ليلتك .

– طابت ليلتك .

وانصرف كل منهما قرير العين بما تم فى هذا اللقاء .

الفصل الثانى عشر

وأنفق « المنزلاوى » أيامه ولياليه بعد هذا اللقاء هادئاً مطمئن النفس رضى البال متصرفاً فى أموره داخل الفندق وخارجه كما تعود أن يفعل ولكن دون أن يعتريه قلق أو يساوره خوف . . ومع ذلك لم تثر تصرفاته شكوك « فيروز » ولكن بطانته كانت هى التى أهاجت ريبتها . . لقد لفت نظرها تصرفات غريبة للمنزلاوى مع أفراد بطانته . . وجعلتها تتساءل عما إذا كان هؤلاء النزلاء من أرباب السوابق أم أنهم ندماء شرفاء لا غبار عليهم . . وأتاح افتتاح صالة الاجتماعات الجديدة الفرصة لفيروز لمزيد من المراقبة وكان أول شىء أثار انتباهها هو العلاقة بين أفراد العصابة وبين المنزلاوى . . لم يكن هناك شك فى أنهم يخضعون للمنزلاوى خضوعاً تامًّا ولكن الشىء الغريب أنهم كانوا يتظاهرون أمام الناس أنهم أنداد له . . كانوا أحياناً يجلسون معه إلى المائدة يخوضون معه فى ألوان من الحديث ويجاذبونه أطرافاً من اللهو . . ثم يتطلع « المنزلاوى » إلى ساعته وإذا به يشير إليهم فجأة . . فينهضون سراعاً ويهرولون إلى الخارج . ولا يمضى إلا وقت

قليل حتى ينهض « المنزلاوى » ويغادر الفندق ولا يعود إليه إلا فى ساعة متأخرة من الليل .

وذات يوم ذهبت « فيروز » إلى المحافظة لزيارة الرائد « بكر » . . وهناك فى مكتبه المطل على البحر وجدته جالساً يفحص جهازاً صغيراً بين يديه . .

والتمعت عيناه فى جذل حين رآها وقال :

– آه . . أهذه أنت يا عزيزتى فيروز . . كم اشتقت إليك وإلى أخبارك . .

فقالت مبتسمة وهى تصافحه :

– طاب يومك . . ترى هل جدّ جديد ؟

– فيما يتعلق بسيارة الدكتور « شعيب » لم نستطع التأكد من وجود أى تدبير جنائى . . كان من الصعب الاستدلال على ذلك . . ولكن هذا لن يحدث مرة أخرى فقد وضعت « المنزلاوى » تحت مراقبة شديدة ورجالى الآن يحصون كل حركاته وسكناته .

وبغتة كف « بكر » عن متابعة الكلام وقال فى اهتمام :

– آه . . لقد كدت أنسى . . هل وضعت جهاز التسجيل فى غرفته .

– نعم . . وفى مكان خفى لا يستطيع أن يهتدى إليه .

– حسناً . . ماذا تشربين ؟

– أفضل كوباً من عصير الليمون .

وجلس الاثنان يحتسيان كوبيهما وبصرهما متجه إلى البحر يرقبان قوارب الصيد الشراعية وبعض الشبان وهم يسبحون فى مرح وقد تعالت ضحكاتهم . . وسألها :

– هل لديك معلومات أخرى ؟

فحدثته طويلا عن ملاحظاتها عن « المنزلاوى » وأصدقائه ، ونحى « بكر » الكوب عن شفتيه ونظر إليها قائلا :

– أغلب الظن أنهم عصابة من الأشقياء يخططون لعمل خطير .

– أتظن ذلك ؟

– هذا مجرد احتمال .

– وما الذى تنوى عمله ؟

– يجب أن نوقفه قبل أن يغامر بعمل طائش .

– وكيف ذلك ؟

– المهم الآن أن تحضرى آلة التسجيل فقد نقف من الشريط على أشياء تساعدنا فى مهمتنا

– حسناً . . سأحضرها لك غداً .

– أشكرك . . أعتقد أننا إذا نجحنا فى هذه المهمة فإن الفضل سيعود إليك .

فأجابته مبتسمة :

– العفو . . إنك تعلم أنى دائما رهن إشارتك ، فهل من خدمة أخرى أقدمها إليك ، حسبك أن تأمر فألبى .

– كل ما أريده هو أن لا تدعى « المنزلاوى » يفلت من مراقبتك .

– اطمئن . . سوف أفعل ذلك بكل يقظة .

فصمت « بكر » برهة ثم سألها :

– وما أحدث أخبار الفندق . . هل كل شىء الآن على ما يرام .

– نعم . . هل سمعت آخر خبر . .

– ما هو ؟

– لقد اعتزم الأستاذ « براون » أن يشهر إسلامه .

فقال فى دهشة :

– أحقًّا تقولين ؟

– أجل . . وسوف يسافر إلى القاهرة الأسبوع القادم لهذا الغرض .

– لاشك أن هذا خبر يستحق الذكر . . ما رأيك فى هذا الرجل ؟

– إنه فيلسوف عظيم لم أر فى حياتى من هو أعلم منه .

– ليتنى أراه قبل أن يسافر فإننى شديد الإعجاب به .

– إننى سأقيم له حفل تكريم يوم الاثنين القادم ولاشك أنه يسعدنا أن تكون من بين الحاضرين .

– سوف يسعدنى ذلك .

وعندما همت بالانصراف قال لها وهو يشيعها نحو الباب :

– سأكون فى انتظارك غدا لنستمع معا إلى شريط التسجيل .

فأجابته فى حماسة :

– إن شاء الله سأحضر فى الموعد المحدد .

– وحذار أن يراك المنزلاوى أو أحد من رجاله .

– اطمئن . . سأكون فى منتهى الحذر .

وعندما ذهبت « فيروز » فى اليوم التالى لزيارة « بكر » ومعها آلة التسجيل رأته جالساً إلى مكتبه منهمكاً فى قراءة ورقة أمامه ولما شعر بدخولها رفع رأسه وقال لها مرحباً :

– أهلا . . وسهلا . . لقد جئت فى وقتك .

فسألته وهى تجلس إلى جواره :

– هل حدث شيء جديد ؟

فقال فى اهتمام :

– نعم . . حدث شيء هام .

– ما هو ؟

– بالأمس التقطت إشارة لاسلكية أعتقد أنها موجهة إلى إحدى عصابات التهريب .

فأشارت إلى الورقة التى بين يديه وسألته :

– أهذه هى الإشارة ؟

– نعم . .

وصمت قليلا ثم قال . .

– الرسالة غريبة . . ولكنها هامة جداً .

– هل من الفضول أن أسأل عما جاء فيها ؟

– كل ما فيها لا يتعدى هذه العبارة المبتورة :

– استعدوا . . الورد فى فرعون . . يوم الجمعة . . مناورة . . ٢٥ كيلو و٧٥ كيلو رومل . . . إطارات سيارات . . عربة بيجو . .

وبعد أن فرغ من تلاوة محتويات الإشارة التفت إليها وسألها :

– هل فهمت شيئاً ؟

فأجابته :

– كلا .

– طبعاً . . يتعذر عليك فهم مضمونها ولكننا نستطيع أن نفهم منها أشياء كثيرة .

فسألته :

– وما الذى فهمته منها ؟

– فهمت أن هناك عملية سيجرى تنفيذها يوم الجمعة لتهريب مخدرات داخل البلاد عن طريق سفينة اسمها « فرعون » وأن السفينة ستقوم بمناورة للتضليل على مساحة تمتد ٩٠ كيلو شرق وغرب مغارة رومل .

– وإطارات السيارات والسيارة بيجو والورد ؟

– الورد اصطلاح معناه الحشيش والإطارات هى الأمكنة التى سيخبأ فيها الحشيش أما السيارة بيجو فهى التى ستقوم بنقل الحشيش ويستعملها المهربون عادة لأنها تشبه سيارة مخابرات الحدود . . والآن هيا بنا نستمع إلى ما جاء فى شريط التسجيل . . لعلنا نجد شيئاً يلقى مزيداً من الضوء على أسرار المنزلاوى . .

وكانت أول عبارة فى الشريط تناهت إلى سمعها قول المنزلاوى :

– لا أعلم كيف أفلت « شعيب » اللعين من الفخ الذى نصبته له . . لا شك أنه نجا من حادث السيارة بأعجوبة .

ورداً على سؤال طرحه أحد رجاله قال :

– لقد استوحيت تلك الفكرة الجهنمية من قصة عرضها على مؤلف يقيم هنا يدعى » إيهاب عز الدين » . إنها فكرة تدل على ذكاء خارق خاصة وأنها لا تترك وراءها أى أثر يثير الشك أو الريبة .

وعن سؤال آخر قال :

– لا شك أن « فيروز » فتاة رائعة . . على أن جمالها ليس هو كل ما كنت أريده منها . . كان هدفى الأساسى أن أستولى على هذا الفندق بعد وفاة أبيها المريض وأباشر منه عمليات التهريب فى أمان واطمئنان . وبهذه المناسبة إليكم

آخر الأنباء . . يوم الجمعة القادم أعدوا أنفسكم لتلقى شحنة كبيرة من الحشيش ستحملها إلى الشاطئ السفينة الإسرائيلية « فرعون » وسوف تقوم السفينة بمناورة بحرية بين الكيلو ٢٥ والكيلو ٧٥ من مغارة رومل لتضليل رجال خفر السواحل ، وسنقوم بتهريب المخدرات داخل إطارات سيارات إلى البلاد عن طريق عربة بيجو بيضاء شبيهة بسيارة مكتب مخابرات الحدود للتضليل وعدم إثارة الانتباه فى حالة وجودها على الشاطئ ، هل فهمتم تفاصيل مهمتكم القادمة جيدا ؟

– أصوات : نعم . . نعم . . كل شيء واضح تماماً .

فقال « المنزلاوى » :

– إذن عودوا إلى أماكنكم واحذروا أن تبدو منكم أية تصرفات غريبة تثير الريبة . .

وعندما انتهى الشريط نظر «بكر» إلى فيروز وقال :

– لقد وضح الآن كل شيء . . المنزلاوى ليس جاسوساً فقط وإنما رجل عصابات أيضا .

فسألته « فيروز » :

– وما الذى انتويت عمله ؟

– سنكتفى الآن بالمراقبة إلى أن يحين موعد وصول السفينة الإسرائيلية وعندئذ ننقض عليه هو وجميع رجاله ونضبطهم متلبسين بالجريمة . .

– وموقفه بالنسبة لى وللدكتور « شعيب » ؟

– أعتقد أنه نفض يديه من هذا الموضوع بصفة نهائية بعد أن فشل فى إيقاعك فى شراكه . .

– ومع ذلك فسوف أستمر فى مراقبته .

فأحنى « بكر » رأسه وقال :

– طبعاً . . وإذا أسفرت مراقبتك عن نتيجة أنبئيني فى الحال .

فنهضت واقفة ومشت إلى الباب منصرفة . .

وجاء يوم الاثنين . . يوم الاحتفاء بالأستاذ « براون » بمناسبة رحيله إلى القاهرة لإشهار إسلامه ، ووقفت « فيروز » و « براون » يستقبلان ضيوفهما ويرحبان بهم و يمازحانهم بينما كانت أنغام الفرقة الموسيقية تملأ جو المكان بموسيقى عذبة شجية . . وحانت من الأستاذ « براون » التفاته فرأى الرائد « بكر » يتخطى عتبة الصالة ويدير عينيه فى أنحاء المكان فخف إليه مسرعاً وقال مرحباً وهو يشد على يده فى حرارة :

– يسرنى أنك جئت . . أهلا بك وسهلا . .

ثم نادى « فيروز » قائلا :

– هو ذا الرائد « بكر » يا فيروز . .

فأقبلت « فيروز » على « بكر » محيية وسمعت « براون » يقول :

– اذهبى بضيفك إلى المقصف . . ودعيه يتذوق أطعمتك الفاخرة . .

فابتسم الاثنان . . وتأبطت « فيروز » ذراع « بكر » وابتعدت به وهى تقول :

– تعال لنتناول شيئا من الحلوى .

وتحول « براون » ليستقبل مزيداً من الضيوف والمدعوين .

وبعد نصف ساعة جلست « فيروز » إلى مائدة صغيرة بين « براون » و « بكر » وراحوا يتجاذبون الحديث هنا وهناك . . قالت « فيروز » وهى تنظر فى عينى « براون » :

– إننى أشعر حين أحتفى بك كأنى أعرفك من عشرات السنين .

فأجاب « براون »

– الحق أننى لم أكن أتوقع كل هذا الترحيب . .

وقال « بكر » مداعباً :

– أعتقد أن « فيروز » استطاعت أخيراً أن تخرجك من عزلتك .

فقال وهو يبتسم :

– الواقع أننى سعيد بالتغيير الذى أدخلته « فيروز » على الفندق رغم أننى أميل إلى الهدوء لأعكف على القراءة والكتابة دون إزعاج .

فسأله :

– خبرنى . . كيف تقضى أوقات فراغك بعد القراءة والكتابة ؟

فأجابه :

– الحق أن الإنسان لا يفرغ أبداً ، حتى ولو كان ساكنا لا يتحرك ، فإن عقله ووجدانه وحواسه لا تكف عن العمل ، يفكر . . يتأمل . . يحزن . . يقلق . . يبتهج . . ييأس . . يأمل . . يطرد الوساوس أو يحيلها . . . . يرجع إلى ماضيه أو يذهب إلى مستقبله . . أو يتلبث عند حاضره . إنه آلة تلقت إذن التشغيل بالمولد ، ويظل الإذن قائما إلى أن تفرغ من الحياة أو تفرغ منها الحياة .

وجرهم الحديث بعد ذلك إلى الكلام عن حضارة الإسلام فانبرى الأستاذ « براون » يقول :

– لو أن كتابكم أجهدوا أنفسهم لوجدوا فى الحضارة الإسلامية معيناً لا ينضب من المعلومات التاريخية والدينية والأدبية . . إن الحضارة الإسلامية تراث عظيم ظلت الأجيال تتوارثه والعقول تتدارسه على مر السنين ، وكلما درس هذه الحضارة دارس ظهر له منها جديد ، وتبين فيها من عناصر القوة والحيوية ما كان

يخفى على غيره ، وكلما أكب عليها مفكر أو باحث وجد بها الشفاء لنفسه ، والجواب لما تطلع إليه عقله .

وعن سؤال عن احتمالات السلام فى الشرق الأوسط أجاب الأستاذ « براون » .

– يجب أن يكون المرء طيباً للغاية ليعتقد أن إسرائيل تنشد السلام لأن إسرائيل لا تستطيع أن تتنفس فى جو السلام لسبب جوهرى واضح وهو أنها كما قلت مرة تعتمد فى تدفق المهاجرين والمعونات المالية والعسكرية على إحساس يهود العالم بأنها تعيش دائماً تحت خطر الإبادة ، ولو نجح العرب فى أن يثبتوا للعالم أن إسرائيل هى التى تبذر بذور الحرب فى المنطقة فإنهم بذلك يضعون الكيان الصهيونى فى موقف لا يحسد عليه . . وفى رأيى أنها لن تقبل السلام إلا مكرهة . .

وانضم إليهم بعد لحظات الدكتور « شعيب » و« فضيلة » وراح الجميع يتناولون الطعام والمرطبات ويتحدثون فى همس بينما كانت إحدى الراقصات تعرض رقصاتها على أنغام موسيقى حالمة . .

وعندما اقتربت الحفلة من نهايتها مال « براون » إلى « فيروز » وهمس فى أذنها :

– لست أدرى كيف أشكرك . .

– العفو . . أرجو أن تكون السهرة قد أعجبتك .

– الحق أنها رائعة للغاية .

وقالت له « فضيلة »

– هل ستعود إلينا مرة أخرى ؟

– إن شاء الله .

– متى ؟

– بعد ثلاثة أسابيع أو أربعة .

– وكيف ستنفق هذا الوقت ؟

– فى العبادة والقراءة وشراء بعض المراجع اللازمة لكتابى .

وكانت الساعة قد أوفت على الواحدة صباحا ، . عندما بدأ المدعوون فى الانصراف . .

وقال « بكر » وهو ينهض :

– أظن أنه قد آن لى أن أنصرف . .

فتقدمت منه « فيروز » وقالت له :

– أرجو أن تكون قد استمتعت بالحفلة رغم ما تخللها من أحاديث كثيرة .

فأجابها مبتسما :

– شكراً لك يا فيروز . . كانت حفلة ممتعة حقاً .

قال ذلك ثم تحول إلى « براون » وصافحه بحرارة وانصرف . .

الفصل الثالث عشر

وفى يوم الخميس بدأ « بكر » عمله على الفور ، فعقد مؤتمراً مع مساعديه ثم ذهب إلى مقر قائد قوات الحدود واشترك معه فى وضع خطة كاملة لمحاصرة المنطقة وضبط المهربين عن طريق تعزيز الحراسة وعمل كمائن على المدقات الموصلة للشاطئ ، والتنسيق بين مكتب المخابرات وقطاع حرس الحدود ، وإخطار بحرية حرس الحدود بالمنطقة لدفع دوريات بحرية إلى المنطقة .

وحول منتصف ليلة الخميس كان الجميع على أهبة الاستعداد . . وأخذوا يترقبون ظهور العائمة فرعون بفارغ صبر . . وانتظر الجميع إلى أن طلع فجر يوم الجمعة . . ثم انتظروا إلى أن حل العصر . . ثم المغرب . . وبدأ القلق يتسرب إلى نفس « بكر » ومن معه . . وفى هذه الأثناء دق جرس التليفون . . فتناول « بكر » السماعة وسمع مساعد قائد الحدود يقول :

– ألا يحتمل أن يكون هناك خطأ فى تحديد يوم وصولها ؟

فأجابه « بكر » :

– كلا . . ليس هناك خطأ على الإطلاق يا سيدى ، الإشارة اللاسلكية وشريط التسجيل يؤكدان الموعد بصفة قاطعة . .

– حسنا . . أرجو أن تنبه على رجالك باليقظة والتذرع بالصبر .

– حاضر يا افندم . . كن مطمئناً

وانتظر « بكر » ساعة أخرى . . ثم ساعتين . . وفجأة هبّ أحد الضباط واقفاً وهو يهتف :

– أخيراً وصلت . . ها هى فرعون تقترب من الشاطئ .

وفى اللحظة التالية دق جرس التليفون مرة أخرى وكان المتحدث مساعد قائد قوات الحدود . . .

قال :

– فرعون على بعد كيلو واحد . . إنها تقترب ببطء . . هناك أيضاً سيارة بيجو بيضاء تجوب المنطقة ويقودها رجل ملثم . . نفذوا التعليمات بكل دقة ، هل أنتم بحاجة إلى شىء ؟

فأجابه « بكر » :

– كلا يا سيدى . . نحن على أهبة الاستعداد .

– حسناً . . على بركة الله .

وفى هذه الأثناء كانت العائمة قد اقتربت من الشاطئ ونزل منها قارب يقوده شخصان أبحرا به إلى الشاطىء وعندئذ أطلقت قوة الحراسة النيران على القارب للإنذار للتوقف إلا أنه لم يمتثل بل وتبادل المهربان النيران مع قوة الحراسة وبعد لحظات أطلقت العائمة النيران على الجنود فقابلوها بالمثل ودوى المكان على أثر

ذلك بأصوات الطلقات النارية وأقبلت بعد فترة سيارة البيجو البيضاء واشترك قائدها الملثم فى الاشتباك . . ولما رأى الرجل الملثم عجز المهربين عن مقاومة رجال الشرطة وقرب وقوعهم فى أيديهم . . ابتعد عن المعركة ودس مسدسه فى جيبه واستدار إلى سيارته يبغى الفرار فى غمار ضجيج المعركة دون أن يفطن إليه أحد ولكن لسوء حظه لمحه بكر فصاح فيه :

– قف . . وإلا ألهبت رأسك بالرصاص .

ولكن الرجل لم يبال بتهديده فاستدار وفى وثبة واحدة كان داخل السيارة . . وعندئذ رفع « بكر » مسدسه وأحكم التصويب وأطلق رصاصة واحدة فى الوقت الذى انطلقت فيه السيارة . . . ولكنها كانت رصاصة صائبة . . سمع صرخة الرجل تتردد فى أذنه عندما أصيب . . ورأى سيارته تترنح يميناً ويساراً . . ولكنها ما لبثت أن استقامت وتابعت طريقها . . وهديرها يصم الآذان . وأسرع « بكر » إلى سيارته وانطلق بها فى إثر السيارة الهاربة مطلقاً لسيارته العنان .

وأمتدت المطاردة طويلاً . . وخرجت السيارتان عن الطرق المألوفة فى مطاردة مثيرة تطويان الأرض طيا . . ولكن الرجل كان يطير بسيارته طيراناً ، والعجلات لا تكاد تلمس الأرض . . كان جريحاً تنزف الدماء من جرحه إذ استقرت الرصاصة فى كتفه ، وكان الألم يمزق أعصابه ، وتأوهاته تنفلت من بين شفتيه ، وتكاد تعلو أحياناً على هدير السيارة .

ومع ذلك أخذ يكافح ويتجلد ، وبذل جهداً خارقاً لكى يسيطر على عجلة القيادة ، فقد كان يعرف من الذى يطارده ، وما الذى يبغيه من مطاردته . . وأمعن « بكر » فى المطاردة ، وأمسك بيده اليمنى بعجلة القيادة ، وأخرج يده

اليسرى من نافذة السيارة وبدأ يطلق النار على السيارة الهاربة . . ولكن رصاصاته طاشت . . وذهبت فى الهواء سدى . .

وبدأ الوهن يدرك المجرم الهارب ، واشتد به الألم وأخذت أصابعه تتراخى عن عجلة القيادة غير أنه أخذ يتشبث بها فى جهد وإعياء ، وقد خيل إليه لكثرة ما نزف من دمه أنه يوشك أن يفقد الوعى . .

وضاقت على أثر ذلك المسافة بين السيارتين والمطاردة مستمرة حامية الوطيس . . وأخيراً لم تعد لدى المجرم الهارب قدرة على مواصلة الفرار . . تباطأت سرعة سيارته ، وأخذت تنحرف يميناً ويساراً وسيارة « بكر » تقترب منها فى سرعة مخيفة ، كأنما هى وحش يريد أن يفترسها . . . وفجأة انحرفت سيارة الهارب . . واصطدمت بكثيب من الرمال . . وتوقفت مكانها .

وهبط « بكر » من سيارته . . وفى حذر تقدم من السيارة المهشمة شاهراً مسدسه . . وعلى قيد خطوات من السيارة توقف وأطلق رصاصة فى الهواء وصاح منذراً :

– سلم نفسك . . إياك أن تقاوم .

– ولم يأته رد من داخل السيارة . . وأخذ يتقدم إلى السيارة خطوة بعد خطوة ومسدسه فى يده ولكن دون أن يسمع حركة أو صوتاً . . وفى قفزة واحدة كان عند باب السيارة يتقدمه مسدسه . . ورأى الرجل منكفئاً على عجلة القيادة فصاح به مرة أخرى :

– سلم نفسك . .

وتحرك الرجل حركة خفيفة . . ورأى بكر الدماء تنزف منه بغزارة وتلوث المقعد . . كما رأى أن الرجل ملثم يخفى وجهه وراء قناع يستر معالمه . . ودس « بكر »

مسدسه فى جيبه . . ومال فوق الرجل وأزاح القناع عن عينيه . . فأطل عليه وجه المنزلاوى .

وبينما كان هذا يحدث فى جوف الصحراء كان رجال المخابرات وحرس الحدود قد أفلحوا فى تطويق العائمة واعتقال المهربين والاستيلاء على كل ما فيها من صفائح مملوءة بمسحوق الحشيش وإطارات سيارات محشوة بكميات هائلة من المخدرات .

ونقل « المنزلاوى وغيره من المهربين المصابين إلى المستشفى لعلاجهم توطئة للتحقيق معهم فى الجرائم التى ارتكبوها فى حق بلادهم وحق مواطنيهم . . أما بقية المتهمين فقد أحالهم البوليس إلى النيابة حيث أشرف على التحقيق معهم رئيس نيابة مرسى مطروح .

وكانت « فيروز» و « فضيلة » و « شعيب » يترقبون فى صبر نافد قدوم « بكر» إلى الفندق ليروى لهم ما حدث وما تتابعت به الأحداث بعد وصول السفينة . . فقد سمعوا مع غيرهم من نزلاء الفندق ضجيج المعركة وطلقات الرصاص تدوى من بعيد ولكنهم لم يعرفوا عن نتيجتها شيئاً . . وبعد ساعة دق جرس التليفون فى الفندق وفى سرعة مدت « فيروز» يدها وتناولت السماعة وأدنتها من أذنها وقالت بلهفة :

– فندق العزلة . . أنا فيروز .

وعبر الأسلاك جاءتها كلمات الطرف الآخر . .

– أنا بكر . .

فهتفت فى فرح واهتمام :

– أهلاً يا بكر . . لقد كنت شديدة القلق عليك ، ماذا حدث ؟

– باختصار . . لقد وقع جميع المهربين فى أيدينا . . وأثناء فرار المنزلاوى أطلقت عليه النار .

– وهل أصبته ؟

– نعم . . وسقط جريحاً بعد مطاردة عنيفة .

– ألم يتحدث المنزلاوى بعد القبض عليه عن سرقة الحقيبة ؟

وكان الدكتور « شعيب » سارحاً فى خواطره ولكن الكلمات الأخيرة أثارته فتطلع فى لهفة إلى فيروز وقال لها :

– هل لى أن أتحدث إليه قليلاً ؟

فأجابته :

– تفضل يا دكتور .

فأمسك بالسماعة وسأل « بكر » .

– هل وقع « المنزلاوى » فى أيديكم وهو متلبس بالجريمة .

– نعم . .

– ألم يذكر لكم شيئاً عن الحقيبة ؟

– كلا . . إنه ما زال فاقد الوعى .

– وما رأيك فيما جاء فى شريط التسجيل عن الأستاذ « إيهاب » ، لقد حدثتنا « فيروز » عن هذا ببضع كلمات مقتضبة .

– هذا ما سنتحدث فيه عندما أزوركم بعد قليل .

– حسناً . . سنكون جميعاً فى انتظارك . . لأننا مشوقون لأن نسمع كل ما عندك .

وجلس الدكتور « شعيب » مع الفتاتين وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث

حول « المنزلاوى » الذى خدع الناس زمناً طويلاً وأجمعوا الرأى على أن اعتقاله بهذه الصورة يعد بمثابة الضربة القاضية على كل أمله ونفوذه وشروره .

وبعد ساعة أقبل عليهم « بكر » وعلى وجهه علامات الظفر . . فنهض الثلاثة واقفين وبعد أن تبادلوا كلمات الترحيب سألته « فيروز » :

– ماذا تشرب يا بكر ؟

– أى عصير مثلج . .

فاستدعت الجرسون وطلبت منه إحضار أربعة أقداح من عصير البرتقال . . ثم التفتت إلى « بكر » وقالت :

– كيف حالك . . أراك بادى الإعياء . .

– إنى بخير . . كل ما فى الأمر أننى بحاجة إلى قسط وافر من النوم . .

– أتحب أن أخلى لك غرفة لتنال فيها شيئاً من الراحة ؟

– كلا . . لا داعى لذلك . . لقد جئت لأتحرى عن نقطة هامة .

– ما هى ؟

فألتفت إلى الدكتور « شعيب » وسأله :

– أجبنى يا دكتور بصراحة . . هل بينك وين الأستاذ « إيهاب عز الدين » عداوة ؟

فتردد الدكتور برهة ثم قال :

– إنها ليست عداوة ولكنها سوء تفاهم على ما أعتقد .

– وما سبب ذلك ؟

– لقد أراد أن يغرى « فضيلة » بالعمل فى السينما ولكنى اعترضت على ذلك لأننى أحبها وأريد أن أتخذها زوجاً .

وفى هذه اللحظة ارتفع صوت عذب طروب يقول :

– آه . . ألف مبروك يا فضيلة .

وكانت المتكلمة هى فيروز . . وقفزت من مكانها وقبلت « فضيلة » . . وقبلتها « فضيلة » بدورها وقالت لها وقد اصطبغت وجنتاها بأرجوان الحياء :

– شكرا لك .

وقال « بكر » فى جذل :

– هذا دون شك خبر سار يسعدنا جميعاً . . ألف مبروك .

فأجابه الدكتور شعيب :

– شكراً جزيلاً . . والآن لنعد إلى موضوعنا . . هل تظن أن للأستاذ « إيهاب » دخلاً فيما حاق بى من متاعب .

فأجابه وهو يرشف بضع رشفات من قدحه :

– يخيل إلى أنه أطلع « المنزلاوى » على قصته عن عمد ليغريه بارتكاب الجريمة وفقاً للخطة التى رسمها فى قصته وبذلك تتحقق أمنيته فى التخلص منك دون أن يثير حوله شكاً أو ارتياباً . .

فقال الدكتور فى مرارة :

– هذا شيء غريب حقاً . .

– وما وجه الغرابة . .

– شيء غريب أن يلجأ أديب إلى هذه الفعلة المنكرة . .

– ليس فى الأمر غرابة . . كل منافسة غير شريفة تخرج الإنسان عن حدود العقل . . فإيهاب أدرك أن الفرصة سانحة أمامه للتخلص منك فرأى أن ينتهزها باستخدام « المنزلاوى » فى القضاء عليك فأقدم ببساطة على فعلته لأنه وجد فيها

هو الآخر فرصة للتخلص منك حتى يخلو له الجو لفيروز .

وسكت « بكر » لحظة ثم التفت إلى الفتاتين وقال مبتسماً :

– ومن هذا تريان أن سعادتكما لا تسعد الناس جميعاً .

فأجابته « فضيلة » قائلة :

– وهل كان ذنبنا أن هؤلاء الأشرار أعجبوا بنا .

فقال :

– كلا بالطبع .

وقالت « فيروز » :

– الواقع أن أواصر الصلة بيننا وبين الناس – فيما عداكما – كانت دائماً عبئاً على قلبينا ، وسبباً لإيلامنا ، ولكن لنحمد الله على أن قدر لنا فى نهاية الأمر صديقين حميمين مثلكما نعتز بصداقتهما وإخلاصهما .

وهنا قال الدكتور « شعيب » :

– أؤكد لك يا صديقتى العزيزة . . أننى حين تضطرب نفسى فإنه يكفى لتسكين ثائرتى وإسعاد قلبى أن أرى وجه فضيلة .

وراح بعد ذلك يتحدث عن « فضيلة » ويطرى أخلاقها وصفاتها وفضائلها حتى أيقنوا أنه مولع بها وعما قريب سيعقد قرانه عليها .

وتحدث « بكر » بعد ذلك عن « فيروز » فقال إنها أكمل وأجمل فتاة فى نظره وأنه لا مطمع له فى الحياة إلا أن يسعدها .

ونهض « بكر » على أثر ذلك وانصرف . . ثم عاد ومعه إذن من النيابة بتفتيش غرفة الأستاذ إيهاب للبحث عن أصول قصته .

وأقتحم « بكر » ورجاله غرفة « إيهاب » على أعين الموظفين والنزلاء ففتشوها

تفتيشاً دقيقاً بحثاً عن القصة والحقيبة المسروقة وقد عثروا على القصة ولكنهم لم يعثروا على الحقيبة .

وعندما قدم «إيهاب» ورأى هذا المشهد أمتقع وجهه وسأل «بكر» :

– ما معنى هذا ؟

– هذا تفتيش نجريه بأمر النيابة ، وإنى أقبض عليك يا أستاذ «إيهاب» .

فاصفر لونه وحملق فى وجهه فى دهشة وسأل :

– تقبض علىَّ ؟ لماذا ؟

فأجاب فى اقتضاب :

– هذا ما ستعلمه عند إجراء التحقيق ، تفضل معنا .

فسار بين الجنود إلى سيارة جيب كانت فى الانتظار فصعد إليها يتبعه الجنود وحينذاك اقترب «شعيب» من «بكر» وسأله :

– هل عثرتم على الحقيبة ؟

فأجابه على عجل :

– كلا . . أعتقد أنه لا دخل له بهذا الموضوع .

وبعد انصرافهم انفرد «علوى» بفضيلة وسألها :

– ما معنى كل هذا ؟

فروت له القصة ، وما إن فرغت من سرد تفصيلاتها وتعقيباتها عليها حتى جمد فى مكانه وقال بصوت مضطرب :

– إننى لا أصدق . . أتعتقدين أن الأستاذ إيهاب يرتكب هذه الفعلة ؟

– من يدرى . . كل شىء سيظهر فى التحقيق .

– لو صح ذلك إذن لأصبح الأستاذ إيهاب شريكاً للمنزلاى فى الجريمة .

ونهض وقدماه لا تقويان على حمله وذهب إلى غرفته ينشد شيئاً من الراحة وماكاد يخلو لنفسه حتى غرق فى بحر من التفكير. . وقال لنفسه :

– لقد كدت فى ساعة من ساعات الحقد والطيش أن أفعل ما فعله المنزلاوى فى سيارة الدكتور « شعيب » كى أتخلص منه ويخلو لى الطريق إلى « فضيلة » . . كدت أرتكب هذه الجريمة فعلاً تحت تأثير فكرة « إيهاب » ، ولوكنت فعلتها لكنت اليوم أحاكم على ما ارتكبت من قتل . . . إن فى صفاتى نقائص كثيرة وعلى أن أعالج هذه العيوب فى نفسى ، وأن أراقبها بكل ما يسعنى من يقظة وانتباه . . يجب ألا أفكر فى الشر بعد اليوم وأن أبنى فى نفسى عادة حب الخير ولا أرضى عن نفسى إذا تنكبت هذه العادة .

ومن ذلك اليوم تملكه تيار واحد من الشعور نحو « فضيلة » وهو تيار الصداقة البريئة الصحيحة .

الفصل الرابع عشر

بعد أربعة أسابيع من هذه الحوادث عاد المستشرق « براون » إلى الفندق وما إن سمع « علوى » و« فضيلة » و« فيروز » بقدومه حتى هرعوا لاستقباله والبشر يعلو وجوههم . . ولكنهم ما كادوا يرونه حتى حملقوا فيه فى ذهول ودهشة إذ لم يخطر لهم ببال أن يلقوه أمامهم بتلك الصورة غير المألوفة . فقد كان يلبس جلباباً فضفاضاً خشناً أشبه بملابس الزهاد . . وكان شعره محلوقاً ألح عليه المقص . . وكان منتعلاً حذاء ضخماً لم يمسح أديمه ولم يصقل .

وقالت « فيروز » فى دهشة :

– يا للعجب . . كدت لا أعرفك . . إن من يراك يظنك أحد الدراويش .

فابتسم ابتسامة عريضة وأجاب :

– فعلاً . . لقد تغيرت كثيراً بعد أن أصبح التدين الآن كل همى .

فسألته « فضيلة » :

– وهل ستظل كذلك مدة طويلة ؟

– نعم . . لقد طلقت نهائيًّا حياة الترف والنعيم بعد أن ألهمت أسلوباً جديداً فى الحياة .

وقال له علوى :

– هل تأثرت فى ذلك بمبادئ المتصوفين ؟

– أجل . . وستبقى هذه المبادئ حية فى نفسى حتى نهاية حياتى .

– ولكن هذه الحياة تحتاج إلى تجمل عظيم بالصبر .

– لقد أعددت نفسى لكل شيء . . كن واثقاً أن النجاح سيكون حليفى .

وأقبل عليهم الدكتور « شعيب » فى تلك اللحظة وعندما وقع بصره على منظر « براون » ذهل من هول المفاجأة . . وقال له وهو يصافحه :

– ما هذا الذى فعلته بنفسك ؟

– كما قلت لهم لقد قررت أن أطلق حياة الترف والنعيم وصياغة حياتى صوغاً جديداً على نسق لم يألفه أحد من قبل . .

– وكيف يتسنى لك ذلك وحياتنا فى هذا الفندق كلها ترف ونعيم .

– هذا صحيح . . ولكنى لن أقيم هنا . . سوف أطلب من فيروز أن تسمح لى بالإقامة فى الكوخ المقام هناك فى أحد أطراف الحديقة . . هل توافقين يا فيروز ؟

فأجابته فى هدوء :

– مادام هذا يرضيك فلا مانع عندى .

– أشكرك .

ثم استطرد :

– ومن الآن فصاعداً سأجعل للدين والتاريخ كل همى حتى أفرغ من تدوين كتابى وعندها سأعبئ كل كتبى وأوراقى فى صندوق وأرحل إلى بلادى .

فقالت له فيروز :

– حسناً . . غداً سيكون الكوخ تحت تصرفك . .

فحياهم « براون » وانصرف شاكراً . وفى اليوم التالى انتقل « براون » إلى الكوخ وأخذ يهيئ نفسه للمعيشة فيه وكان أول شيء لاحظوه عليه أنه انقطع للقراءة والكتابة والعبادة وأخذ يقلل من الطعام يوماً بعد يوم حتى أصبح لا ينال أكثر من رغيف واحد وقطعة من الجبن . . ثم عاد إلى تناول الطعام البسيط وأخذ يتجول فى المنطقة ويختلط بالأعراب ويلقى فيهم مواعظه منبهاً إلى الحياة القويمة والمنهج المستقيم والنهى عن الطمع والانغماس فى الملذات إلى جانب الحث على الرضا والقناعة والتمسك بالصدق فى القول والإخلاص فى العمل والطهارة فى الضمير والإقلاع عن الكذب والوقيعة والنميمة والسخرية وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق .

وقد انضم إليه عدد كبير من الأعراب ، كانوا يحبونه ويجلونه وكلما سمعوا بوجوده فى مكان هرعوا إليه ووقفوا ينصتون إليه وكأن على رؤوسهم الطير . .

وكان من عادته أن يستيقظ مبكراً ثم يستحم ويخرج إلى القرى وفى يده مسبحة طويلة . . وكان الناس يقبلون عليه ويدعونه إلى الطعام فيقبل ويأكل شيئاً قليلاً ، ثم يلقى مواعظه ويطلب منهم أن يتدبروا مغزاها ثم يتركهم ويأخذ راحته بعد الظهر عند سفح أحد الكثبان . وفى المساء يجتمع الناس حوله فيخطب فيهم ثم يذهب إلى كوخه حيث يقضى وقتاً طويلاً فى القراءة والكتابة والتفكير والتأمل .

وكان فى هذه الأثناء يلتقى أحياناً بالدكتور « شعيب » والرائد « بكر » فيما بقى من النهار ويسهر معهما ومع فيروز وفضيلة فى بعض الأمسيات حيث يقرأ لهم شيئاً ساراً ثم يأخذون بعد ذلك بأطراف الحديث . . يقص عليهم خبراته بالحياة والناس ويقصون عليه أنباء عن محاكمة « المنزلاوى » و« إيهاب » .

سأله « بكر » ذات يوم وهو ينظر إليه بإمعان :

– خبرنى يا أستاذ « براون » ألم تتشوق نفسك بعد إلى مباهج الحياة ومسراتها ؟

فأجابه فى إصرار :

– كلا . . فليس يشغل ذهنى شىء من هذا ، بالعكس إننى أجد فى الزهد سعادة لروحى لا تحد .

فقال له :

– يخيل إلى أحياناً أنك شديد القسوة على نفسك . . أهو نوع من تعذيب النفس ؟

فهز كتفيه وقال :

– أبداً . . أبداً . . يمكنك أن تقول إنه نوع من تكميل النفس .

– وكيف تنشد الكمال لنفسك ؟

– بأن أؤدى عملاً يرضى الله ويعود بالخير على الناس . . إننى أتجه دائماً إلى الله أستعينه وأستغيثه ليجنبنى عنت الخصومات ، وغل الحزازات والأحقاد ، وسوء المنزلة فى الناس ، وليهدينى إلى محبته والأمل فى رحمته ، وإلى محبة الخلق ، فى سبيل الخير . . هذه كلها وسائل تكفل السمو بحياة الإنسان ولو أن « المنزلاوى » و« إيهاب » أخذا نفسيهما بهذه المبادئ لما استطاع الشيطان أن

يسيطر على عقليهما ويلقى بهما إلى التهلكة . . وبهذه المناسبة ما آخر أخبارهما ؟

فأجابه « بكر » فى تؤدة :

– انتهى كل شىء وستبدأ المحاكمة الشهر القادم .

– هل بوسعى أن أحضر المحاكمة ؟

– طبعاً . . يمكنك أن تحضر مع الدكتور « شعيب » .

فالتفت إليه الدكتور « شعيب » وقال له :

– سأمر عليك يوم المحاكمة لأصطحبك معى .

– شكراً لك . .

وما كاد « براون » ينصرف إلى كوخه حتى تبادلوا النظرات فيما بينهم وقال الدكتور « شعيب » :

– إنه لا شك فيلسوف كبير يسير فى الحياة وفق قواعد هداه إليها طول النظر .

وقالت « فضيلة » :

– كلما تحدث إلىَّ فى أى أمر جل أوهان وقع كلامه فى نفسى موقعاً عظيماً .

وعلق « بكر » على ذلك بقوله :

– لعل مرد هذا إلى حسن ذوقه فى اختيار الألفاظ التى يعبر بها عن فكرته وفيما يدير من أحاديثه .

وقالت « فيروز » :

– على العموم رجل هذه صفاته لخليق بأن يملأ عقل سامعه ووجدانه .

فأحنى الدكتور « شعيب » رأسه وقال :

– أنا متفق معك . . إننى أحس دائماً معه أننى فى أحسن حالاتى فكراً ووجداناً وهدوء بال .

وقضى الشابان والفتاتان أياماً فى الفندق كانت عندهم أسعد أيام حياتهم وكثيراً ما جلسوا على شاطئ البحر أو صعدوا المرتفعات القريبة فعزفت « فيروز » لحناً وغنت « فضيلة » .

وبعد أيام عاد « أبو المكارم » إلى مصر وكان أشد ما آلمه أن معالم فندقه كادت تطمس ، فالنزلاء والموظفون وحتى ابنته « فيروز » فى شغل بالمرح والمسرات عن كل شيء . . وأحس أن عليه أن يعمل ليستعيد ما كان للفندق من صيت وليزيد هذا الصيت وإلا فقد ضاع كل ما سلف له من جهد .

ولكن فضيلة استطاعت بمعونة الدكتور « شعيب » والرائد « بكر » والأستاذ « براون » وبعض النزلاء أن تثنى الرجل عن عزمه . . .

وقد قال له الدكتور « شعيب » وكان له عنده أثر عظيم :

– إن العزلة حالة صعبة لا يطيقها إلا النساك والزاهدون . . أما سائر الناس فلا طاقة لهم بها . . فابق الوضع كما هو عليه لراحة الجميع . . ولا تنس أن خير الأمور أوسطها . .

فتنهد أبو المكارم وقال :

– كما تشاء يا دكتور « شعيب » .

وبعد أن فرغ الدكتور « شعيب » من حديثه مع « أبو المكارم » عن أحوال الفندق ، روى له بإيجاز قصة « المنزلاوى » مع ابنته « فيروز » وكان الرجل يستمع إليه فى دهشة وعندما أتم « شعيب » سرد القصة كانت دهشة الرجل قد بلغت حد الصدمة . . وهتف بلسان عقده الذهول :

– فيروز تجرؤ على فعل هذا ، سأعرف كيف أحاسبها على تصرفاتها الشائنة .

وقال « بكر » معقباً على ذلك :

– إن فيروز لم تخطئ . . أنت المخطئ يا سيد أبو المكارم .

فردد قوله فى انفعال :

– أنا المخطئ ؟

– نعم . .

– كيف ذلك ؟ ما الذى تريد أن تقوله بالضبط ؟

– أريد أن أقول إن معاملتك هى التى دفعتها إلى هذا المسلك .

فرفع الرجل حاجبه . . ونظر إليه فى استغراب وقال :

– ماذا تعنى ؟

– أعنى أن تصرفاتك مع ابنتك هى المسئولة عن ذلك .

فقطب الرجل جبينه وقال فى نبرة يخالجها الغضب :

– لست أدرى ما الذى ترمى إليه ، هل لك أن تفصح .

– لقد فهمت من « فيروز » أن أمها ماتت من سنوات . . ومنذ وفاتها وهى تعيش معك فى محنة . .

– محنة . . ما هذا الهراء . .

– إنك تعاملها بقسوة . . إنها لم تسمع منك أبداً كلمة حنان . .

فتساءل فى دهشة :

– أهى التى قالت لك هذا ؟

فأجابه « بكر » :

— نعم . . إنها هى التى حدثتنى بهذا . . وأمام قسوتك وإهمالك فإن أول كلمة حنان سمعتها من رجل مثل المنزلاوى كانت كفيلة بأن تجعلها تترامى عليه لتعويض الحنان الذى كان ينقصها .

فحملق فى دهشة وهتف :

— ولكنى لم أتردد يوماً فى الاستجابة لمطالبها . . ثروتى كلها كانت تحت تصرفها ، وكان لديها الثياب الأنيقة والسيارات الفاخرة ، فما عساها تريد منى أكثر من هذا .

وهنا تدخل الدكتور « شعيب » فى الحديث قائلاً :

— ليس هذا ما كانت تريده ، كانت تريدك أنت ، تريد حنانك وعطفك . . ولولا أنها عرفت كيف تحمى نفسها لوقعت بسهولة فى شراك « المنزلاوى » .

ولبث الرجل صامتاً لا يتكلم . . وإن بدا عليه أنه بدأ يعى صواب كلام الشابين . . وبعد قليل نظر إليهما وقال :

— يبدو أنكما على حق فى كل هذا . . إننى حقيقة لم أتعود أن أسمعها كلمة عطف أو حنان بسبب انصرافى الكلى إلى أعمالى واستثمار أموالى هنا وفى لبنان ، ولكن يجب أن تعرفا أننى أحبها ، ويجب أيضاً أن تعرف « فيروز » هذا ، اسمحا لى أن أنادى « فيروز » لأؤكد لها بأنها ستكون من الآن كل شىء فى حياتى .

فقال الدكتور « شعيب » وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة :

— قبل أن تناديها ، عندى كلام آخر عن « فيروز » أحب أن أقوله لك .

فسأله وهو يحملق فى وجهه :

— ماذا تريد أن تقول ؟

فتبادل نظرات ذات مغزى مع « بكر » ثم قال :

– إننا جميعاً نعلم أن « فيروز » فتاة نبيلة مهذبة وأنها أجمل زهرة فى مرسى مطروح ولذلك إذا تزوجت وجب أن تتزوج شابًّا كفؤاً لها .

فارتسمت على شفتى والدها ابتسامة رقيقة . . وقال :

– إننى أعرف ذلك ، ولكن . .

– ولكن ماذا ؟ هل تسمح لى بمشورة ؟

– تفضل .

– لو كانت فيروز ابنتى لما وجدت لها زوجاً خيراً من الرائد « بكر » ، إن الرائد « بكر » صديقى ولا أعرف لى صديقاً أنبل وأكرم منه ، وقد اعترف لى بأنه يحب « فيروز » ويتمنى أن تكون زوجة له ، فما قولك ؟

فأجاب وقد انبسطت أسارير وجهه :

– إن ذلك يسرنى جدًّا . . إننى سعيد بذلك . .

وعلى أثر ذلك نهض « بكر » وصافح الرجل فى حرارة وعلى وجهه كل دلائل السعادة . . وبعد لحظات استدعى الرجل ابنته فلما أقبلت عليهم ضمها أبوها إلى صدره فى حنان وقال لها وهو يدعوها إلى الجلوس بجانبه :

– مبروك يا فيروز .

فسألته وهى تنظر فى عينيه :

– علام تبارك لى يا أبى ؟

– لقد طلب الرائد « بكر » يدك .

فالتقت عيناها بعينى « بكر » واحمر وجهها . . وتقدم منها « بكر » وقال وهو يصافحها :

– مبروك . . إننى أعتبر نفسى الآن أسعد شاب فى الوجود .

وقال لها الدكتور « شعيب » وفضيلة :

– ألف مبروك يا فيروز .

وعلى أثر ذلك تأبط « بكر » ساعد « فيروز » . . وابتعد نحو الباب وهو يقول :

– معذرة . . عندى كلام كثير أريد أن أقوله لفيروز . .

فابتسم أبوها وقال :

– حسناً . . ولا تنس أن تعبر لها عن أسفى لتصرفاتى الماضية معها .

فأجابه وهو ينقل البصر بين الأب والابنة :

– اطمئن . . سأصارحها بكل شيء ، سأقول لها كل ما قلته لك وكل ما قلته لنا .

– أشكرك .

وشيعها الأب ببصره بنظرة حانية . . كان سعيداً لأن « فيروز » وجدت أخيراً الزوج المثالى الكفيل بإسعادها .

والتفت الرجل إلى الدكتور « شعيب » وقال له :

– الحق أنه شاب رائع . . كنت قبل سفرى إلى « لندن » أسمع الكثير عن شجاعته وإقدامه . . ولكننى لم أحظ يوماً برؤيته .

– إنه شاب نادر المثال وهو لذلك خير من يصلح لفيروز .

– إننى أشعر فعلاً بأننى ضمنت لفيروز زوجاً قويًّا مخلصاً . . والفضل فى ذلك يرجع إليك . .

– إننى لم أفعل شيئاً . . لقد كنت مجرد همزة وصل بين الطرفين .

وضحك وضحك الرجل ضحكة صافية مرحة . . وبعد لحظة صمت قصيرة . . قال الدكتور « شعيب » :

– هذه هى الحقيقة ولكنى لم أحدثك عن حقيقة أخرى .

– ما هى يا ترى ؟

– لقد اتفقت أنا وفضيلة على الزواج قريباً .

فهتف فى جذل ودهشة :

– أحقًّا تقول يا دكتور ؟

– نعم .

– يا له من خبر سار . . ألف مبروك لكما . . إن « فضيلة » فتاة نادرة وهى دون شك خير فتاة تصلح لأن تكون زوجة لعالم عظيم مثلك نفخر به ونعتز بمكانته .

وفى الليلة التالية أقام أبو المكارم حفلاً فاخراً بالفندق احتفاء بهاتين المناسبتين السعيدتين . . وكان أبو المكارم هو الذى أشرف بنفسه على إعداده . . كان السرور ظاهراً فى وجهه ، وفى حركاته ، وفى الحماسة التى تتدفق فى كلماته . . كان وجهه مشرقاً باسماً والسعادة ناطقة فى أساريره وقد بلغ من سعادته أنه نسى وقاره ورزانته وتقاليد الفندق فأخذ يروح ويجئ فى بهو الفندق مصدراً الأوامر بلا توقف :

– ضعوا فى هذا الركن شيئاً من الزهور . . افرشوا بساطاً فى الداخل . . الإضاءة فى هذا الركن غير كافية . . وكان أحياناً يعتلى سلما متنقلاً . . ممسكاً بطرف حبل تتدلى منه الأوراق الملونة . . وهو يمد يده عبر القاعة ويعلقه فى المسامير . . وكان أحياناً أخرى يلتفت إلى مساعديه ويصيح :

– هل أعددتم المرطبات . . هل استعدت الفرقة الموسيقية . . أحسنتم يا رجال .

ووقف بعض النزلاء ينظرون إليه ويتهامسون فى تهكم وقد اتفقت آراؤهم على أن بدعة العزلة قد انتهت أخيراً وما لها من عودة .

الفصل الخامس عشر

كان الشيء الذى يشغل تفكير الرائد « بكر » بعد القبض على « المنزلاوى » و « إيهاب » وثبوت عدم صلتهما بموضوع سرقة الحقيبة . . هو الشروع فى البحث عن الحقيبة فى جميع أنحاء المنطقة والعمل على العثور عليها بأية وسيلة . . ومن ثم لم يكتف بجهود رجاله وإنما خرج بنفسه للبحث والتحرى . . من قرية إلى قرية ومن كوخ إلى كوخ ، أخذ يتنقل باحثاً ينبش الأرض عنها ، وإذا مشى فى طريق فعيناه تجولان هنا وهناك تتصفحان وجوه الأعراب وأيديهم وأمتعتهم عله يجدها مع أحد منهم . . ولكن كل جهوده ذهبت أدراج الرياح مما حز فى نفسه كثيراً .

كان أشد ما يؤلمه أن يفشل فى استرداد الحقيبة وهو الذى نجح عدة مرات فى استرداد الأموال التى سرقت من أصحابها ، كيف يفشل هذه المرة وهو الذى كان سبباً فى القبض على كثيرين من زعماء العصابات والقتلة ومهربى المخدرات ومحترفى النصب والاحتيال . . كيف يسمح لهذا الحادث أن يشوه سمعته بين الناس وخاصة « فيروز » و « شعيب » و « فضيلة » .

ومضى مرة ثانية يتنقل بين القرى المتناثرة ، والأكواخ المنتشرة فى أنحاء المنطقة . . مشى حتى كلّت قدماه ، وفتش ودقق حتى تورمت عيناه ، وفكر حتى ركد ذهنه ، ومع ذلك لم يسفر هذا البحث الشاق الطويل عن أية نتيجة .

ولكنه مع ذلك لم ييأس . . وواصل بحثه بعناد وإصرار . . وعند ذلك . . وعلى حين بغتة رآها . . لمحها أمامه على قيد خطوات من المدخل الخلفى لجاراج فندق العزلة . . وقفز « بكر » صوب المدخل . . وانقض على الحقيبة واختطفها كما يختطف النسر فريسته . . وانطلق يسرع الخطى باحثاً عن الدكتور « شعيب » وهو يقول فى نفسه :

– سوف تكون مفاجأة مذهلة له .

وتلقاه « شعيب » فى دهشة بالغة قائلاً :

– يا إلهى . . أين وجدتها ؟

– فى المدخل الخلفى لجاراج الفندق . . تصور . .

– هذا شىء غريب حقًّا . . لقد ترددت على هذا المدخل عدة مرات دون أن أراها .

– معنى هذا أن السارق أعادها تخلصاً منها بعد أن أدرك أنها لا تحتوى على شىء ذى قيمة له .

– لابد أن يكون الأمر كذلك .

– ألا تفحص محتوياتها . . ربما فقد منها شىء .

ففتح الحقيبة وألقى نظرة فاحصة على محتوياتها ثم رفع رأسه وقال :

– الحمد لله . . لم يفقد منها شىء .

فسأله :

— هل تأكدت من ذلك ؟

— نعم . . إنها سليمة كما كانت .

ونهض الدكتور « شعيب » من مقعده وأخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهوباً ، وبعد برهة عاد إلى مكانه وقال :

— من الآن ستنشط روحى من جديد ، إن اللص لم ير فى الأوراق شيئاً هاماً ، وهذا طبيعى ، أما أنا فأرى فى السر كل شىء ، فهو كما ذكرت لك سيرفع من شأن مصر بين أمم العالم كلها .

فساله « بكر » قائلاً :

— إذا كان الأمر كذلك فلم تمتنع عن تسليم المشروع للحكومة ؟

— لأن أعداءنا قد يفطنون إليه ، ولست أحب أن تعرف إسرائيل عنه شيئاً إلا بعد أن يستكمل البحث كل مراحله وتفاجئها حكومتنا به ، وحتى بعد أن تفاجئها بامتلاك هذا السلاح فلن نكشف للعالم يوماً ما عن سره حتى لا تستخدمه بعض الدول ضد البعض الآخر كما يحدث الآن فى القنابل الذرية .

فقال له « بكر » :

— أعتقد أنك على صواب . . قل لى : أتريد حراسة على غرفتك ؟

ففكر لحظات ثم قال :

— الأفضل أن لا تكون هناك حراسة . . لأن الحراسة من شأنها أن تلفت إلىّ الأنظار .

— حسناً . . هل هناك خدمة أؤديها لك ؟

– كلا . . شكراً لك . .

– وما الذى انتويت عمله ؟

– لابد أن أفرغ اليوم من ترتيب هذه الأوراق وأرجو ألا تحسبنى فظًّا إذا طلبت إليك أن تمنع أصدقاءنا من زيارتى هذه الليلة .

فغمز له بعينه وقال :

– حتى فضيلة ؟

فابتسم وقال :

– حتى فضيلة . . إنى بحاجة إلى أن أخلو بنفسى هذه الليلة لأرتب أفكارى .

– كما تشاء . . وإن كان هذا قد يضايقها . .

– أعتقد أن ذلك لن يضايقها لأنها تعرفنى حق المعرفة ، تعرف كل إحساس يجيش فى نفسى ، وكل فكرة تمر بخلدى . .

فسكت « بكر » برهة ثم قال :

– ولكن هذا لا يمنع بالطبع أن أكاشفها هى و« فيروز » بعودة الحقيبة .

– لا مانع طبعاً . .

– ومتى نلتقى ؟

– لابد أن ألزم غرفتى بضعة أيام ثم أخرج لألتقى بكم . . ولكنى لن أخرج كثيراً كما تعودت أن أفعل فى الأيام الأخيرة لأننى أحس برغبة شديدة فى العمل لم أحس بها من قبل .

– حسناً . . العمل قبل كل شىء . . أرجو لك التوفيق يا صديقى .

وخرج « بكر » إلى البهو فوجد « فيروز » جالسة وحدها مغرقة فى التفكير . .

فدنا منها ثم وضع يده على كتفها وقال فى صوت خافت :

– فيم تفكرين ؟

فجفلت وارتدت قليلاً ثم قالت :

– آه . . بكر . . أين كنت . . لقد اتصلت بك تليفونيًّا أكثر من مرة ولكنى لم أجدك كالعادة .

فسألها وهو يجلس إلى جانبها :

– ولماذا اتصلت بى يا ترى ؟

– لأننى لم أرك من مدة طويلة وبدأت أحس بسآمة وضجر لأننا لم نعد نلتقى كثيراً . .

فقال مبتسماً :

– أيقلقك غيابى إلى هذه الدرجة ؟

– طبعاً . . ولن أغفر لك إغضاءك إلا إذا عرفت السبب .

فتألقت عيناه جذلاً وقال :

– إذن فإليك السبب . . لقد كنت أبحث عن الحقيبة إلى أن تمكنت اليوم من العثور عليها .

فهتفت فى ابتهاج :

– أحقًّا . . يا لها من مفاجأة سارة .

– والآن . . هل أنت راضية ؟

– كل الرضا . . هذا لا يدهشنى منك يا بكر فأنت تقدم واجبك على كل شىء وهذا شىء يسعدنى .

فالتفت إليها وقال متفرساً فيها :

– ما كنت أنتظر منك أن تقولى هذا الكلام .

– ماذا تعنى ؟

– أعنى أن معظم الفتيات لا يفكرن على هذا النسق . . إنهن يطلبن من الرجل أن يقدمهن على واجبه ويغضبن إذا حدث العكس . .

– ولكنى لست من هذا الصنف . .

– ومن أجل هذا فإنى أشعر بأننى سعيد وبأننى شاب مجدود .

وعندما سمعت « فيروز » هذا الكلام انبسطت أساريرها وتألقت عيناها وأمسكت بيده وقالت له :

– أشكرك يا بكر على هذا التقدير . .

– لا تتحدثى عن التقدير فأنت قطعة من نفسى . . وهذا هو إحساسى الصادق .

– أشكرك مرة ثانية يا بكر على هذه الكلمات الرقيقة وأحب أن أؤكد لك شيئاً وهو أننى لم أخلص فى حياتى لأحد إخلاصى لك ولن أخلص .

وبعد أن فرغت من كلامها دقت الجرس وقالت :

– أتحب أن تتناول قليلاً من الشاى .

– بكل سرور .

وبعد أن فرغا من تناول الشاى خاضا معاً فى ألوان من الحديث عن المستقبل وأمانى المستقبل وأحلامه . . وكان الحديث شائقاً أبهج نفسيهما وملأهما أملاً وشوقاً وتطلعاً . . قال لها إنه لن يرضى عن نفسه إلا إذا حصل على الدكتوراه فى القانون حتى يكون جديراً بها وجديراً بسمعته بين الناس وبين زملائه من رجال الشرطة والنيابة . . وقال لها إنه لم يقدم على الزواج منها طمعاً فى مال أو جاه وإنما

لأنه أحبها لذاتها ووجد فيها الشخصية التى ستعينه على بلوغ الكمال والسمو بنفسه ومن أجل ذلك فقد اعتزم بعد حصولها على ليسانس الحقوق أن يبقيها بجانبه كزوجة وربة بيت ومساعدة له فى أعماله حتى يحقق رسالته السامية فى المجتمع على خير وجه . وردت عليه فيروز مؤكدة بأن هذه الحياة هى الحياة التى تحلم بها ويهفو قلبها إليها وإن ما عداها لا يخرج عندها عن أن يكون عواطف شتى من الطموح والغرور والشهوة والحاجة وما هو بسبيل من هذا . . وإنها فى غنى عن كل هذا مادامت ستحيا معه ، وستتفرغ لشئونه وشئون عمله وبيته . .

وتحدثا بعد ذلك عن القضية فأخبرته بأن النيابة استدعتها هى وفضيلة والدكتور شعيب وعلوى وأخذت أقوالهم فى كل ما يتصل بحادث السيارة وسبب حقد كل من « المنزلاوى » و « إيهاب » على الدكتور « شعيب » ومدى علمهم بالدوافع التى حفزت « إيهاب » إلى تحريض « المنزلاوى » بطريق غير مباشر إلى العبث بفرامل السيارة والشروع فى ارتكاب جريمة قتل « شعيب » . .

وعلق « بكر » على ذلك بقول :

– لا أعتقد أن « إيهاب » عرض قصته على المنزلاوى بلا هدف . . لقد أخذ يلح عليه حتى استقرت فكرتها منه فى عقله الواعى . . إنها فكرة جهنمية دون شك وكان من الممكن أن تتم الجريمة دون أن يرتاب أحد فى الدور الذى لعبه فيها « إيهاب » . . ولكن العدالة كانت أذكى وأحسن تدبيراً . .

وبعد قليل غادر « بكر » الفندق واستقل سيارته ومضى بها إلى مرسى مطروح . وفى الطريق راح يتطلع إلى البحر وهو يبتسم لمرأى الأمواج التى تتلاطم مع هبات النسيم . . ثم أوقف سيارته وهبط منها ومشى صوب الشاطئ وراح يملأ عينيه من ذلك المنظر البهيج . . وتواردت على ذهنه الخواطر السعيدة :

– كم هو سعيد الآن . . شهرة عريضة . . نجاح عظيم . . عروس ساحرة . . مال وفير ادخره من مرتبه . . ماذا يريد أكثر من ذلك . .

وقال لنفسه :

– لابد أن أحصل على إجازة بعد صدور الحكم فى القضية . . إجازة طويلة بعض الشيء أحتفل فيها بعقد قرانى على « فيروز » . . وبعدها أعود إلى عملى أكثر نشاطاً وحيوية . .

وعندما دار على عقبيه ليمشى نحو السيارة . . وجد نفسه وجهاً لوجه أمام رجل لم يره من قبل ولم يسمع وقع خطاه . . كان الرجل ضخم الجسم ، مكتنز الوجه ، مشوش الشعر ، صخرى الملامح . وقال له الرجل :

– أمسية جميلة . . أليس كذلك ؟

– نعم . . كل شيء هنا جميل .

ومشى إلى سيارته ولكنه أحس فجأة بشيء يلتصق بظهره . . شيء صلب ليس من الضرورى أن يكون الإنسان حاد الذكاء لكى يعرف ماهيته دون أن يراه . . وسمع الرجل يقول له بلهجة الآمر :

– قف حيث أنت .

فصاح « بكر » .

– ماذا تريد ؟

وعرف الجواب على سؤاله فى اللحظة التالية . . فقد رأى على بعد بضعة أمتار سيارة أخرى . . هبط منها ثلاثة رجال شاهرين مسدساتهم وتقدموا نحوه . .

وصاح « بكر » فيهم . .

– من أنتم . . ؟

فأجابه أحدهم :

– من الخير لك ألا تقاوم .

وأحس « بكر » فى نفس اللحظة بفوهة مسدس الرجل الأول تزداد التصاقاً بظهره . . قال بصوت بذل جهداً كبيراً لكى يدعه يبدو هادئاً :

– ماذا تريدون ؟

فجاءه صوت أحدهم يقول :

– نريد أن تأتى معنا .

– ولمــاذا ؟

– لتكون رهينة .

– رهينـــة ؟

– نعم . . وسوف نفرج عنك بمجرد إطلاق سراح المنزلاوى .

فصاح « بكر » .

– يا لكم من مجانين . . أتظنون أن الحكومة تقبل شرطاً سخيفاً كهذا ؟

– إذا لم تقبل الحكومة شرطنا قتلناك .

فقال بثبات :

– ألا تدرون أن قتل أحد رجال البوليس جريمة كبيرة لا يمكن أن تمضى بغير عقاب .

– ونحن لا نستطيع أن ندع تدخلك فى شئوننا يمضى بغير عقاب .

– إذن سأقاومكم .

فقال أحد الرجال بلهجة رهيبة :

– إنك تتحدى الموت يا رجل .

وأحس « بكر » للمرة الثانية بفوهة المسدس تزداد التصاقاً . . بظهره . وقال الرجل :

– لا داعى للمقاومة ، تعال معنا فى هدوء إلى سيارتنا .

– وسيارتى .

– سيقودها أحدنا إلى حيث سنذهب بك .

– وأين ستذهبون بى .

– إلى مكان أمين . . فلا تخف .

– ومن قال لكم إننى خائف . . سأعرف كيف أحاسبكم على هذا حساباً عسيراً .

– حسناً . . هيا بنا .

وبعد لحظات انطلقت بهم السيارتان تطويان المسافات بسرعة مخيفة . . وظلت السيارتان تشقان الطرق الوعرة بهذه السرعة الجنونية إلى أن توقفتا أخيراً أمام كوخ منعزل كالأكواخ التى ينام فيها الرعاة الذين يرعون الأغنام والمعيز على التلال والأماكن المرتفعة . . كان الكوخ صغيراً منخفضاً بنى من صخور غير مهذبة وبه أكوام من الحجارة والتراب . . وعندما هبط الرجال دفعوا « بكر » أمامهم وفجأة انقضوا عليه من كل ناحية فقاومهم وصارعهم ولكنهم تغلبوا عليه فى النهاية وأوثقوا يديه بالحبال ثم تركوه فى حراسة الرجل العملاق ومضوا إلى شأنهم . .

وفى صباح اليوم التالى دق جرس التليفون فى إدارة المباحث فنهض أحد الضباط وتناول السماعة وقال :

– آلو . . أنا الضابط عصام . .

وأصغى وما لبث أن ظهرت على وجهه دلائل الاهتمام الشديد وهتف :

– تقول إنكم أخذتموه رهينة .. اصغ إلى .. يجب أن تطلقوا سراحه فى الحال وإلا فالويل لكم .

ثم وضع السماعة ورآه زملاؤه جامداً فى مكانه بعد أن وضع السماعة .. فسأله أحدهم :

– ما الخبر ؟

فأجابهم فى تجهم :

– عصابة المنزلاوى اختطفت الرائد « بكر » وقررت الاحتفاظ به كرهينة إلى أن يتم إطلاق سراح المنزلاوى ، سأتصل فوراً بالمدير . .

وما هى إلا لحظات حتى انتشر الخبر فى مديرية الأمن واشتد فيها على أثر ذلك النشاط وكثرت الحركة حتى بدت كخلية النحل . . وبدأ مساعد مدير الأمن عمله على الفور . . فعقد مؤتمراً من ضباط الشرطة ، وقضى معهم ساعة فى وضع خطة محكمة لإغلاق الطرق وتفتيش السيارات والقطارات ومحاصرة المنطقة كلها بطريقة تقطع السبيل على الخاطفين .

وقضى رجال البوليس عدة أيام فى البحث والتنقيب عن الرائد « بكر » ولكنهم لم يتمكنوا من العثور عليه وضاعت سدى كل الجهود التى بذلوها فى هذا السبيل .

وتلقى فندق « العزلة » نبأ اختطاف « بكر » بدهشة بالغة وكان وقع الخبر على « فيروز » بصفة خاصة أليماً وقضت أيامها ولياليها فى حزن عابس وترقب مضطرب ، وهمّ مقيم ، ولما علمت بأن جهود البوليس لم تسفر عن أية نتيجة ثارت فى نفسها شجون وأحزان امتلأ بها قلبها وغرق فيها عقلها وضميرها ،

والتبست لها الأمور على نفسها .

وذات يوم بينما كانت « فيروز » جالسة وفى وجهها كالعادة أمارات الحزن أقبل عليها الدكتور « شعيب » ومعه « براون » . . ووضع « شعيب » يده على كتفها فى رفق وقال فى صوت عطوف .

– هيا يا فيروز . . انفضى عنك حزنك ولا تستسلمى لليأس . . إنى أعلم أن الصدمة قوية . . ولكن عليك أن تشغلى نفسك بما يخفف عنك آلامك . .

فهزت كتفيها باستخفاف وقالت :

– ليس لدى ما أفعله :

فقال لها « براون » :

– حاولى أن تشغلى نفسك بأى شيء إلى أن يعود إليك « بكر » إن شاء الله .

فقالت فى نبرة كاسفة :

– أتعتقد أنه سيعود .

فأجابها فى عطف :

– إنى موقن من ذلك . . لأن المجرمين لن يجرءوا على قتل ضابط فى مثل هذه الظروف . . هذا إحساسى العام .

فقالت له :

– حسناً . . سأحاول أن أجد وسيلة أشغل بها وقتى .

– هذا خير ماتفعلين .

وتركاها ومضيا إلى الكابينة الخاصة « بشعيب » وجلسا إلى مائدة صغيرة يتجاذبان أطراف الحديث . . وكان « براون » البادئ بالكلام . . قال :

– مسكينة « فيروز » . . لشد ما أنا حزين لحالتها .

– إنها لا شك فتاة منكودة الحظ . . كم أرثى لقلبها المسكين .

وسكت برهة ثم استطرد :

– لقد تعبت كثيراً فى البحث عن الروح التى تعانق روحها . . والقلب الذى يخفق مع قلبها . . حتى إذا ظننت أنها وجدت ضالتها تبخر كل شىء فى الهواء .

فتنهد « براون » تنهيدة عميقة وقال :

– هذه حال الدنيا . . لا يستقر أمرها أبداً على حال . . وهذا ما تعودت أن أفكر فيه بغير انقطاع . . وكلما فكرت فيه طالعتنى فكرتى الثابتة عن الغرض من هذه الحياة .

– وما هو الغرض من الحياة فى نظرك ؟

– الغرض منها هو السمو بالنفس على نحو ما يريد الله من كمال ولكن أكثر الناس لا يعقلون . .

فنظر إليه نظرة تنطوى على الإعجاب وقال :

– يالك من فيلسوف بارع . . هذه العبارة الوجيزة تدل على أنك من العباقرة القلائل الذين تفطن بهم الإنسانية إلى سر وجودها .

– العفو يا صديقى . ما أنا إلا إنسان عادى فطر على البحث عن الحقيقة .

– وهل كنت كذلك فى شبابك ؟

– نعم . . كنت دائماً مستغرقاً فى هذا التفكير .

– ألم تساورك فى يوم من الأيام هواجس الشباب وأحلامه ؟

– بالطبع كانت تتوزع فؤادى هذه الهواجس ولكنى لم أفرط يوماً فى جنب الفضيلة أو أستسلم إلى الرذيلة ثم جمعت عزمى على الورع والطهر والعفة وعلى أن

آخذ نفسي بالجد وبكل ما هو شريف من الأمور ونجحت فى ذلك على طول الخط .

وانتقل بهما الكلام بعد ذلك إلى الحديث عن « فضيلة » فقال « شعيب » :

– من المتعذر على أن أذكر لك بترتيب منطقى أجمل صفاتها . . يستحيل على أن أصف كمالها . وبحسبك أن تعلم أنها ملكت على لبى وفتنت على كل حواسى .

– إن جميع من فى الفندق يتحدثون عنها بإعجاب ويطرون أخلاقها وفضائلها ، إنها بحق اسم على مسمى .

– لا شك فى أنها من أكمل الفتيات . . والواقع أن لا مطمع لى فى الحياة إلا أن أوفر لها أسباب السعادة وأعجل بالزواج منها .

– وما الذى يدعوك إلى التباطؤ فى إتمام الزواج .

– أبحاثى . . لدى أبحاث هامة يجب أولاً أن أفرغ منها .

– ماذا . . هل التفكير فى الأبحاث أهم من التفكير فى الزواج ممن تحب . .

– إنها أبحاث هامة كما قلت لك .

– ومتى تنوى الفراغ منها ؟

– قريباً . . قريباً جدًّا . . لقد طرأت على ذهنى أفكار ستؤدى إلى اختصار الوقت والجهد ، وسيؤدى هذا بالتالى إلى الإسراع فى إتمام الزواج .

– حسناً يا صديقى . . أتمنى لك كل توفيق .

وبعد ذلك بأسبوع انعقدت المحكمة فى جو يسوده التوتر الشديد وأصدرت حكمها بمعاقبة «المنزلاوى» وأعوانه بالأشغال الشاقة المؤبدة كما أصدرت حكمها بمعاقبة «إيهاب» بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات عن تهمة التحرض على قتل الدكتور «شعيب» .

الفصل السادس عشر

وبعد صدور الحكم امتلأ قلب «فيروز» قلقاً وجزعاً على مصير «بكر» ولما استبد بها القلق ذهبت يوماً إلى مديرية الأمن للاستفسار عنه . . واستقبلها مدير الأمن بترحاب شديد وبعد أن أصغى إلى حديثها باهتمام قال لها :

– هوني عليك يا آنستي . . وثقي أنهم لن يجسروا على أن يمسوه بأذى لأنهم يعرفون جيداً ما سوف يحيق بهم إذا أقدموا على ذلك .

فسألته والدموع فى عينيها :

– أمازال هناك أمل فى العثور عليه ؟

– إننا لم نقطع الأمل أبداً . . إننا مازلنا نبحث وكلنا أمل فى العثور عليه سالماً والقبض على المجرمين ، هذا إذا لم يتغلب هو بنفسه عليهم ويعود إلينا منتصراً .

فسألته بصوت خافت :

-أتظن أنه يستطيع ذلك بمفرده .

– بل أؤكده . . لأننى أعرفه . . إنه ضابط قوى ماهر يعرف كيف يتخلص من المآزق فحاولى أن تتذرعى بالصبر .

– الواقع أننى شديدة القلق عليه .

– لا عليك يا آنستى . . إننى أفهم شعورك وألتمس لك كل العذر ، ولكن حاولى ألا تشغلى بالك كثيراً بهذا الموضوع لأننى مازلت أومن بأن العناية الإلهية التى كلأت « بكر » فى كل المخاطر الماضية سوف لا تتخلى عنه هذه المرة .

فأجابته وعلى شفتيها ابتسامة حزينة :

– أرجو ذلك من كل قلبى .

وبعد هذا اللقاء أخذت « فيروز » تتسلى عن القلق وتتعزى عن الحزن بالانهماك فى العمل ومشاغله المتصلة ، واستطاعت بذلك أن تمضى فى الحياة مع الموظفين والنزلاء بوجه يظهر التجلد . وذات يوم اقترب منها « علوى » وقال لها :

– معذرة يا فيروز . . أترين هذا الرجل الذى يجلس منزوياً هناك .

فنظرت إلى حيث أشار وعندئذ رأت رجلاً ممتلئ الجسم ، براق العينين ، تبدو على وجهه دلائل الصرامة والصلابة . . وفكرت « فيروز » قليلاً ثم قالت :

– إننى لم أره من قبل ؟

– لقد حضر منذ أيام قليلة .

– وما خطبه ؟

– إن تصرفاته أهاجت ريبتى .

– وما هى هذه التصرفات ؟

– إنه يجلس هكذا طول ساعات النهار لا همّ له إلا أن يتصفح وجوه النزلاء . . أما فى الليل فإنه لا يكل ولا يمل من التجوال فى المنطقة حتى إذا أعياه

المشى عاد فى ساعة متأخرة إلى غرفته لا لينام ولكن ليظل ساهراً بجوار النافذة .

– هذا شىء غريب حقاً .

– هلا تأملت صرامة وجهه ، إن له نظرات ثاقبة تميزه عن غيره من الضيوف .

– ليست الصرامة دليلاً على الشر على أية حال ، كثيراً ما تخدعنا المظاهر .

– معك حق .

– ما اسمه ؟

– مازن عبد الخالق .

– ومهنته ؟

– رجل أعمال .

– مادام الأمر كذلك فلابد أن فى الأمر مشكلة يكدح الآن ذهنه فى حلها .

– جائز . . على أية حال سأحاول أن أشبع فضولى .

– ماذا تعنى ؟

– سأحاول أن أتعرف به .

وبعد ساعة احتال « علوى » على الأمر أثناء طوافه بين الموائد فاقترب من مائدة الرجل . . وقال له :

– أتسمح لى بأن أجلس معك لحظة . .

ورفع الرجل عينيه إلى وجه « علوى » . . ولم يتفوه بكلمة واحدة . .

واستطرد « علوى » يقول :

– هل يضايقك أن أجلس معك ؟

وأفاق الرجل من خواطره وقال :

– لك أن تجلس إن شئت .

وسحب « علوى » مقعداً . . وجلس فى مواجهة الرجل الغريب .

وأومأ « علوى » إلى الجرسون وطلب كوبين من العصير . . قدم أحدهما إلى الرجل الغريب وهو يقول :

– هل تحب أن نتعارف . . إننى أدعى « علوى » المشرف على إدارة الفندق .

وتطلع إليه الرجل صامتاً . . ثم تناول كوب العصير من اليد الممدودة إليه وقال :

– شكراً لك . . إن اسمى مازن عبد الخالق .

وسأله « علوى » بضعة أسئلة عن عمله وعن المدينة التى جاء منها . . وعن المدة التى سيقضيها فى الفندق . . وجعل الرجل يلتى إلى « علوى » بإجابات مقتضبة .

وقال له « علوى » . .

– لقد لاحظت أنك تميل إلى العزلة وتنفر من مخالطة الناس . . أليس الأمر كذلك ؟

– نعم . . ومن أجل ذلك جئت إلى فندق العزلة .

– لاشك أنك أصبت بخيبة أمل كبيرة بعد أن تغيرت الأوضاع فيه .

– كلا . . إنه فى نظرى يتمتع بمزايا عديدة وأهمها حرص إدارته على راحة ضيوفه ولعل مجيئك الآن للتعرف بى خير دليل على ذلك .

فابتسم « علوى » وقال :

– أشكرك . . الواقع أننى لاحظت منذ حضورك أنك شديد التجهم والقلق وهذا ما حملنى على أن أحضر إليك لأجلس إلى مائدتك . .

وهنا وقع بصر « علوى » على الدكتور « شعيب » يسير ببطء فى اتجاه البهو فتطلع إلى الرجل وقال له :

– هذا هو الدكتور « شعيب » عالم الكيمياء الشهير ، هل سمعت به ؟

– نعم . . لقد سمعت كثيراً عنه .

– أتحب أن تتعرف به ؟

– طبعاً . . طبعاً . .

– إنه متحدث لبق . .

– إذن يسعدنى أن أتبادل الحديث معه .

– لاشك أن الحديث معه يهون على المرء أى ضيق يشعر به وعندها يصفو ذهنه ويتسنى له أن يفكر فى مشاكله تفكيراً سليماً . .

– حسناً جداً . . . إنها دون شك فرصة سعيدة . .

وعندئذ نهض « علوى » ونادى الدكتور « شعيب » فالتفت إليه ثم أحنى رأسه مبتسماً واتجه ناحيتهما ، وبادر « علوى » بتقديم كل منهما إلى الآخر . . وبعد قليل كان ثلاثتهم يتجاذبون أطراف الحديث فى مودة ظاهرة ، وسأله « شعيب » :

– أهذه أول مرة تأتى فيها إلى فندق العزلة ؟

– نعم . .

– ولماذا لم تتردد عليه قبل الآن .

– لأن لدى من المشاغل فى القاهرة ما يصرفنى عن هذه المسرات .

– وهل تسمى هذه مسرات ؟

– إننى أعتبرها كذلك ولكنها فى نظرى مسرات بريئة . . وأنت هل تأتى إلى هنا كثيراً ؟

– نعم . .

– بقصد اللهو والتسلية .

– كلا . . بقصد البحث والدراسة . . إن عقلى لا ينشط إلا هنا .

وسكت الرجل لحظة ثم قال :

– هل تشرفنى الليلة بتناول العشاء معى احتفالاً بهذا التعارف ؟

– إن ذلك يسعدنى .

ولم تكد تمضى ساعة حتى كان الرجل وشعيب يأكلان ويتسامران ، وكانت هذه الليلة من أسعد الليالى التى مرت « بشعيب » إذ شعر فيها بأنه كسب صديقاً جديداً يعتز بصداقته .

غير أن هذه السعادة لم يقدر لها أن تدم طويلاً . . ففى الليلة التالية بينما كان « شعيب » عائداً إلى الفندق بعد جولة على الشاطئ فى الظلام شعر فجأة بأن هناك من يتعقبه . . لم ينظر وراءه . . ولكنه سمع وقع الأقدام الثقيلة التى تسير وراءه . . وأراد أن يستوثق . . فوقف بغتة . . وتظاهر بإصلاح رباط حذائه . . وعلى الفور تلاشى صوت الأقدام التى كانت تتعقبه . . وعندما استأنف السير . . سمع وقع تلك الأقدام مرة أخرى . . ولكى يقطع الشك باليقين أوسع الخطى على سبيل الاختبار . . فزادت سرعة الأقدام التى تتعقبه . . وحينئذ لم يبق لديه شك فى أن هناك من يطارده .

وكان الظلام حالكاً والطريق مقفراً من السابلة . . وبعد قليل سمع « شعيب » خطوات مطاردة تقترب منه فأسرع إلى أول منحنى صادفه . . وتوارى فيه . . وراح ينصت وهو يلهث من الخوف . . وفجأة أحس بفوهة مسدس تلتصق بظهره . . وسمع صوتاً يقول :

– سر أمامى . . وإياك أن تأتى بحركة مفاجئة وإلا ألهبت رأسك .

ولم يستطع «شعيب» أن يتبين وجه الرجل لأنه كان ملثماً وإن بدا له لأول وهلة أن هذا الصوت ليس غريباً عنه . . قال له بصوت يرتجف :

– من أنت ؟ وماذا تريد ؟

– ليس هذا شأنك سر فى هدوء أمامى .

ثم دفعه أمامه وهو يقول :

– إذا أردت السلامة فيجب أن تأخذ بنصيحتى

– وما هى نصيحتك

– هى أن تمتثل لكل ما آمرك به .

– ولكن ما معنى كل هذا ؟

– ستعرف كل شىء بعد قليل .

-- ولكن من أنت . . يخيل إلى أنك لست غريباً عنى رغم محاولتك تغيير صوتك .

فأجابه منتهراً :

– كفى كلاماً قلت لك .

– ألا أستطيع أن أعرف نواياك ؟

– بعد قليل ستعرف نواياى . . والآن الزم الصمت وامض أمامى فى سكون تام .

وبعد دقائق من السير الحثيث أمره الرجل بالوقوف . . وقال له بصوت أجش .

– ها قد وصلنا .

فقال «شعيب» فى دهشة :

– ما هذا ؟

فأجابه مقتضباً :

– هذا كوخى . .

فقال والرعدة تسرى فى أوصاله :

– هذا لا يمكن أن يكون كوخك . . هذا كوخ . .

ولم يتم عبارته . . فما كاد الرجل يواجهه حتى اختنق صوته وجحظت عيناه من شدة الدهشة والجزع . . ثم هتف :

– رباه . . من أرى . . الأستاذ براون ؟ ؟

فأجابه الرجل :

– نعم يا صديقى . . الأستاذ «براون» بلحمه ودمه . . تفضل بالدخول .

وعندما دلفا إلى الداخل قال له «براون» وهو يدعوه إلى الجلوس فوق صندوق خشبى يتوسط الكوخ :

– اعتبر نفسك فى دارك يادكتور «شعيب» .

ومرت لحظة من الصمت . . وفجأة انفجر «شعيب» ضاحكاً وهو يقول :

– يالها من دعابة بارعة ، لقد كدت أصدق أن الأمر جد وليس مزاحاً .

فأجابه فى لهجة جادة :

– ومن قال إننى أمزح .

فقال له شعيب :

– براون . . كفى . . أرجوك أن تكف عن هذا المزاح .

فأجابه فى حزم :

– قلت لك إننى لا أمزح ، إننى جاد كل الجد .

فنظر إليه نظرة تنطوى على العتاب وقال :

– براون . . إنك لست لطيفاً هذه الليلة . . كيف تمادى فى المزاح إلى هذا الحد وعهدى بك أنك لا تميل إلى المزاح .

فأجابه فى شىء من الحدة :

– اصغ إلى جيداً . . بعد قليل سأضعك فى هذا الصندوق تمهيداً لترحيلك .

فقال ضاحكاً :

– ترحيلى إلى أين ؟

– إلى إسرائيل ، لدى أوامر من المخابرات الإسرائيلية باختطافك .

فانتفض «شعيب» من مكانه وقال فى هلع :

– ماذا . . أتريد أن تقول إنك عميل إسرائيلى .

فأجابه فى هدوء وهو يلوح بمسدسه فى وجهه :

– نعم . . أنا عميل إسرائيلى يادكتور «شعيب» .

فقال وهو يحملق فى وجهه من فرط الدهشة :

– ياإلهى . . وكيف لم نفطن إلى ذلك طوال هذه المدة .

– أولى بك أن توجه هذا السؤال إلى نفسك .

– وأى سبب يدعوك للتجسس لحساب إسرائيل وأنت مستشرق ثرى له مكانته فى المجتمع .

فأجابه فى تؤدة :

– أنا لست مستشرقاً كما أننى لست رجلاً غنياً .

– إذن من تكون ؟

- أنا رجل بولندى ملحد أدعى بول مارتن .
- ملحد ! !
- نعم . .
- ومهنتك الأصلية . .
- أحد المرتزقة الأجانب الذين يسعون إلى الحصول على المال من أى سبيل .
- إذن من أين جاءتك ثقافتك الواسعة المتميزة ؟
- إننى رجل جامعى وقد نميت ثقافتى بالقراءة والتجوال فى العالم .
- وعن هذا الطريق استطعت أن تخدعنا بأحاديثك الساحرة وعباراتك المنمقة المؤثرة

فقال ساخراً . .

- وهل كان ذنبى أنكم افتتنتم بى وأخذتم أقوالى قضية مسلمة .
- حقاً ماكان أغبانا حين صدقنا أقوالك دون تدقيق أو تمحيص .

ثم حل صمت ثقيل قطعه «مارتن» بقوله :

- ألديك أسئلة أخرى ؟
- نعم . . أريد أن أسألك سؤالاً آخر .
- سل مابدالك .
- لماذا كرست نفسك لهذه الأعمال التى يأباها الخلق والشرف والضمير ؟

فهز الجاسوس رأسه استخفافاً وقال :

- لسبب بسيط وهو أننى لا أومن بهذه الأشياء . . المصلحة عندى قبل كل شىء ، هذا كل ما فى الأمر .
- لا عجب أن يصدر هذا من رجل باع نفسه للشيطان مثلك .

– ليكن . . هل لديك أسئلة أخرى ؟

– نعم ، هل تعلم لماذا حرضتك إسرائيل على اختطافى .

– طبعاً . . لقد كانت إسرائيل تعلم عن طريق أحد علمائها فى أمريكا أنك على وشك أن تخترع سلاحاً كيميائياً رهيباً وقد تأكدت من ذلك بعد أن فحص علماؤها محتويات الحقيبة .

فحملق فى وجهه مبهوتاً وقال :

– إذن فقد كنت أنت الشخص الذى سرق حقيبتى .

– نعم ، وأنا الذى أعدتها بعد أن صورت محتوياتها بالميكروفيلم لكى تستمر فى أبحاثك ، ولما طال انتظارنا لنتيجة أبحاثك أرسلت إلىّ المخابرات الإسرائيلية إشارة لاسلكية طلبت منى فيها اختطافك وترحيلك إلى إسرائيل ليحملوك بالتهديد أو الترغيب على الإفضاء إليهم بسر اختراعك .

– فهمت . . والآن هل لى أن أقدم إليك نصيحة .

– إننى لا أكره شيئاً كما أكره النصائح . . ومع ذلك فماذا تريد أن تقول .

– أريد أن تتخلى عن هذه المغامرة وتمضى بقية أيامك شريفاً .

– كلا . . لن أترك هذه المغامرة مهما كلفنى الأمر .

– لماذا ؟

– لأن نجاحى هذه المرة سيجعل لى المكانة الأولى بين جواسيس إسرائيل .

– وهل هذه السمعة مما تشرف صاحبها ؟ يخيل إلىّ يا براون أنك لا تقول ما تعتقد .

فأخذ « براون » يحك ذقنه ويضرب حذاءه بقبضة مسدسه ، ثم قال :

– اصغ إلىّ يادكتور . . إننى لا أرغب فى أن أجادلك فى الشئون الأخلاقية

أو السياسية أو الاجتماعية فليس هذا وقته ولكن يكفى أن أقول لك إن مصلحتى أفضل عندى من المبادئ ، والأشخاص الذين تجردوا من المبادئ أفضل عندى من أصحاب المبادئ .

فأظلم وجه «شعيب» وقال فى امتعاض شديد :

– ياللعجب ؟ ؟ أيصدر هذا الكلام من الرجل الذى سبق أن قال إن الغرض من الحياة هو العمل على إسعاد الناس والسمو بالنفس على نحو ما يريد الله من كمال .

– لقد ذكرت ما ذكرت بقصد التأثير عليكم ، أما الحقيقة فهى أننى لا أهتم بشىء سوى إسعاد نفسى وما عدا ذلك فأمر لا يهمنى فى قليل أوكثير .

ثم أشعل عود ثقاب بحكه فى علبة صغيرة وأخذ يدخن سيجارته هادئ البال راضياً عن نفسه وكأنه لخص فلسفة الحياة فى جملة واحدة . .

وبعد لحظة صمت قصيرة قال براون وهو يتأمله ملياً :

– لن يتاح لمثلك بالطبع أن يقدر نظريتى لأنك لست خبيراً بالناس والحياة ولكن . .

فقاطعه «شعيب» بحدة :

– كفى ما قلته يابراون ، ولسوف تندم على نظريتك هذه أشد الندم فى يوم قريب .

– بل سأظل مؤمناً بها مادمت حياً لأننى أعرف فائدتها أكثر من غيرى ، أجل ياشعيب أكثر من غيرى .

– فصاح فيه «شعيب» فى نبرة غاضبة .

– اصمت . . . لا أحب أن أسمع منك كلمة أخرى بعد أن سقط القناع

وظهرت على حقيقتك ، ليتنى ما عرفتك .

وكان «شعيب» يتكلم ببطء شديد كأن كل كلمة تخرج من فمه تعصر فؤاده عصراً ، فاحتج «براون» على كلامه وهو يبتسم وقال فى هدوء :

– لا تعبس هكذا كأن فى الأمر شراً ، من أدراك أن معرفتك بى قد تفتح أمامك أبواباً رحيبة من السعادة والنعيم لا تطرأ لك على بال .

– ماذا تعنى بكلامك هذا ؟

– اسمع يا «شعيب» . . إن عالماً مثلك جدير بأن يحيا حياة أخرى غير الحياة التى تحياها فى مصر . .

فسأله متهكماً :

– وما عيب الحياة التى أحياها هنا .

– أقل ما يقال عنها أنها لا تليق بخبير عالمى مثلك . . إن البلد الوحيد الذى يصلح لك هو إسرائيل ، ستقيم فى قصر كبير ، وسيكون لديك معمل ضخم مجهز بأحدث الآلات هذا علاوة على الأموال الهائلة التى ستتدفق عليك .

فقطب «شعيب» جبينه عابساً وقال :

– أعيش فى إسرائيل . . إنك تهذى . . إن بلادى على ما فيها من عيوب أفضل من إسرائيل دولة العصابات ألف مرة . . أما المال الذى تحاول أن تغرينى به فعندى منه ما يسد حاجتى ويفيض . . وهذا يكفينى . . ويكفينى أننى لم أعرف الفقر فى حياتى . . ولم أكابد الحرمان . . ولذلك فما تعرضه علىَّ لا يستهوينى لأننى باختصار لست من طلاب المال .

فقال له «براون» :

– ومعنى ذلك أنك ستظل راكداً تعيش كما يعيش غيرك من الموظفين الذين

يتقاضون مرتبات هزيلة من الدولة إلى أن تحال إلى المعاش . . هذا هو الحظ الذى ينتظرك . . أولى بك يارجل أن تكون أكثر تعقلاً .

فرماه « شعيب » بنظرة شذراء وقال :

– لا تتعب نفسك يابراون . . إننى أفضل أن أموت على أن أخون وطنى .

فأجابه « براون » بخشونة :

– إذن لا يبقى أمامى إلا تنفيذ الخطة التى وضعتها المخابرات الإسرائيلية لاختطافك .

وفى هذه اللحظة سمعا صوتاً صادراً من جهاز صغير فى ركن الغرفة وبحركة سريعة اتجه « براون » إلى الجهاز وربض إلى جانبه وأنصت ثم دون بضع كلمات فى ورقة صغيرة وبعد أن وضعها فى جيبه عاد إلى مكانه بالقرب من « شعيب » وقال له :

– بعد قليل ستصل السيارة ، ولا داعى لأن تخشى شيئاً . . فمادمت لا تبدى مقاومة فلن يتعرض لك أحد بسوء .

فنظر إليه « شعيب » نظرة شاردة وغمغم :

– ولكن هذه جريمة لن تمر بغير عقاب .

فأجابه باستخفاف :

– أتعرف كيف سيتم التنفيذ . . سنضعك فى هذا الصندوق حتى لا نثير الشبهات .

– ولكنى لن أسكت . . سوف أقاوم .

فقهقه ضاحكاً وقال :

– وماذا تجدى المقاومة مع وجود هذا المسدس .

فقال «شعيب» فى وجوم :

– هذا صحيح . . ولكنى سأقاوم بكل ما فىّ من قوة

فهز «براون» كتفيه وقال فى برود :

– أقدر شجاعتك . . ولكنى أعتقد أنه من الحماقة أن تبدى أية مقاومة .

– وما هى العملية التى تنوى أن تقوم بها . ؟

– إنها عملية جريئة ستجعل اسم المخابرات الإسرائيلية حديث العالم والصحف فى خلال أيام طويلة . . كما قلت لك سأقوم بتهريبك فى هذا الصندوق مع مجموعة من الأوراق والكتب حتى لا يرتاب أحد فى الأمر .

– ومن الذى سيسمح لك بهذا ؟

وفجأة تلقى «شعيب» ضربة على رأسه جعلته يترنح ويسقط على الأرض مغشياً عليه . . وبسرعة مضى «براون» إلى الجهاز اللاسلكى وأرسل إشارة إلى المخابرات الإسرائيلية ، ثم عاد وجثا إلى جانب جثة «شعيب» وأخذ يفحصه فى إمعان ثم تركه وتوجه إلى أحد الأدراج وأخرج منه علبة صغيرة بها حقنة تحتوى على سائل منوم حقن بها الدكتور «شعيب» وبعد أن اطمأن إلى أنه قد أصبح فى غيبوبة كاملة حمله ووضعه فى الصندوق . . وبعد أن فرغ من مهمته مشى إلى النافذة وأخذ يرهف السمع ويترقب فى لهفة وصول السيارة . . وفجأة فتح الباب بقوة واندفع إلى الداخل رجل وفى يده مسدس . . فذعر «براون» وصوب مسدسه إليه ولكن الرجل كان أسرع منه حركة فأطلق على يده رصاصة أسقطت المسدس من يده . . وصاح به :

– مكانك ولا تتحرك يا مارتن .

فأجابه مبهوتاً :

– إنني لا أدعى مارتن . . من أنت وما معنى هذا .

– لا داعى للإنكار يا مارتن . . أنا العقيد « مازن » من المخابرات المصرية .

فجمد فى مكانه من شدة الرعب ولكنه تماسك وقال :

– المخابرات المصرية ؟ ؟ وما الذى فعلته حتى تهتم بى المخابرات المصرية .

فقال فى تؤدة :

– لقد فعلت الكثير يامارتن . . سجلك حافل بعمليات التجسس . . أتظن أننا غافلون عن نشاطك على حدود السودان وهنا . . لقد تعقبتك فى كل مكان ذهبت إليه ولا أنكر أنك خدعتنى بتنكرك الأخير ولكنى استطعت أخيراً أن أصل إليك بفضل الإشارات اللاسلكية التى كنت تتبادلها مع المخابرات الإسرائيلية .

وفى خلال ذلك رأى « مازن » مارتن ينحنى بغتة ليتناول مسدسه بيده اليسرى غير المصابة فوثب عليه وابتدره بعدة لكمات قوية فى فكه وبطنه جعلته يتراجع بضع خطوات صارخاً من شدة الألم ، فتقدم منه « مازن » ووضع القيد الحديدى فى يده وهو يقول :

– كما فهمت من إشارتك الأخيرة ستصل السيارة بعد ساعة وهو وقت كاف لإنهاء بعض الإجراءات الضرورية ، والآن هيا بنا إلى الفندق فلا شك أن هناك أصدقاء يهمهم أن يروك قبل ترحيلك إلى القاهرة .

فتردد « مارتن » ولكن « مازن » وكزه بمسدسه وقال :

– هيا . . سر أمامى . . وكن رجلاً مؤدباً مطيعاً وإلا ألهبت رأسك . .

وسكت برهة ثم سأله :

– أين تليفونك ؟

فأشار إلى ركن بالغرفة حيث التليفون . . فدفعه « مازن » أمامه وأمسك

بالسماعة ومضى يتحدث فى التليفون :

– آلو . . إننى أريد التحدث إلى « علوى » . . أهذا أنت ياعزيزى . . اسمع . . إننى فى حاجة إليك . . احضر فوراً إلى كوخ « براون » ومعك بعض زملائك لنقل الدكتور « شعيب » إلى غرفته لإسعافه . . لا أستطيع أن أذكر لك التفاصيل الآن . . بعد لحظات ستعرفون كل شىء .

ورد السماعة إلى مكانها . . ثم انتظر حتى جاء « علوى » مع بعض العمال وتعاونوا جميعاً على حمل « شعيب » وهم يعجبون من منظر براون . .

وبعد ساعة اقتربت من مكان الكوخ سيارة محملة بالأسماك ووثب منها سائقها وانتشرت فى المكان على الفور رائحة الأسماك . . وأخذت قطرات الماء تنساب من الصناديق الخشبية المليئة بالأسماك وكتل الثلج . ومشى السائق بحذر حتى وصل إلى باب الكوخ . . وعندئذ توقف وهتف :

– مارتن . . أين أنت . ؟

وفى هذه اللحظة برز له « مازن » وقال له :

– مارتن ليس هنا . . لقد قبضنا عليه .

فتراجع الرجل خطوة إلى الوراء مذعوراً وقال فى هلع :

– من أنت : ؟

– أنا ضابط من المخابرات ومن الخير أن تسلم نفسك فى هدوء .

وسكت هنيهة ثم قال بصوت آمر :

– ابسط يدك أماماً .

ومد « مازن » يده إلى جيبه . . وتوقع الرجل أن يخرج مسدسه . . ولكنه لم يفعل ، وأخرج القيد الحديدى وراح يحركه فى يده ذات اليمين وذات اليسار

كبندول الساعة . . وبينما كان الضابط يبتسم ابتسامة الظفر . . وهو يرى أن الجهود المضنية التى بذلها خلال الشهور الأخيرة فى تعقب « مارتن » ومساعده وتضييق الخناق عليهما أخذت تؤتى ثمارها . . كان الرجل يفكر بسرعة فى طريقة للنجاة . . . وبسط يديه إلى الأمام كما أمره « مازن » أن يفعل . . وأخذ يتقدم ببطء حتى أصبح منه قيد خطوة . . ثم دفع يديه إلى الأمام بقوة . . وفوجئ « مازن » بهذه الحركة . وكانت الدفعة قوية بحيث جعلته يترنح فى مكانه ويوشك على السقوط . . وأطلق الرجل ساقيه للريح فى اتجاه الصحراء . . وما هى إلا لحظة حتى سمع دوى طلق نارى وأحس كأن سهماً قد اخترق ساقه فسقط على الأرض . . ولم يمهله « مازن » وأطلق رصاصة أخرى مرت بجوار رأسه وهنا جمع كل قوته . . ونهض واقفاً وواصل فراره نحو أشجار الزيتون . . ولما اقترب من حافة الأشجار نظر وراءه ليرى مكانه من الضابط . . وفعل ذلك فى ذات اللحظة التى أطلق فيها « مازن » الرصاصة الثالثة . . فأصيب الرجل فى بطنه . . وسقط على الأرض وهو يتلوى من الألم . . وأخذ الضابط يقترب منه فى بطء وحذر . . ومسدسه فى يده . . بينما تجلد الرجل ونهض واقفاً وهو يضغط بيده على مكان الرصاصة ، ليوقف النزيف ويخفف الألم ، وتوغل فى الأعشاب وتوارى وراء أشجار الزيتون وهو يعلم أن ذلك هو ملجأه الوحيد . . وأن الضابط إذا رآه أو لحق به بعد ذلك فسوف يرديه قتيلا بالرصاصة الرابعة . . وصل « مازن » إلى حافة أشجار الزيتون وهو لا يزال يمشى ويتلفت حوله فى حذر . . ثم توقف قليلاً وصاح بصوت ثاقب :

– أخرج من مخبئك . . تقدم وأعدك بألا أطلق الرصاص .

ولكنه لم يسمع جواباً . . وإنما سمع حركة خفيفة بين أشجار الزيتون . . فتقدم

إلى الأمام . . ثم رفع مسدسه وصوبه إلى مصدر الحركة وأطلق رصاصة . . وعلى أثر ذلك دوت صرخة مدوية . . وسمع الرجل يقول .

- لا تطلق الرصاص . . سأسلم نفسى .

فمضى إليه وأنهضه . . ثم وضع القيد الحديدى ، فى يديه . . وعاد به إلى الفندق وهو يكاد أن يحمله .

الفصل السابع عشر

وما كاد خبر إلقاء القبض على « براون » يصل إلى أسماع نزلاء الفندق وموظفيه حتى استولت عليهم دهشة بالغة ، وكانت « فيروز » و « فضيلة » أشد الجميع دهشة وذهولا وراحت كل واحدة منهما تخبط كفاً بكف وتصرخ :

– يا إلٓهى . . الأستاذ « براون » عميل إسرائيلى .

ثم تمط شفتيها وهى تردد بصوت خافت :

– كم جلس بيننا يتحدث فى السياسة والدين والأدب والأخلاق والاجتماع ونحن نستمع إليه مبهورين . . كم لعن إسرائيل وندد بأطماعها وجرائمها ونحن نؤمن على كلامه ونتطلع إليه مصدقين ومعجبين . .

وعندما قابلتا العقيد « مازن » وحدثتاه بمواقف « براون » منهما ومواقفهما منه . . قال لهما . .

– كل ما تحدث به « مارتن » إليكما ما هو إلا قناع من الأقنعة التى درب عملاء إسرائيل على ارتدائها للخداع والتعمية والتمويه . . فلقد استحدثت فى

السنوات الأخيرة طائفة من عملاء إسرائيل أعدت إعداداً خاصاً ورسمت لها أهدافها بكثير من المهارة والدقة . . لقد تعود العرب فى الماضى أن يعرفوا عملاء إسرائيل بمجرد التعرف عليهم أو الاستماع إليهم أو النظر إلى تصرفاتهم وقد تغيرت الصورة عن ذى قبل كما تغيرت أساليب العمالة . . لم يعد العميل هو فقط الذى يكتب التقارير السرية أو ينقل المعلومات إلى الجهات التى يعمل لديها ولم يعد العميل هو فقط الذى ينفذ علناً كل مخططات سادته بل أصبح أيضاً شيئاً آخر لم يألفه الناس . . إنه –مثلا– يلقى كل يوم الخطب العصماء التى يسب فيها إسرائيل ويدلى كل ساعة بالأحاديث التى يهاجم فيها أولياء نعمته . . ولكنه فى نفس الوقت ، يبذل كل ما يملك من جهود شاقة ومضنية لخدمة أهداف إسرائيل . . وهذا النوع هو أخطر أنواع العملاء وأقرب مثل على ذلك هو بول مارتن .

وسألته فضيلة :

– وكيف كشفتم أمره ؟

– لقد وصلتنا معلومات من مصادرنا تفيد بأن إسرائيل أوفدته إلى مصر والسودان لإثارة القلاقل ، على حدودهما ، وعهدت إلىَّ المخابرات المصرية بمراقبته وتعقبه وكدت ألقى القبض عليه متلبساً على الحدود ولكنه أفلت منى واختفى ليظهر فجأة فى هذه المنطقة ، وقد استطعت أخيرا أن أهتدى إليه عن طريق التقاط بعض الإشارات اللاسلكية التى كان يتبادلها مع المخابرات الإسرائيلية .

فسألته فيروز :

– إذن فأنت لا تعرف بالضبط سر اهتمامهم بالدكتور « شعيب » ؟

– لا أعرف على وجه اليقين ولكن بوسعى أن أخمن –

فقالت فضيلة :

– وما الذى تستطيع أن تخمنه ؟

– أفضل أن نرجئ الكلام فى هذا الموضوع ريثما يفيق الدكتور من إغمائه ، وبالمناسبة هل فحصه أحد الأطباء ؟

– نعم . . هناك طبيب يعنى الآن بأمره –

– حسناً . . أرجو أن تخبروا الطبيب بأننى أرغب فى التحدث مع الدكتور « شعيب » حالما يعود إلى رشده .

وكان من حسن حظ الدكتور « شعيب » أن إصابته لم تكن بالغة . . فأصبح العلاج بذلك سهلاً ميسوراً . . فلو أن عظام الرأس تهشمت لكان الموقف مختلفاً ولكانت الإصابة بالغة السوء . . وتولى علاجه طبيب متقدم فى السن من نزلاء الفندق اشتهر بين الجميع بالعطف والرقة والدقة والبراعة فى عمله . .

وعندما أفاق الدكتور « شعيب » من إغمائه قال له الطبيب :

– الحمد لله . . هيه . . كيف تشعر الآن –

– إننى أشعر بألم شديد فى رأسى –

– سوف يزول ما بك بعد ساعات قليلة –

وجرهما الحديث بعد ذلك إلى الكلام عن الحادث فقال الطبيب :

– لقد بلغنى أن العقيد « مازن » قام بعمل بطولى رائع . . هاجم الجاسوس المسلح بمفرده وأنقذك منه –

وكان ينظر إليه فى دهشة فلما فرغ من عبارته ساله :

– أتقول إن « مازن » هو الذى أنقذنى !

– نعم . .

— وهل هو عقيد فى البوليس ؟

— كلا . . إنه عقيد فى المخابرات المصرية

— ولكنه أخبرنى أنه من رجال الأعمال .

— ربما لم يشأ أن يكشف عن هويته . .

— هذا شىء غريب حقًّا . . على كل حال أنا مدين له بحياتى ، بالمناسبة هل إصابتى خطيرة .

— لحسن الحظ ليست الإصابة شديدة ويمكنك أن تغادر فراشك بعد يومين على الأكثر .

وفى هذه اللحظة سمعا نقرات خفيفة على الباب . . ثم فتح الباب ودخل العقيد « مازن » . . وابتدر « مازن » الدكتور « شعيب » بقوله :

— هيه . . كيف حالك الآن ؟

— بخير والحمد لله . إننى لا أعرف كيف أشكرك . . إنك أنقذت حياتى وأرجو أن أتمكن يوما من رد جميلك .

فقال وهو يجلس بجوار فراشه :

— علام الشكر . . إننى لم أفعل سوى الواجب .

وهنا استأذن منهما الطبيب وانصرف ليشرف على علاج الجاسوسين قبل نقلهما إلى المستشفى وبعد خروجه التفت « شعيب » إلى « مازن » وسأله :

— هل قبضتم على « مارتن » ؟

— نعم . . وقبضنا على مساعده أيضاً —

— ومن يكون مساعده ؟

— موظف مصرى للأسف الشديد —

– وماذا كانا ينوبان عمله ؟

– كانا ينويان نقلك فى سيارة معدة لنقل الأسماك .

– بعد وضعى فى الصندوق ؟

– تماماً .

– هل كنت تعلم بتفاصيل الخطة التى رسمت لاختطافى وترحيلى إلى إسرائيل !

– كلا . . ولكنى اشتبهت فى الأمر بعد التقاط الإشارات اللاسلكية التى كان «مارتن» يتبادلها مع المخابرات الإسرائيلية .

– إذن فأنت لا تعرف سر اهتمامهم بى ؟

– كلا . . لقد كنت أبحث عن «مارتن» عندما جاء فى أول الأمر للتجسس على قواتنا المسلحة وإثارة القلائل على حدود مصر والسودان . . ثم اختفى ولم أستطع أن أهتدى إليه إلا بعد أن ظهر هنا . . أما سر اهتمامهم بك فإننى لا أعرفه وإن كان اسمك قد ورد عدة مرات فى إشاراتهم اللاسلكية ولهذا يهمنى جداً أن تطلعنى عليه فقد يلقى ذلك شيئاً من الضوء على الغموض الذى يحيط بموضوعك .

– فأحنى «شعيب» رأسه وقال :

– إنها قصة طويلة .

– إذن حدثنى بما لديك فقد أستطيع مساعدتك وقد تستطيع فى الوقت نفسه مساعدتنا فإن الأمور بيننا وبين مخابرات إسرائيل تبدو منذ أشهر محتدمة وتحتاج إلى تعاون المواطنين معنا بكل صدق وإخلاص .

وحفز هذا الكلام الدكتور «شعيب» إلى الإفضاء إليه بسره فصمت قليلا ثم

راح يقص عليه قصته بكل تفصيلاتها ودقائقها وحين فرغ من سردها تطلع إليه « مازن » وقال له :

– هذا شىء غريب حقًّا . . لا شك أنك تعرضت لمتاعب كثيرة –

فقال « شعيب » فى حزن :

– هذه إحدى نكبات الشهرة –

– هذا صحيح . . ولكنى أعتقد أنك أخطأت بإخفاء الأمر عنا –

– لو أنى كنت أعلم أن هذا سيحدث لى لكاشفتكم بسرى من أول الأمر ولكننى لم أشأ أن أفعل ذلك مبالغة فى الكتمان حتى لا تتعثر أبحاثى لسبب أو لآخر .

– بالعكس . . لو أنك كاشفت الحكومة من أول الأمر لاتخذت العدة لحمايتك وتوفير كل أسباب الأمن لك .

– أنت على حق . . هذا هو الوضع الطبيعى . . وهذا ما سوف أفعله .

وفى هذه اللحظة طرق الباب ودخلت « فضيلة » وما إن وقع بصر « شعيب » عليها حتى أشرق وجهه وقال وعلى شفتيه ابتسامة وضيئة :

– أهلا . . وسهلا .

ثم قدمها إلى « مازن » قائلا :

– الآنسة فضيلة . . خطيبتى .

فقال « مازن » وهو يمد يده لمصافحتها :

– لقد تشرفت بمقابلتها منذ قليل . . لى عظيم الشرف أن أراك مرة ثانية يا آنسة « فضيلة » .

فأحنت رأسها وقالت مبتسمة :

– شكرا لك يا حضرة العقيد ؟

ثم التفتت إلى « شعيب » وقالت له :

– كيف حالك الآن .

– بخير والحمد لله .

– يجب أن تشكر العقيد « مازن » ، لقد قام بعمل بطولى رائع لإنقاذك .

– الواقع أننى مهما قلت فلن أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر .

فانبرى « مازن » يقول معترضاً فى لهجة رجاء :

– أرجو أن تثقوا بأننى لم أفعل شيئاً أستحق عليه الشكر . . فما فعلت سوى الواجب .

فقال « شعيب » :

– إنك أنقذت حياتى . .وهذا صنيع لن أنساه لك مادمت حيًّا .

– أى ضابط فى المخابرات . . كان لابد أن يفعل مثلما فعلت .

وجرهم الكلام بعد ذلك إلى الحديث عن الصراع الناشب بين المخابرات المصرية والمخابرات الإسرائيلية .

وقال « مازن » تعقيباً على سؤال وجهته إليه فضيلة :

– لقد انتصرنا عليهم فى مواطن كثيرة ولا شك أن سقوط « مارتن » فى أيدينا يعد ضربة معلم مخيبة لآمال المخابرات الإسرائيلية لأنه من أمهر وأبرع عملائهم ، وقد حاول عدة مرات إثارة البعض على حدود مصر والسودان إلا أن جميع محاولاته باءت بالفشل .

وبعد أن فرغوا من هذا الحديث طلبت « فضيله » مقابلة العميل المصرى لمعرفة الأسباب التى دفعته إلى سلوك هذا الطريق الآثم ، فاجابها « مازن » إلى

ما طلبت . . وتوجه معها إلى زيارة العميل فى الغرفة التى خصصت له . . .

ولما علم العميل بأن هناك من يرغب فى زيارته اكفهر وجهه وقال للطبيب فى صوت يشيع فيه الاضطراب :

— أرجوك يا دكتور . . إننى لا أريد أن أقابل أحداً من رجال الصحافة .

- ولكنهم ليسوا من رجال الصحافة . . إنها موظفة بالفندق وستحضر بصحبة العقيد « مازن » ..

— إذا كان الأمر كذلك فلا مانع .

وبعد لحظة فتح الباب ودخل « مازن » وفى إثره فضيلة وابتدر « مازن » الطبيب قائلا :

— كيف حاله الآن ؟

— حالته متوسطة .

— هل يمكن أن يحتمل السفر بعد ساعات قليلة إلى الإسكندرية .

— ذلك ممكن خاصة وأن حالته تحتاج إلى إجراء جراحة عاجلة .

وتأملت « فضيلة » العميل بنظرة شاردة وسألته . . وهى تجلس أمامه :

— ما اسمك ؟ وما قصتك ؟

— اسمى حسين عبد الرازق . . عمرى ٣٢ سنة . . مولود بالعريش . . وأعمل مدرسا بمدرسة خاصة بالإسكندرية . . . تلقيت تعليمى بمصر . . كنت موجوداً بالعريش عند ما جاء الاحتلال الإسرائيلى عام ١٩٦٧ . . ولكنى جئت بعدها إلى مصر للدراسة . . وانتهت مدة دراستى وعينت مدرسا إعداديًّا . . فتحت لى مصر وطنى ذراعها . . وعشت فيها وتزوجت من زميلة لى . . وأنجبنا ابنتنا الصغيرة . . وطنى لم يكن يستحق كل هذا منى . . ولكننى رأيت نفسى

مكبلا بخيوط الأخطبوط . . أو العنكبوت لست أدرى . . ولم أستطع الفكاك . . صدقتهم واستسلمت لهم . . واكتشفت بعد فوات الأوان أننى شربت السم بيدى . . أهلى يعيشون فى الأرض المحتلة . . أبى تاجر فى العريش . . تركتهم هناك وجئت إلى مصر أستكمل تعليمى . . كل هذا لم يغسل فى نفسى ذرات الشر والضعف والتردى . . ثم سافرت إلى الأرض المحتلة بعد ذلك عن طريق الصليب الأحمر . . إنه نظام متبع . الطلبة من الأراضى المحتلة يزورون أهاليهم فى الإجازة الصيفية ويعودون إلى مصر لمواصلة تعليمهم فى بداية العام الدراسى . . وفى أثناء ذلك وقعت فى حبائل الشيطان . . فى مقر الحاكم الإسرائيلى فى الأرض المحتلة وكانت زياراتى – قد تكررت – قابلت الضابط المختص بتجديد تصريح الإقامة الخاص بى عدة مرات . . فى المرة الأولى قابلنى متجهما . . وفى المرة الثانية انفرجت أساريره قليلا . . وفى المرة الثالثة بدأ يجاذبنى أطراف الحديث وهو يقدم لى الشاى والسجائر . . كان يمكن لى وأنا الشاب المتعلم أن أتبين هدفه منذ أول وهلة . . كان يسهل على أن أتبين السم قبل أن ألعقه . . ولكن المغريات التى لوح بها فى حديثه وضعت على عينى غمامة . . قال لى :

– الفلوس كالمطر ستنهمر عليك . . تصاريح الإقامة كما تشاء . . كل شىء هنا سيكون رهن إشارتك . . أبوك هنا وأهلك سينالون ما يشتهون . . إنك شاب لماح . . ذكى وسيم . . مثقف . . ونحن لا نريد إلا السلام وإلا التعايش فى هدوء . . نحن نحبكم ونحب كل العرب . ويبدو أنه وجد فى حسن استماعى مبررا لأن يعطينى موعداً آخر أقابل فيه شخصاً هامًّا . . وبعد أيام قابلت هذا الشخص فى مقر الحاكم العسكرى كان رجلا يشع منه الغموض . . ولكن ابتسامته اللزجة تسبق كلامه . . ولم يخدعنى أحد هذه المرة . . قدم إلى الرجل نفسه على أنه

ضابط فى المخابرات الإسرائيلية ودخل معى فى الموضوع مباشرة . . قال لى :

– إننا نريدك أن تكون رجلنا فى مصر . . كل ما عليك أن تفتح عينيك وأذنيك جيداً . . إنهم هناك يثرثرون فى كل مناسبة . . عليك أن تلتقط كل كلمة تقال فى الشارع أو النادى أو المقهى أو الترام . . افتح الموضوعات أمامهم ودعهم يتكلمون . . وأكثر من السفر بين القاهرة والاسكندرية ولاحظ كل شىء تراه . . ولا تهمل أى منظر . . ونحن سنعلمك كيف تلتقط عيناك أبسط الأشياء .

وعندما انتهى الضابط الإسرائيلى من كلامه وضع يده على كتفى . . ثم اصطحبنى إلى شقة فاخرة فى بئر سبع خاصة بالتدريب . . وهناك عشت أياماً أتدرب على الكتابة السرية باستخدام الكربون السرى . . وعلمونى أيضاً كيف أميز الأسلحة المصرية . . ودربونى على استقبال الرسائل البرقية عن طريق الراديو وكيف إستخدم الشفرة فى حل البرقيات اللاسلكية . . ويوم عودتى إلى مصر أعطونى حقيبة كبيرة وضعت فيها الأدوات التى سأستخدمها فى التجسس وهى الكربون السرى والكتاب الذى أستخدمه فى حل البرقيات الشفرية ووضعوا فى يدى ٥٠٠ جنيه مصرى وقال الضابط الإسرائيلى وهو يبتسم :

– هذه هى الدفعة الأولى . . افتح عينيك جيداً . . وأرسل إلينا كل شىء . . لا تستهن بأى كلمة تسمعها أو منظر تراه . . ولا تخف نحن وراءك . . إن الجن الأزرق لا يمكنه أن يهتدى إليك . . إننا نضمن لك السلامة ، وإذا اتبعت أوامرنا فلن يصل إليك أحد .

وعدت إلى مصر . . ورحت أتنقل بين القاهرة والإسكندرية . . كل شىء هادئ فى كل مكان . . إنهم هناك صادقون . . لا يمكن للجن الأزرق أن

يكشف شيئاً من أمرى . . هكذا كانت تدور الأفكار فى رأسى وأنا أبدأ مهمتى القذرة . . وأخذت أجمع الأخبار وما أسهل جمعها هنا فى مصر . . كل شخص تقابلينه وتثيرين معه موضوعاً يتبرع لك بالكلام فيه كأنه هو وحده العليم ببواطن الأمور . . وأكتب وأكتب . . والبرقيات اللاسلكية تصلنى عبر الراديو والترانزستور الذى له حساسية خاصة والذى أعطوه لى هناك . . وكانت البرقيات تقول لى :

– عظيم . . رائع . . استمر .

وتنقلت كثيراً عبر مدن مصر . . أجمع من هنا وهناك كلاماً ومناظر . . وأبادر بإرسالها إليهم . . .

وهكذا سارت الأمور إلى أن وقعت أخيراً فى قبضة العقيد « مازن » .

وعندما فرغ من رواية قصته قالت له « فضيلة » :

– ألم تراودك لحظة يقظة الضمير ؟

– أقول الحق . . ولا أدرى بماذا أقسم الآن وقد فقدت كل شىء . . إن لحظات من يقظة الضمير كانت أحياناً تشتمل كيانى كله . . ولكن سرعان ما كان الشيطان يذودها عنى وأعود إلى هذا الرجس من جديد . .

وعندما غادر « مازن » و« فضيلة » الغرفة قال لها :

– من هذا ترين أن مخابرات إسرائيل لا تهدأ فى محاولة جمع المعلومات عنا سواء المعلومات العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية ويمكن أن يتسبب أى واحد منا بحسن نية فى مساعدة إسرائيل على تحقيق أغراضها . . وذلك بإطلاق الكلام فى أى مكان دون حذر ، على أن هناك جانباً هاماً آخر وهو سفر الطلبة فى الصيف للعمل فى الخارج . . إننا ننصح ألا يسافر طالب إلى الخارج إلا ولديه عقد عمل مضمون فعلا . . وبدون ذلك فإن ما ينتظر أبناءنا فى الخارج يمكن أن يعرضهم

للتورط فى أقذر وأخطر جريمة وهى خيانة وطنهم .

– هب أن أحدهم تورط فى هذه الجريمة فهل يمكن إعفاؤه من العقوبة إذا أبلغكم عنها ؟

– هناك مادة فى القانون تعفى من العقوبة كل من أبلغ عن جريمة تجسس حتى إذا تورط فيها ونص هذه المادة هو : « يعفى من العقوبات المقررة للجرائم المشار إليها وهى « جرائم أمن الدولة » كل من بادر من الجناة بإبلاغ السلطات الإدارية أو القضائية قبل البدء فى تنفيذ الجريمة وقبل البدء فى التحقيق ويجوز للمحكمة الإعفاء من العقوبة إذا حصل البلاغ بعد إتمام الجريمة وقبل البدء فى التحقيق ويجوز لها ذلك إذا مكّن الجانى فى التحقيق السلطات من القبض على مرتكبى الجريمة الآخرين أو على مرتكبى جريمة أخرى مماثلة لها فى النوع أو الخطورة » .

وبعد دقائق قليلة جاءت إلى الفندق سيارات المخابرات وسيارات الإسعاف ثم عادت تذرع الطريق الطويل يسبقها نفيرها المدوى . . وفى داخلها الجرحى الثلاثة . . . الدكتور « شعيب » ليدلى بأقواله . . والجاسوسان لينالا جزاءهما العادل . .

وبعد ذهابهم تحول الطبيب العجوز إلى « فضيلة » وقال :

– شدة وزالت . . أرجو أن تنسيها .

فأجابته فى هدوء :

– سوف أفعل ذلك . . أما الآن فإننى لم أتمالك حواسى تماماً بعد .

– خير ما تفعلين هو أن تذهبى لتنالى قسطاً من النوم . .

– إننى فعلاً متعبة ولعل ذلك هو السبب فى أننى لم أحسن التعبير عن شكرى لك .

– وعلام الشكر ؟

– على عنايتك الفائقة بالدكتور « شعيب » فلولاك لساءت حالته كثيراً .

– إننى لم أفعل سوى الواجب ، أى طبيب فى مثل موقفى . . كان لابد أن يفعل مثلما فعلت ، الفضل فضل الله يا فضيلة .

وعندما ذهبت « فضيلة » إلى المكتب رأت « فيروز » تتحدث فى التليفون فى اهتمام واضح مما حمل « فضيلة » على أن تسألها :

– ماذا هناك يا فيروز ؟

فهتفت فى حماسة :

– أخبار سارة عن « بكر » يا فضيلة .

ثم مضت تتحدث فى التليفون :

– أشكرك . . أرجو أن توافينى بالتطورات أولا بأول .

وكانت « فضيلة » تنظر إليها بلهفة فلما فرغت من المكالمة أقبلت عليها وقد ارتسمت أمارات الاهتمام فى عينيها وسألتها :

– هل عثروا على بكر ؟

فهتفت مبهورة الأنفاس :

– نعم يا فضيلة . . أحد المخبرين اكتشف مخبأه . . وقد توجهت قوة من البوليس الآن لإنقاذه –

– ومن الذى أخبرك بذلك ؟

– أحد زملائه .

ورأت فيروز « شفتى » « فضيلة » تتحركان من دون أن يصدر عنهما صوت . .

فسألتها . . .

– أتقولين شيئا ؟

فأجابتها :

– إننى أبتهل إلى الله أن يعيده إلينا سالماً .

الفصل الثامن عشر

انطلقت سيارة البوليس صوب الكوخ الذى حدده المخبر تحمل مساعد مدير الأمن واثنين من الضباط وثلاثة مخبرين مدججين بالرشاشات والبنادق . . وقد ارتسمت على وجوههم جميعاً أمارات العزم والإثارة . . وفى أثناء سيرهم مال مساعد مدير الأمن إلى أحد الضباط وقال له :

– إنهم لن يفلتوا منا هذه المرة .

فأجابه الضابط :

– العجيب أننا مررنا بهذه المنطقة أكثر من مرة ولم يلفت هذا الكوخ انتباهنا .

– واستطرد–لابد أنه مبنى بطريقة لا تثير الانتباه .

فقال الرجل فى لهجة عتاب :

– أما كان الانتباه أولى ؟

– إنى آسف يا سيدى . . ومع ذلك فإنهم لن يستطيعوا الإفلات منا أبداً .

وبعد ساعة من السير الحثيث صاح أحد المخبرين فى انفعال وهو يشير بإصبعه إلى كوخ منخفض بين الرمال :

– هذا هو الكوخ .

فهتف الضابط الكبير فى رفاقه :

– حسناً . . فلنتوقف هنا ثم نهاجمهم على غرة .

وهبط الرجل من السيارة ونزل الجميع فى أعقابه . . ومشوا وراءه بخطوات حذرة نحو الكوخ . . وهم يرهفون آذانهم وينصتون جيداً . . وعلى وجوههم دلائل العزم والتصميم . . ومرت لحظات لم يسمعوا خلالها صوتاً ولا حركة . . وفجأة فتح باب الكوخ وظهر على عتبته رجل عملاق وأمامه « بكر » موثق اليدين . . وصاح العملاق فى القوة وهو يصوب مسدسه إلى رأس بكر :

– مكانكم . . وإلا نسفت رأسه بمسدسى .

وظل فى مكانه يحتمى بجسم « بكر » ينظر إليه آناً . . ويتطلع إلى القوة آناً . . . . وعندئذ توقفت القوة عن السير وصاح قائدها :

– خير لك أن تسلم نفسك . .

فأخذ الرجل يتراجع إلى الخلف . . ومازال مسدسه مشهرا ومصوبا إلى رأس « بكر » وصاح الشرطى فيه مرة أخرى وهو يتقدم إلى الأمام :

– سلم نفسك . . لا فائدة من المقاومة .

فصوب إليه العملاق مسدسه بسرعة خاطفة . . وأطلق النار . . ولكنها جاءت رصاصة طائشة لم تصب هدفها . . واغتنم « بكر » لفتة صغيرة من العملاق غفل خلالها عن مراقبته ودفعه بقدمه دفعة قوية ترنح على أثرها العملاق واختل توازنه وكاد يسقط أرضاً وقبل أن يستعيد توازنه كان أحد الضباط قد قفز

إلى الأمام وأطلق عليه رصاصة أطاحت المسدس من يده . . وحاول العملاق أن يلتقط مسدسه من الأرض ولكن « بكر » سارع إليه وسدد إلى وجهه ركلة ضارية بقدمه . . وكانت الركلة فى عنفها كأنها ركلة من حافر جواد ثائر . . . وترنح العملاق . . ودارت رأسه . . ولكنه مع ذلك زحف على الأرض ومد يده ليلتقط مسدسه . . فأسرع الضابط ناحيته وصاح به متوعداً :

– حذار أن تتحرك . . دع المسدس مكانه .

ولكن العملاق أبى أن يستمع إلى النذير . . التقط المسدس ورفعه بسرعة . . . وصوبه إلى « بكر » ليطلق النار عليه . .

ولكن قائد القوة كان أسرع منه . .

عاجله برصاصة سريعة . . وكانت الرصاصة قاتلة . . استقرت فى صدره فانطبح على الأرض وإن هى إلا لحظات حتى انبثق من شدقيه فيض من الدم القانى . وإن هى إلا لحظات أخرى حتى اهتز جسده وانتفض . . ولفظ أنفاسه الأخيرة . .

وأقبل الضباط والجنود على « بكر » يفكون وثاقه ويبادلونه القبلات وقد أنبسطت أسارير وجوههم وراح بكر يضمهم إلى صدره فرداً فرداً وكل قسمة من قسمات وجهه تنم عن فرحة وسعادة . . وقال له رئيس القوة وهو يضمه مرة ثانية إلى صدره :

– لقد كنت فى أشد حالات القلق عليك .

– ولم القلق ، لقد كنت واثقا من أننى سأعود بإذن الله .

– وكيف حالك ؟ هل أنت بخير ؟

إننى كالثور . . ألم تر كيف هشمت وجهه بقدمى .

– وأين بقية شركائه ؟

– إننى لم أرهم منذ جاءوا بى إلى هنا . . ولكنى أعرفهم ولن يهدأ لى بال حتى أقبض عليهم وأزج بهم فى السجون .

– حسنا يا بكر . . هيا بنا . . فلا شك أنك متعب .

وتأبط ساعده واتجها إلى السيارة وبعد لحظات كانت السيارة تذرع الطريق عائدة إلى مرسى مطروح . . وفى داخلها المختطف والمخطوف . . « بكر » إلى مبنى المحافظة . . والعملاق إلى المستشفى جثة هامدة . . .

وفى اليوم التالى توجه « بكر » إلى الفندق وكانت « فيروز » فى هذه الأثناء مشغولة ببعض الأعمال بالمكتب فلما سمعت بقدومه هرولت إليه . . وكان هذا قد هبط من السيارة وصعد الدرج فأقبلت عليه والفرح ينشرها ويطويها . . وهتفت :

– أهلا . . يا بكر . . حمداً لله على سلامتك .

وتصافحا فى حرارة . . وسألته وهى تنظر فى عينيه :

– هل أنت بخير؟

فأجابها وعيناه تبرقان سرورا .

– أنا دائما بخير . . وأنت . .

فأجابت وهى تهز رأسها فرحاً . . وشعرها الذهبى الجميل يتهدل على جبينها :

– مادمت أنت بخير فأنا بخير ، هل سمعت بحكاية الجاسوس ؟

– نعم . . شدة وزالت والحمد لله . . وكيف حال فضيلة ؟

فأجابته :

– بخير ، ها هى ذى قادمة .

وأقبلت عليه « فضيلة » وصافحته فى حرارة . . وقالت له وقد أشرق وجهها بابتسامة رائعة :

– حمداً لله على سلامتك ، لقد افتقدناك كثيراً . .

– شكراً لك يا فضيلة . . وأنا افتقدتكما أكثر .

وسألها :

– أين السيد أبو المكارم . . عندى كلام كثير أريد أن أقوله له .

فقالت « فيروز» .

– إنه موجود بالمكتب . . لاشك أنه سيسر كثيراً برؤيتك .

وتأبطت ذراعه وهى تقول :

– هيا بنا .

وراحا يسرعان الخطى وهما يضحكان ويتعابثان تتبعهما فضيلة

وصاح أبو المكارم حينما رأى « بكر» مقبلا عليه :

– من أرى . . بطلنا الشجاع بكر .

وتعانق الاثنان فى حرارة . . . وأجلسه الرجل إلى جانبه وهو يقول :

– اجلس يا عزيزى . . وحدثنا عن أحوالك . . هل انتصرت على أعدائك انتصاراً حاسماً ؟

فارتسمت على شفتى « بكر» ابتسامة رقيقة وقال :

– تقريبا . . لقد وجهنا إليهم ضربة وسوف تتلوها ضربات .

فقال « أبو المكارم » فى حماسة شديدة :

– كم أنا مشوق لسماع مغامرتك معهم . . هل لك أن تروى تفاصيلها لنا .

ليس أحب إلى من أن أجيبك إلى طلبك ولكنى أريد الآن أن أتكلم معك

فى موضوع آخر .

— ما هو هذا الموضوع ؟

فنظر « بكر » إلى « فيروز » نظرة تفيض حبًّا وإعجاباً وقال :

ـ موضوع زواجنا . . أريد أن نحدد له موعداً فى وقت قريب .

فقال أبو المكارم وهو ينقل البصر بين « بكر » و« فيروز » :

— أنا مستعد للاحتفال بالزواج فى أى وقت تشاء :

— أشكرك .

ثم نظر إلى « فيروز » وسألها :

— ماذا تقترحين ؟

فاحمر وجهها وأطرقت برأسها . . ولكنها لم تلبث أن رفعت رأسها وهى تقول :

— أقترح أن يكون زواجنا فى نفس اليوم الذى سنحتفل فيه بزواج « فضيلة »والدكتور« شعيب »، فما رأيك ؟

فقال فى ابتهاج :

— الحق أنه اقتراح وجيه . . إننى موافق من صميم قلبى .

وعندما التقت عيناه بعينى « فضيلة » تضرج وجهها احمرارا . . وقالت :

— ولماذا تربط نفسك بالدكتور « شعيب »، الدكتور لديه مشاغل كثيرة .

— بوسعنا أن ننتظر . .

وقال « أبو المكارم » وهو ينظر إلى الفتاتين :

— كم أتمنى أن أحتفل بزفافكما فى يوم واحد . . هذا منتهى آمالى .

وسكت برهة ثم قال لفيروز :

– اذهبى « ببكر» إلى الكافيتريا ودعيه يتذوق أشهى فطائرنا . . أتحب الفطائر اللبنانية يا بكر؟ .

فأومأ الشاب برأسه علامة الإيجاب . . وتأبطت « فيروز » ساعد بكر وابتعدت وهى تقول :

– إذن تعال وتذوق فطائرنا .

وشيعها « أبو المكارم » ببصره والفرحة تغمر وجهه . . كان يشعر بسعادة لاحد لها لأن « فيروز» وجدت أخيراً الرجل الذى كانت تحلم به . . وخرج الاثنان وعلى وجهيهما كل دلائل السعادة . . وفى الكافتيريا جلسا إلى مائدة صغيرة وراحا يتناولان الفطائر فى نهم ويتبادلان ألوانا من الحديث . . وبعد أن فرغا من تناول الطعام تمدد « بكر» على مقعد كبير وأخذ يتصفح إحدى المجلات المصورة حين دق جرس التليفون :

ونهضت « فيروز» وتناولت السماعة :

– آلو . .

– . . .

– حسناً . .

وقالت لبكر :

– إنه مساعد مدير الأمن . . وهو يريد التحدث إليك فى أمر هام :

فنهض « بكر» على كره منه . . وتناول السماعة :

– آلو . . أنا الرائد بكر .

وأصغى وما لبث أن ظهرت على وجهه دلائل الاهتمام الشديد وهتف :

– تقول إنهم يختفون فى منزل امرأة تدعى نعيمة بالقرب من الفندق . . حاضر

حاضر . . سأنتظر فى الفندق ريثما تصل القوة . . شكراً . .

ووضع السماعة . . وتنهد فى ارتياح . .

ورأته « فيروز » جامداً فى مكانه بعد أن وضع السماعة . . وأدركت ما هنالك وغمغمت قائلة :

– أهم الأشقياء الذين اختطفوك ؟

فأجاب :

– نعم . . ومن غيرهم يثير اهتمامى .

– سمعتك تتكلم عن امرأة تدعى « نعيمة » هل لها علاقة بهم .

– نعم . . هل سمعت بها .

– نعم . . لقد ذهبنا يوما إلى منزلها مع المنزلاوى وتناولنا الطعام هناك .

– إذن فهى من أعوان المنزلاوى .

– يخيل إلىّ أن الأمر كذلك .

– هل منزلها بعيد من هنا ؟

– إنه على بعد خمسة أميال تقريبا .

– إذن بوسعنا أن نصل إليه فى بضع دقائق .

وبعد عشر دقائق دق جرس التليفون فتناول « بكر » السماعة بسرعة . كان المتحدث هو مساعد مدير الأمن . .قال :

– لقد شاهد أحد المخبرين الأشقياء يدخلون إلى منزل « نعيمة » منذ ساعة . . القوة الآن فى طريقها إليك .

– حسناً يا سيدى أنا على أهبة الاستعداد . . .

وبعد دقائق وصلت سياره الشرطة فأسرع « بكر » وصعد إليها وما هى إلا لحظة

حتى كانت تطوى الأرض فى طريقها إلى المكان الذى حدده المخبر .

وفى الطريق قال « بكر» لنفسه :

– يجب أن أقوم بعمل بطولى أستعيد به هيبتى التى اهتزت فى المنطقة بسبب اختطافى . . إن رؤسائى دون شك أسندوا إلىّ هذه المهمة كى أقبض على الأشقياء بنفسى وأتمكن بذلك من استعادة هيبتى . . سوف أفعل المستحيل لكى أكون عند حسن ظن الجميع بى . . إن الفرصة أمامى ولن تفوتنى .

وفى منزل « نعيمة» كان المهربون يجلسون إلى إحدى الموائد يلعبون الورق ويجرعون كؤوس الخمر حين أقبلت عليهم « نعيمة » وهى تصيح فى فزع :

– البوليس . .البوليس . .

فانتفض الرجال مذعورين . . ونظر بعضهم إلى بعض فى حيرة وارتباك . . وأسرع أحدهم مهرولا إلى النافذة . . ثم عاد وهو يقول فى صوت راعش :

– إنه الرائد بكر . .

وقال رجل بصوت أجش :

– لا مفر إذن من المقاومة أو الاستسلام .

وصاح آخر :

– تأهبوا لإطلاق النار .

فانحنوا لالتقاط مسدساتهم . . وعلى حين فجأة فتح الباب وانتصب « بكر» فى مدخله ومسدسه مشهر فى يده وقد التمعت عيناه بوميض نفاذ كأنه حد الحسام . . من هاتين العينين كانت تنبعث نظرة فيها وعيد ونذير ، ومن فوهة المسدس كان يتربص لسان من لهيب متحفزاً لكى ينطلق عند أول بادرة من بوادر المقاومة أو العناد . . وصاح فيهم فى صوت صارم :

— ارفعوا أيديكم .

فرفع ثلاثة منهم أيديهم فوق رؤوسهم . . وخطر للرابع أن لا ينصاع فمد يده خلسة إلى مسدسه . . ورأى « بكر» هذه الحركة وفى لمح البصر أطلق من مسدسه رصاصة أطاحت مسدس الرجل من يده وعلت على إثرها صيحة مدوية من بين شفتيه . . .

وصاح « بكر »

— حذار أن يتحرك أحد منكم .

ولم يكن أحد منهم فى حاجة إلى هذا النذير الجديد ، إذ كان كل واحد منهم موقنا من أن أقل حركة تبدر منه معناها أنه لن يتحرك بعد ذلك مطلقا فى يوم من الأيام . . .

وتقدم «بكر» فى خطوات سريعة ناحية الرجال واستولى على أسلحتهم ثم اتجه إلى الباب وطلب من رجاله أن يدخلوا لتفتيش المنزل ووضع الأغلال فى أيدى المقبوض عليهم . .

واحتج أحد الأشقياء على ذلك قائلا :

— لم تفعلون ذلك ؟ .

فصاح فيه « بكر » :

— اصمت . . إياك أن تضيف كلمة أخرى . .

واهتز المسدس متوعدا يريد أن يلجمه الكلام . . ولكن الرجل عاد يقول فى جرأة :

— تأكد أنك لن تفلت . . وسوف يقتلك رجالنا حتماً فى يوم من الأيام .

فصاح فيه مرة أخرى :

- قلت لك اصمت .

وبعد ذلك بدأ الجنود فى تفتيش المنزل تفتيشا دقيقا . . واستمرت عملية التفتيش وقتاً طويلا بسبب وجود مخابئ تحت الأرض . . وفى هذه المخابئ عثروا على كميات هائلة من الحشيش والمخدرات تقدر بعشرات الآلاف من الجنيهات .

وأثار هذا الموقف البطولى اهتمام الناس . .

ورفع بكر فى نفوسهم مكاناً عليًّا وكذلك أثنى عليه رؤساؤه ونوهوا ببسالته وشجاعته وإخلاصه مما كان له أعمق الأثر فى نفسه .

الفصل التاسع عشر

وبعد أيام عاد الدكتور «شعيب» إلى الفندق ممتلئا بالحياة والنشاط وقد عقد العزم على أمر واحد هو البت فى موضوع زواجه من «فضيلة» ، وذات يوم ذهب لزيارة والدها ليطلب يدها منه وصحبه فى هذه الزيارة «أبو المكارم» وزوجته وبكر وفضيلة وفيروز . وكان والد فضيلة يعيش مع زوجته فى الإسكندرية عيشة راضية . . فهو موفور الرزق وإن لم يكن واسع الثراء وكانت له مكانته الاجتماعية فى الشارع الذى يقيم فيه مردها إلى منصبه الرسمى الذى كان يتقلده قبل إحالته إلى المعاش . . .

وقد رحب الرجل بضيوفه ترحيباً شديداً وداخل «شعيب» السرور مما أحسه من ترحيب الرجل وزوجته به . . وبعد تناول الطعام تحدث «شعيب» إلى الرجل حديثاً فى العلم والأدب والدين والاجتماع . . وأفاض فى الكلام عن رأيه فى الزوجة والزواج وقال إنه اعتزم أن يبقى «فضيلة» فى البيت لتساعده فى أعماله وترعى شئون منزلها وأولادهما . . وأثار هذا الكلام ضجة بين الحاضرين . . فقد عارضه

أبو المكارم وزوجته وقالا هذا رجوع إلى عهد الحريم . . كيف نضع الأسوار حول المرأة بعد أن حطمتها وقال «بكر» بل هذا منتهى التقدمية . . أن نضمن للجيل الجديد أمومة متعلمة متفرغة بدلاً من أن نترك أطفالنا فى أيدى الشغالات نهباً للضياع . . هذا فضلاً عن أن إنتاج المرأة فى الوظائف ضعيف بصفة عامة .

وقال والد «فضيلة» :

– ليس من السهل حرمان المرأة من العمل كلية فإنه مخالف للتطور وللاتجاه العام فى العالم ثم إنه ردة إلى الوراء ليست مقبولة بأى منطق أو تبرير . . ولكن من رأيى أن يقتصر عمل المرأة على الوظائف المناسبة لها كالمدارس والمستشفيات وترك بقية الأعمال للرجل ، بهذا تلائم بين التطور وظروف بيئتنا .

وقالت والدة «فضيلة» :

– أما أنا فمن رأيى أن تبقى الموظفة فى البيت بعد إنجاب الأطفال مع صرف نصف مرتبها ففى هذا تقدير لجهود المرأة فى تربية أطفالها .

وعارض «بكر» هذا الرأى قائلا :

– إن صرف نصف المرتب لمن لا تعمل شيئاً أمر غير مقبول هو الآخر ولا مبرر له . . من رأيى أن تبقى المرأة فى البيت بعد تخرجها .

واستنكر «أبو المكارم» الفكرة من أساسها قائلا :

– كيف تحول نصف المجتمع إلى جزء مشلول فى الوقت الذى نسعى فيه بقدر الإمكان إلى أن نعطى المرأة حقها فى الحياة والعمل .

وقال الدكتور «شعيب» :

– إن النظام فى أمريكا يقضى بأن تترك السيدة العمل فور زواجها لتتفرغ لبيتها

وتربية أولادها فإذا أحست أنهم كبروا ولم يصبحوا فى حاجة ماسة إليها عادت إلى العمل .

وقال « بكر» :

– على كل حال لقد اتفقنا أنا وفيروز على أن تبقى فى البيت بعد حصولها على الليسانس .

وعندئذ قال الدكتور «شعيب » :

– وهذا هو ما اتفقنا عليه أيضا أنا وفضيلة ، أليس كذلك يا فضيلة ؟

فابتسمت له وقالت :

– نعم . . هذا هو ما اتفقنا عليه فعلا .

فنظر إليها أبو المكارم فى دهشة وقال :

– هذا غريب فقد حسبتك لا تهتمين بشىء سوى الفندق .

فأجابته بلهجة جادة :

– إن زواجى من الدكتور «شعيب« قد أصبح الآن كل همى .

– إذا كان الأمر كذلك فأرجو أن تعطينى مهلة أبحث خلالها عن فتاة أخرى تحل محلك وإن كان فى حكم المستحيل أن أعثر على فتاة مثلك .

فتولى « شعيب « الجواب عنها بقوله :

– حسناً يا سيد أبو المكارم . . أمامك مهلة إلى نهاية الإجازة الصيفية ، أتكفيك هذه المدة ؟

– أشكرك . . هذا كرم منك .

وتقدم الجميع فهنأوا العروسين وقبلوهما فى كثير من الفرح والابتهاج . .

روايات صدرت للمؤلف

- سر الهاربة
- عاشقة نفسها
- برىء فى الأغلال
- محكمة الضمير
- الحب العظيم
- نهاية حكاية
- عودة المفقود
- مصرع طاغية
- حال الدنيا
- الجزاء
- صنيعة الشيطان
- الاعتراف

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٥٥٨
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٤١٥ - ٨

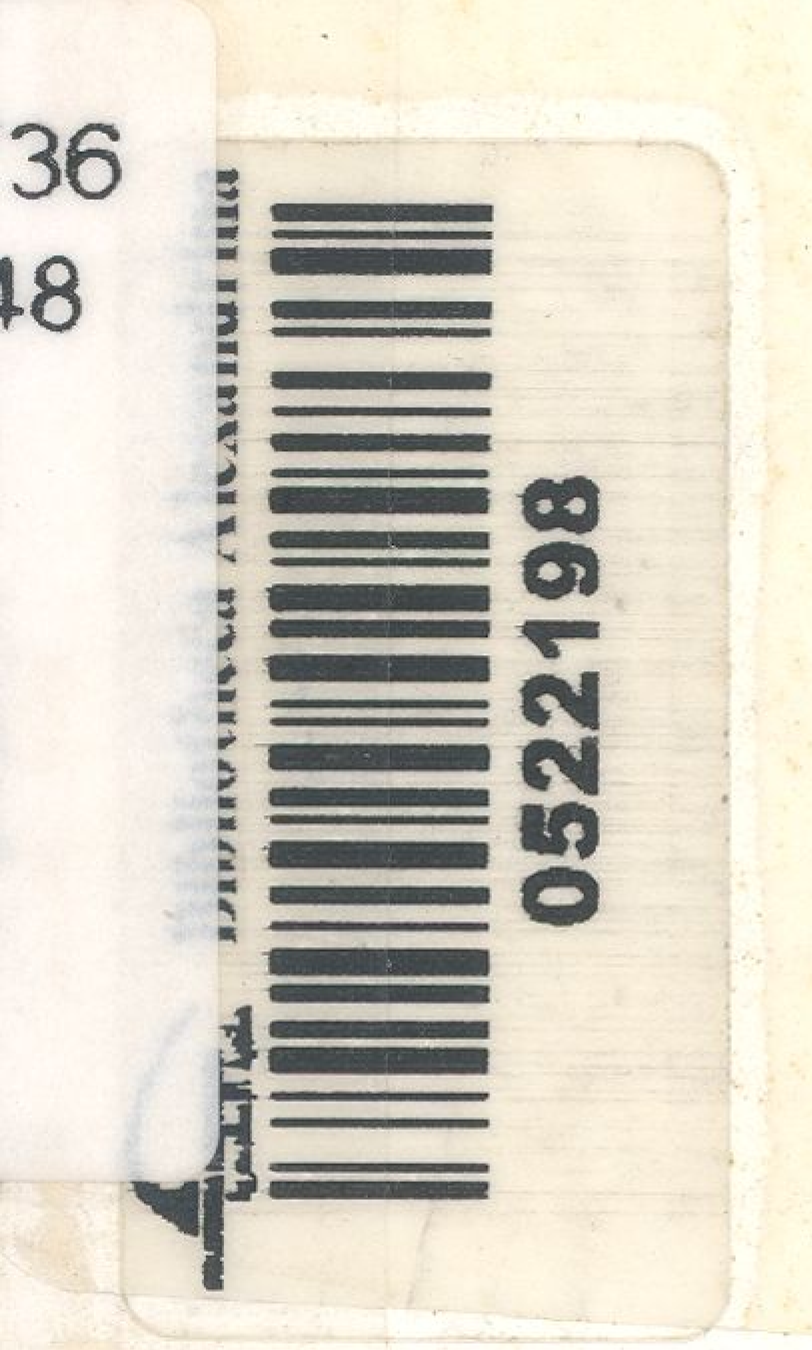
٤٠/٧٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

هذه الرواية

نسمع كثيراً عن الغيرة وما تسببه لأصحابها من مشاكل وتعقيدات . . فما هى الغيرة . . وما شر ضروبها . . هذا ما تفصّله وتجيب عنه هذه الرواية من خلال ما تحفل به من أحداث تشد الانتباه وتهز النفس من الأعماق .

والرواية بجانب ما فيها من مقومات الفن وأصوله فيها صورة كاملة للعصر القلق الذى نعيش فيه ، وفيها أيضاً صورة كاملة للحياة الإنسانية ، وفلسفة اللذة والألم ، والحب والأمل والخير والشر والقبح والجمال .



٩٠ قرشا